

المؤلف الأكثر
مبيعا في العالم

سيجعل هذا الكتاب
فكك يتدلى دهشة وترقباً

السفاح الخفي

مكتبة ٦٥١
سُر مَنْ قرأ

جيمس باترسون
وديفيد إليس



651 | مكتبة

السفاح الخفي

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان
هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والنتيجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٩

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لشركة بيت اللغات الدولية

ARABIC edition published by **International Languages Home**.
Copyright © 2019. All rights reserved.

٢٠٢١ | ٢٥ مكتبة
t.me/t_pdf

Copyright © 2014 by James Patterson
This edition arranged through Kaplan/DeFiore Rights



العنوان: 39 شارع خاتم المرسلين - الهرم - الجيزة - جمهورية مصر العربية
تليفون وفاكس: +2 02 37811478 - +2 02 35858900
موقعنا على الإنترنت: www.languageshome-eg.com
صفحتنا على الفيس بوك: @ilh98
لمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: info@languageshome-eg.com

الترقيم الدولي: 978-977-827-046-4

رقم الإيداع: 2018/23035

السفاح الخفي

مكتبة | 651

جيمس باترسون
و ديفيد إليس



بيت اللغات الدولية

INVISIBLE

JAMES PATTERSON

AND DAVID ELLIS



بيت اللغات الدولية

إشادة بالرواية

"رواية تدفعك لقراءتها حتى آخر كلمة".

- جريدة الأيرش إكزامينار

"هذه رواية من الصعب قراءتها بسبب مشاهد الرعب والتمثيل بالجثث التي تحتويها، لكن من الأصعب الامتناع عن استكمالها".

- نيويورك جورنال أوف بوكس

"رواية مثيرة، ومن المناسب قراءتها في الصيف".

- الموقع الإخباري ويست أورلاند نيوز

"لا أجد أن كلمة مثيرة هي الوصف المناسب للرواية، وعليّ أن أبتكر كلمة جديدة لأصف مدى روعتها وسرعة أحداثها ومنحائها الحركي، وما تخلفه من مشاعر الرعب والخوف وأحداثها غير المتوقعة والمثيرة".

- تعليق موقع مومزنجا على الرواية

إشادات بالمؤلف

"هذا الرجل أسطورة في مجاله. ولا نتمنى نحن المعجبين به سوى أمنية واحدة: أكثر من إنتاجك".

- لاري كينج، في برنامج يو إس إيه توداي

"عندما يتعلق الأمر بصياغة حبكة درامية مرعبة ومثيرة، فلن نجد أفضل من جيمس باترسون لهذه المهمة".

- صحيفة نيويورك ديلي نيوز

"يُعلم جيمس كيف يقدم الإثارة والتشويق في عبارات واضحة ودقيقة".

- مجلة بيبول

"أتقن باترسون فن كتابة الروايات المثيرة الأكثر مبيعاً".

- صحيفة شيكاغو صن-تايمز

"يُعلم باترسون أين تكمن مخاوفنا الدفينة في أعماقنا... فما من شيء يكبح جماح خياله".

- مجلة نيويورك تايمز بوك ريفيو

"يُحبك جيمس باترسون رواياته المثيرة كأنه يبني عربات قطار إفعوانية. فهو يبدأ القصص بالحبكة الأساسية، ثم يتجه بها إلى الذروة، بينما يناور القراء في دوامات لعدة مرات طوال هذه الرحلة".

- أسوشيتد برس

"يجب ألا تقوت له رواية... فهو بارع".

- صحيفة بروفيدينس صنداي جورنال

"المؤلف الأكثر تشويقاً في عالمنا الروائي حالياً".

- بوابة سان فرانسيسكو الإخبارية

"يقدم جيمس باترسون دائماً روايات مثيرة ورائعة ومليئة بالحركة".

- منظمة ميدويست بوك ريفيو

"باترسون كاتب محترف".

- جريدة جلوب آند ميل

إلى عائلة كاسبر - مايك ولورا والملاك الصغير صوفي مي - شيانج

الفصل مكتبة

t.me/t_pdf

هذه المرة كنت أعرف أنها النهاية... أعرفها بيقين يغص به حلقي رعباً، ويقبض على قلبي ويعصره حتى يكاد يقتلعه من مكانه. هذه المرة، كنت متأخرة. هذه المرة كان الجو شديد الحرارة، والضوء شديد التوهج، والدخان شديد الكثافة.

تنطلق صافرة إنذار لتصم الأذان. إنه ليس ديبب الإنذار المبكر، بل صفيير يخترق أذنيك منذراً إياك: إن لم تتحرك ستكون من الهالكين. لا أعرف كم مضى من الوقت والجهاز يطلق تحذيراته، لكن بالنسبة لي فقد فات الأوان بالفعل؛ فالحرارة الحارقة تحيط بأركان غرفة نومي الأربعة، والدخان الأسود الفاسد يسع الشعيرات في أنفي ملوثاً رثتي، والنيران البرتقالية تتوهج عبر السقف من فوقي، وتتراقص حول سريري، حتى وكأنها تتحرك على إيقاع موسيقي، وتطلق وتقرقع باستهزاء، كأنها ليست ناراً واحدة بل مجموعة من النيران تشتعل معاً وبصورة جماعية وتريد أن تقول لي - بينما تتطاير أسنة اللهب مضطربة ومتقدمة مني ببطء: هذه المرة فات الأوان يا إيمي.

النافذة... لا تزال هناك فرصة للقفز من السرير جهة اليسار والركض نحو النافذة، المكان الوحيد في غرفة نومي الذي لم تمسه النار بعد. النيران تحاصرني، تتحداني: هيا يا إيمي، اذهبي نحو النافذة...

هذه هي فرصتي الأخيرة، وأنا أعلم ذلك، ولكن لا أريد أن أفكر فيما قد يحدث إذا فشلت، ربما عليّ أن أعد نفسي للألم... ألم لن يدوم سوى بضع

دقائق فقط، وسيكون بمثابة عذاب أليم مروع، ولكن الحرارة ستميت نهاياتي العصبية في النهاية ولن أشعر بشيء. أفضل فرصة أمامي هو أن يغشى عليّ بسبب التسمم بأول أكسيد الكربون.

ليس لديّ شيء لأخسره. ولا وقت لديّ لأضيعه.

امتدت ألسنة اللهب وأشعلت غطاء السرير الحريري بينما كنت أطوح ساقبي لأنهض من الفراش، فقفزت من فوق الحشية وركضت نحو النافذة في أربع خطوات. انطلقت من حنجرتي صيحة فتاة مذعورة، أشبه بالتي كنت أطلقها عندما كنت ألعب الغميضة مع أبي في الفناء الخلفي لمنزلنا، عندما كان يوشك على الإمساك بي. دفعت كتفي محاولة تحطيم النافذة، وهي النافذة المُصممة ضد الكسر خصيصًا. ثم صدرت مني صيحة بشعة كعواء حيوان جريح، وغطت على صوت صفير الإنذار وطقطقة النيران. حدث هذا حينما ارتددت عن النافذة للخلف، ساقطة من جديد بالقرب من ألسنة اللهب المستعرة. قلت لنفسي: تنفسي يا إيمي. تنفسي الهواء الملوّث السام. لا تدعي النيران تقتلك، تنفسي...

تنفسي، تنفسي بعمق...

"اللعنة"، صحت بها في ظلام غرفتي الخاوية من البشر، والخالية من الحريق. العرق يلسع عينيّ فأمسحهما بقميصي. إنني أذكي من أن أتحرك على الفور، ولذا أظل في مكاني حتى يعود نبضي إلى مستواه الطبيعي، وتهدأ أنفاسي المضطربة.

أنظر إلى المنبه الرقمي بجواري، فتخبرني الأرقام الحمراء المضيئة بأن الساعة هي الثانية والنصف.

اللعنة على الأحلام! إنك تتخيل أنك تغلبت على مشكلتك التي تعمل عليها مرارًا وتكرارًا، وتحاول إقناع نفسك بأنك تتحسن، بأنك ستجبر نفسك على التحسن، بل وتهنئ نفسك على هذا التحسن. ثم تغلق عينيك ليلاً، وتجرّف إلى عالم آخر، وفجأة ينهض عقلك وينقر كتفك ويقول: هل تصدق؟ أنت لم تتحسن!

أطلقت زفرة طويلة أخيرة، ومددت يدي نحو المصباح. عندما أضيئت الغرفة، أحسست كأن "النار" لا تزال موجودة في كل مكان... وتحولت لتكون

هي ورق الحائط الذي يغطي جدران غرفة نومي، التي تزينها صور فوتوغرافية، وملخصات قضايا، وتقارير محققين لا حصر لها، كلها عن حرائق أدت إلى وفيات في جميع أنحاء الولايات المتحدة: هوثورن في فلوريدا، سكوكي في إلينوي، سيدار رايدز في آيوا، بلانوف في تكساس، بيدمونت في كاليفورنيا.

وبالطبع، بيوريا في أريزونا.

ثلاثة وخمسون حريقاً في المجمل.

أتحرك أمام الجدران، وعلى عجل أراجع كل قصاصة، ثم أتوجه إلى

حاسوبي وأفتح رسائلتي الإلكترونية.

ثلاثة وخمسون هو عدد الحرائق التي أعرفها. هناك المزيد بلا شك؛ فهذا

الرجل لن يتوقف.

الفصل 2

أنا هنا لمقابلة المغفل، لم يكن هذا ما قلته بالفعل، بل كان ما أعنيه.

لكني قلت: "إيمي دوكري، جئت لمقابلة السيد ديكنسون".

لم أكن قد التقيت من قبل السيدة التي كانت تجلس خارج مكتب ديكنسون خلف منضدة صغيرة. كانت لافتة الاسم مكتوباً عليها ليديا، وهو اسم يعبر عن نمط شهير من الشخصيات - وهو بالمناسبة ينطبق عليها تماماً: فقد كان شعرها قصيراً بني اللون، ترتدي نظارات سميكة الإطار وكنزة حريرية أنيقة. فهي على الأرجح تكتب قصائد شعر غنائي قصير في أوقات فراغها، ولديها ثلاث قطط وتحب الطعام الهندي، إلا أنها قد تطلق عليه المطبخ الهندي.

لم يكن يفترض بي أن أكون شديدة الحقد هكذا، لكنني انزعجت من أن شيئاً قد تغير في المكان منذ أن تركته ووجود شخص جديد فيه، لذا كنت أشعر بالغربة في مكتب عملت فيه بإخلاص وصدق طيلة نحو تسعة أعوام.

"هل لديك موعد مسبق مع المدير يا سيدة... دوكري؟"

رفعت ليديا نظرها نحوي بابتسامة متكلفة. فقد كانت تعلم بعدم وجود موعد مسبق؛ إذ إنهم تواصلوا معها هاتفياً من الردهة ليتأكدوا من أنه مخول لي الدخول. لكن بسؤالها هذا كانت تذكرني بأنه سمح لي بالدخول فقط كنوع من المجاملة وليس أكثر.

فتساءلت في حيرة مزيفة: "المدير؟ تصدين مساعد المدير التنفيذي للفرع الجنائي والإلكتروني والاستجابة والخدمات؟"

حسناً، قد أكون سليطة اللسان، لكن هي من بدأت.

انتظرت ليديا بالخارج، لكني لم أكن لأقف هنا ما لم يكن هذا المغفل سيوافق على رؤيتي.

لقد جعلني أنتظر، وهو ليس بالأمر المستغرب عنه، لكن بعد عشرين دقيقة كنت في مكتب ديك. كانت جدران الحجرة من الخشب الداكن، معلق عليها صور لميداليات وشهادات وأشياء أخرى تدل على حب الذات والكبرياء. فد "ديك" يرى نفسه شخصاً عظيم الشأن بشكل مبالغ فيه.

إنه يوليوس ديكنسون ذو البشرة دائمة السمرة، والشعر المستعار، والكيلو جرامات الخمسة الزائدة على وزنه والابتسامة المتكلفة. قال وهو يشير لي بالجلوس: "إيمي"، كان صوته مملوءاً بالشفقة المزيفة لكن عينيه كانتا لامعتين. كان يحاول بالفعل أن يستثير غضبي.

فقلت بينما أجلس: "إنك لم ترد على أي من رسائلي الإلكترونية".

فقال: "هذا صحيح"، دون أدنى محاولة لتبرير استقباله الفاتر لي. لم يكن عليه أن يفعل ذلك، فهو المدير، وأنا مجرد موظفة. اللعنة، أنا لست حتى كذلك حالياً، فأنا موظفة في إجازة غير مدفوعة الأجر، حياتها المهنية على المحك ويمكن أن تدمر بسبب هذا الرجل.

فسألته: "هل قرأتها على الأقل؟".

أخرج ديكنسون من درجه قطعة قماش حريرية لينظف بها نظارته وقال: "لقد قرأت منها ما يكفي لأفهم أنك تتحدثين عن سلسلة من الحرائق، حرائق معتقدين أنها دبرت على يد مجرم داهية، تمكن من أن يجعلها تبدو حوادث عادية غير متصلة".

وكان محقاً.

وأضاف بنبرة غير ودودة: "ولكن ما قرأته بالكامل كان مقالاً حديثاً من جريدة بيوريا تايمز، وهي الجريدة المحلية لتلك البلدة في ولاية أريزونا". ثم أمسك بورقة مطبوعة للمقال وقرأ منها قائلاً: "بعد ثمانية أشهر من وفاة أختها في حريق منزل، لا تزال إيمي دوكري تشن حملة عنيفة لتقنع قسم شرطة بيوريا بأن وفاة مارتا دوكري لم تكن حادثة عادية، بل جريمة قتل. أوه، وهذا الجزء: "يصر مارتن لازيربي، الطبيب المنتدب في مكتب الطب الشرعي في مقاطعة ماريكوبا، أن كل الأدلة الجنائية تشير إلى أن الوفاة حدثت نتيجة حريق

عرضي". أما هذا فهو الجزء المفضل لي، وهو تصريح لقائد الشرطة: "إنها تعمل في مكتب التحقيقات الفيدرالي، فإذا كانت على يقين من أنها جريمة قتل، فلمَ لا تجعل المكتب يحقق في القضية؟".

لم أجب بشيء، إذ إن المقال لم يكن إلا هراء؛ فقد كان ينحاز إلى وجهة نظر الشرطة ولم يعط مساحة عادلة للأدلة التي قدمتها.

فضم يديه واستجمع أفكاره وكأنه على وشك أن يلقي محاضرة على طفل وقال: "هذا يشعرني بالقلق بشأنك يا إيمي، هل تلقيت علاجًا إنك تحتاجين بشدة إلى المساعدة. سنكون سعداء بعودتك بالطبع لكن ليس قبل أن نرى تحسنًا في علاجك".

كان بالكاد يمنع ابتسامته بينما يقول هذا. فبيننا تاريخ من العداة؛ حيث كان هو الشخص الذي تسبب في أن أحصل على عقوبة تأديبية، مدعيًا ارتكابي سلوكًا غير لائق أدى إلى إيقافني عن العمل - معذرة، ليس إيقافًا عن العمل، بل بلغة البيروقراطية القانونية/إجازة إدارية غير مدفوعة الأجر. لا يزال أمامي سبعة أسابيع قبل أن أعود، وحتى عندما أعود، ستكون هناك فترة اختبار مدتها ستون يومًا. ولو لم تكن لدي حالة وفاة حديثة في عائلتي، فلربما كنت فصلت من العمل.

إنه يعرف السبب الحقيقي وراء اتهامي بهذا الأمر، كلانا يعلم ذلك. لذا فإنه يتهمك بي، لكنني لن أسمح له بأن يستفزني، فهذا ما يريد. إنه يريدني أن أفقد أعصابي حتى يخبر الإدارة بأنني غير مستعدة للعودة.

"هناك شخص طليق يتنقل بكل حرية ويقتل الناس، من المفترض أن يثير هذا الأمر قلقك، سواء أكنت أخضع للعلاج أم لا".

فضاقت عيناه. وليس عليه أن يفعل أي شيء؛ فأنا من يريد شيئًا. لذلك فإن الجلوس صامتًا وثابتًا هي فكرته عن العذاب.

"ركزي على إعادة تأهيلك يا إيمي واتركي لنا تنفيذ القانون".

كان لا يتوقف عن نطق اسمي، لكنني كنت أفضل أن يبصق عليّ وينعتني بأسوأ الصفات، فهو يعلم أن ما يفعله هو النسخة العدوانية السلبية للإيهام بالفرق. لم أكن متأكدة من أنه سيقابلني اليوم دون موعد، أما الآن فإنني أدركت أنه لم يكن يطبق صبرًا على رؤيتي لينال ويسخر مني وجهًا لوجه.

فكلانا لديه تاريخ من العداء تجاه بعضنا بعضاً، كما قلت، فإذا أردت أن أصفه بكلمة فيمكنني أن أقول إنه وغد.

فقلت بإصرار: "لا يتعلق الأمر بي، بل بالرجل الذي..."

فنظر إليّ باهتمام زائف وقال: "هل تشعرين بالغضب الآن يا إيمي؟ هل تشعرين بالسيطرة على مشاعرك؟ فوجهك أحمر وقبضة يدك مضمومة. إنني قلق من أنك لا تزالين غير قادرة على احتواء مشاعرك، لدينا مستشارون في فريق العمل يا إيمي إذا كنت تحتاجين إلى شخص تتحدثين معه".

كان يبدو مثل ذلك الإعلان التجاري الذي يأتي في آخر الليل للتنبؤ به العلاج من إدمان المخدرات والكحوليات. نحن لدينا مستشارون في انتظار الحديث معك. اتصل الآن!

أدركت أنه لا فائدة من الاستمرار في الحديث أكثر من ذلك، كانت حماقة مني في الأساس أن آتي إلى هنا، وكان من الحمق والبلاهة أيضاً أن أتوقع أنه سينصت لي شخصياً. كان الأمر منتهياً حتى قبل أن أحضر. فنهضت وغادرت المكان.

اندفع بصوت عالٍ: "حظاً سعيداً مع العلاج، نحن جميعاً ندعمك". فوقفت عند الباب ونظرت إليه.

وقلت وأنا أضع يدي على باب مكتبه: "هذا الرجل يقتل الأبرياء في جميع أنحاء البلاد، والأمر ليس أننا لا نطارده ولا نستطيع القبض عليه، بل أننا لا نعرف حتى أن هناك شخصاً علينا أن نقبض عليه. كما لو أنه غير موجود بالنسبة لنا".

ولم أتلق من ديك إلا كف يده المضمومة قليلاً، والتي لوح بها تلويحة صغيرة مودعاً إياي. فأغلقت الباب خلفي بعنف.

الفصل 3

انتظرت حتى غادرت المبنى لأزيع عن صدري ذلك الضغط الذي أشعر به. لن أجعل ديكنسون يهنأ برؤيتي غاضبة، ولن أعطيه شيئاً يستخدمه ضدي عندما أحاول العودة إلى وظيفتي في غضون سبعة أسابيع (الحقيقة أنه ربما يمتلك ما يدينني بالفعل؛ فقد كان بإمكانه أن يشير إلى رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بي كدليل على أنني أعاني "الهاجس" وأرتكب أيضاً أعظم خطيئة يمكن أن يرتكبها محلل أبحاث - وهي أنني أتصرف كما لو كنت عميلة فيدرالية، متناسية مكانتي الوظيفية، ولكنه اختار أن يجري المحادثة التي دارت بيننا للتو).

عندما سلكت الطريق السريع الرئيسي أي-٩٥ في طريق عودتي، ضربت بيدي عجلة القيادة بعنف، وهو ما لم يجعلني أشعر بأي تحسن، وكان من الممكن أن يتسبب في كسر أصابعي لو لم أكن حذرة. فصرخت: "حمقاء!". وجعلني هذا أشعر بالتحسن؛ فالشيء الوحيد الذي يمكن أن أكون قد ألحقت به الضرر هو أحيالي الصوتية. "حمقاء! حمقاء!".

لقد هزمني ديكنسون الآن، بعد تلك الجلسة التأديبية؛ سأكون تحت الاختبار، وإذا اتخذت خطوة واحدة خاطئة - أو إذا ادعى ذلك الأحمق أنني أخطأت - فقد انتهيت. أوه، إنني أسترجع هيئته وهو يتكلف الابتسام في وجهي، متظاهراً أنني في حاجة إلى علاج. كلانا يعلم أن مشكلتي الوحيدة كانت أنني أدفع يده عن كتفي كلما وضعها عليها، فقد كنت أرفض دعوات العشاء

المتأخرة، حتى إنني ضحكت من فكرة قضاء عطلة نهاية الأسبوع معاً. أعتقد أن الضحك هو ما أنهى الأمر. ففي الصباح التالي، اختلق قصة للإدارة العليا، أنني كنت أتحرش به، وأن عدوانيتي تزداد. فقد استخدم أوصافاً مثل غريبة الأطوار ومتقلبة المزاج - وهي أوصاف من السهل قولها ومن الصعب دحضها. وها هو يدعي أنني غير منضبطة.

حمقاء.

لكن تمالكي نفسك يا إيمي وحلي المشكلة، عليّ أن أفعل شيئاً. فلا يمكن أن أستسلم لهذا. أعلم أن هذه القضايا مرتبطة ببعضها، لكنني مقيدة ولا أستطيع الخروج من سلسلة القيادة وإصدار الأوامر، وديك يفلق عليّ الطريق، ليس اسبب وجيه بل نكاية فيّ. لقد سقط في يدي، ماذا يمكنني أن أفعل؟ ماذا يمكن لي...

انتظري.

رفعت قدمي عن دواسة الوقود، ليس لسبب محدد سوى إغضاب سائق السيارة الرياضية الذي كان خلفي، فقد كان يتبعني على مسافة قصيرة من السيارة، بينما كنت أفكر في الأمر. لا، لا، إنه آخر شيء ينبغي أن أفعله. لكن، نعم، قد يكون هذا هو طريقي الوحيد، لذلك عليّ أن أجرب الأمر. لأنني إذا كنت محقة بشأن هذا الرجل، فهو يتقن القتل أكثر فأكثر بمرور الوقت. ولا أحد يعرف حتى إنه موجود.

الفصل 4

"جلسة جراهام"

التسجيل # ١

٢١ أغسطس، ٢٠١٢

مرحبًا بكم في عالمي، يمكنكم أن تنادوني بجراهام، سأكون في شرف استضافتكم.

إنكم لا تعرفونني، وكوني مجهولاً هو شهادة نجاحي. وبينما أجلس هنا لأتحدث إليكم، لا أزال غير مشهور. لكني سأكون مشهوراً عندما يفرج عن هذه التسجيلات، متى أقرر أنا الإفراج عنها. وحينها سأكون على الصفحات الأولى للجرائد والمجلات حول العالم. سيؤلفون عني كتباً، وسيدرسونني في أكاديمية كوانتيكو، وستخصص لي مواقع إلكترونية، وستصنع عني الأفلام.

لن تعرفوا هويتي الحقيقية - قد يكون جراهام اسمي الحقيقي وقد لا يكون كذلك - لذا فإن أي شيء ستعرفونه عني سيكون من خلال هذه التسجيلات، وهي مذكراتي الصوتية. ستعرفون ما سأسمح لكم بمعرفته. قد أخبركم بكل شيء وقد أخفي بعض الأشياء. قد أخبركم بالحقيقة وقد أكذب عليكم.

وإليكم القليل عني كبداية: كنت رياضياً بما يكفي لأمارس الرياضة في المرحلة الثانوية، لكن ليست بالدرجة الكافية التي تجعلني أتخطى هذه المرحلة.

وكنت أحصل على درجات جيدة في المدرسة، لكن ليس بما يكفي لألتحق بإحدى جامعات رابطة اللبلاب الشهيرة، لذلك التحقت بجامعة حكومية. أكره بالطبع البصل بكل أنواعه، مطهياً أو نيئاً، فهو نبات كرهه بالنسبة لي مهما كان شكله. وأستطيع التحدث بثلاث لغات ورغم أن لغتي الفرنسية ضعيفة في هذه المرحلة. لكنني أستطيع أن أقول لا أريد بصلاً من فضلك، أو المكافئ لتلك العبارة بإحدى عشرة لغة، مضيفاً مؤخراً اليونانية والألبانية. إنني أفضل موسيقى البوب الكلاسيكية على الموسيقى الحديثة أو موسيقى الميتال، لكنني لا أتعرف بذلك لأصدقائي. لقد ركضت ذات مرة نصف ماراتون في ساعة وسبع وثلاثين دقيقة. لا أمارس التمارين الرياضية بانتظام اليوم، ولا أحسني مطلقاً مشروبات ضارة. شيئان من هذه الأشياء التي أخبرتكم بها غير حقيقيين.

لكن هذا حقيقي: لقد قتلت الكثير من الأشخاص، أكثر مما يمكن أن تتخيلوا.

وماذا عنكم؟ لا أعرف من أنتم أيها الأشخاص الذين أروي لهم هذه القصة: كائنات واعية، ربما أرواح ضحاياي؟ أم شياطين صغيرة تجثم على كتفي، هامسة في أذني بأفكار ظلامية؟ أم محللون بالشرطة الفيدرالية أم مراسل جريء أم مجرد مواطنين عاديين يستمعون إلى هذه التسجيلات الصوتية على الإنترنت يوماً ما، يحومون حول الكمبيوتر متلهفين لأية معلومة صغيرة، لأية فكرة يمكن أن تعرفهم طريقة تفكير هذا الشخص المجنون.

وهذا بالطبع هو ما ستفعلونه - ستحاولون أن تفهموني وتشخصوني، لأنكم ستشعرون بالراحة والأمان عندما تصنفونني في فئة تعرفونها حق المعرفة. ربما ستنسبون سلوكي إلى أم لم تظهر لي الحب، أو حدث مؤلم أعاد تشكيل شخصيتي، أو مرض عقلي ظهر في الطبعة الرابعة من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية.

لكن إليكم ما ستجدونه بدلاً من ذلك: قد أكون ذلك الشخص الذي تجاذبتم معه أطراف الحديث في إحدى مقاهي الحي، أو من يشذب الشجيرات في المنزل المجاور لكم، أو من يجلس بجوار أحدكم في طائرة متجهة من نيويورك إلى لوس أنجلوس، لكنكم لن تلاحظوني أبداً. أوه، قد تعتقدون أنكم ستشعرون بأن هناك شيئاً فني غير مألوف. لكن في الواقع، عندما أقف أمام

أحدكم مباشرة أو أشاركه ذراع أحد المقاعد أو أجلس أمامه، لن أترك لديه أي انطباع، لأنني سأكون مجرد مجموعة من البيانات التي تم تجميعها والتخلص منها على الفور. سأبدو شخصاً عادياً. هل تعرفون لماذا؟
 كلا، إنكم لا تعرفون السبب، لكنني أعرفه. لهذا السبب أتقن للغاية ما أفعله، ولذلك لن يقبض عليّ أي شخص مطلقاً.
 (النهاية)

مكتبة
 t.me/t_pdf

الفصل 5

بعد عامين من افتتاح المكتبة في وسط مدينة الإسكندرية، لا تزال تبدو جديدة، حيث القرميد الأحمر المطعم بالزخارف الخشبية المطلية باللون الأزرق الفاتح. كان اسمها، ذا بوك مان، محفوراً على النافذة الأمامية التي تمتلئ بأحدث إصدارات الكتب الروائية وغير الروائية، وإن كان الاهتمام هذه الأيام ينصب بشكل أكبر على كتب الأطفال والكتب المصورة.

أخذت نفساً قبل أن أدخل المكتبة بينما كنت أعيد التفكير مرة أخرى في حكمة هذا القرار. لكنني لم أستطع أن أنام الليلتين الماضيتين وليست لدي أفكار أخرى.

دفعت الباب ليقرع الجرس المعلق عليه ليصيح بصوت مبهج، ورأيتته قبل أن يراني. كان يرتدي قميصاً منقوشاً فضفاضاً قصير الأكمام وبنطلون جينز أزرق وحذاء مصنوعاً من الجلد الطبيعي. أصابتنى الدهشة لرؤيته للمرة الأولى من دون حلة ورابطة عنق. كانت رائحة الكتب الجديدة والقهوة تنتشر في المكان، صانعة حالة وشعوراً بالاتزان والسلام.

عندما رأني، كان يجلس خلف الطاولة لينتهي عملية بيع لأحد العملاء عند ماكينة الدفع. فتسمر للحظة قبل أن يتذكر أن يبتسم إلى العميل ويلقي بورقة إشارة دعائية في الحقيبة البلاستيكية التي أعطاها إياها. وعندما استدار العميل ليفادر، نهض ومسح يديه في سرواله ليقف بعيداً عني بعض الشيء.

اعتقدت أنه من الأفضل أن أبدأ؛ فقلت: "مرحباً بوكس".

"إيمي"، ما إن سمعت ذلك الصوت الذي يجمع بين نغماته العميقة والفضامة والرفقة في الوقت ذاته، تحررت الكثير من الذكريات من خلف السد الذهني الذي أقمته أمامها. كان الجزء الرقيق به أكثر وضوحاً، لأن المرة الأخيرة التي رأينا فيها بعضنا، كانت قبل ثمانية أشهر عندما كنت أدفن أختي. فقد جاء لي صباح ذلك اليوم ليواسيني. لست متأكدة كيف عرف بالأمر - ربما اتصلت به أمي؛ لم أتساءل عن ذلك أبداً - لكنه جاء دون أن يفرض وجوده، مكتفياً بأن يكون في الخلفية لأجده متى احتجت إليه. فهو لديه القدرة دائماً على إدهاشي.

قلت: "شكراً للموافقة على رؤيتي".

"لم أوافق، فأنت من أتيت".

"إذن شكراً على أنك لم تطردني".

"لم تتح لي الفرصة لأطردك، وربما لا تزال تلك الفرصة سانحة".

كانت المرة الأولى التي أبتسم فيها منذ أسابيع. كان بوكس يبدو رائعاً؛ رشيماً ومسترخياً وسعيداً. يا له من وغد، ألم يكن من المفترض أن يكون بائساً بعد أن تركنا بعضنا؟

فقلت: "أمازلت تهتم بمكونات القهوة؟"

فابتسم قليلاً على مضض، فهناك الكثير من الذكريات المتعلقة بهذا الأمر. فحتى عندما كان موظفاً يتقاضى راتباً حكومياً، كان دائماً ما ينفق أمواله للحصول على الأجود في كل شيء، فقد كان يطلب الفاصوليا الإيطالية عبر الإنترنت. قال: "بالطبع، ألا تزالين شخصية مزعجة وطيبة القلب؟"

هذا تقييم عادل، فبوكس يعرفني أفضل من أي شخص. لكن لا يزال الحديث بيننا صعباً ومتكلفاً، لذلك فضلت أن أدخل في صلب الموضوع. فقلت له: "أحتاج إلى مساعدتك".

الفصل 6

قال بوكس وهو يهز رأسه بغضب: "كلا، مستحيل يا إيمي".
"أريدك أن تسمعي في هذا الأمر يا بوكس".
"كلا، شكرًا".

"إنك لم تسمع من قبل بأي شيء كهذا".
"كما قلت، أو أعتقد أنني أعلنت بوضوح، كلا شكرًا..."
"لكنني أؤكد أنه سيحصل على تصويتي كأكثر الأوغاد شرًا في تاريخ العالم
بأكمله. فأنا لا أبالغ في هذا يا بوكس".
"أنا لست مهتمًا، لست مهتمًا، لست مهتمًا"، كررها كما لو أنه يحاول إقناع
نفسه.

كنا في المخزن المجاور لمكتبته، محاطين بأكوام من الكتب المكسدة
على الطاوات أو المصفوفة فوق الأرفف. وجدت مساحة صغيرة على إحدى
الطاوات، فوضعت ثلاثة وخمسين ملف قضية ليراجعهم. وقلت له: "كل شيء
هنا، اقرأها فحسب".

مرر بوكس يده على شعره الذهبي، إنه يتركه أكثر طولًا في هذه الأيام؛ حيث
تغطي غرته جبينه ويتجمع في الخلف، بعدما أصبح مواطن عاديًا وليس موظفًا
حكوميًا. فأخذ يسير في خطوات دائرية بينما يستجمع أفكاره.
"أنا لم أعد أعمل في مكتب التحقيقات الفيدرالي".

"يمكنك أن تعود لذلك، فرحيلك لم يكن مرغوبًا فيه."

"على أية حال، هذا متعلق أكثر بعمل مكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية والمتفجرات الإيه تي إف...."

"إذن سنكون فريق عمل مشتركًا..."

فضرب على الطاولة مسقطًا كومة من كتب الجيب على الأرض، وقال: "هذه ليست مشكلتي يا إيمي! إنك تعرفين مدى صعوبة أن تظهر لي فجأة هكذا، وتطلبني مني المساعدة؟ هذا ليس عدلاً". ووخزني بإصبعه مكرراً: "هذا ليس عدلاً".

كان على حق، لم يكن عدلاً، لكن ذلك الأمر لا يتعلق بالعدل.

فوقف بوكس لمدة حوالي دقيقتين، واضعاً يديه على فخذيته وهو يهز رأسه، ثم رفع نظره إليّ وقال: "هل خذلك ديكنسون؟"

"أجل، لكن ليس لسبب وجيه، فهو لم يقرأ حتى الملفات. إنك تعرف ديكنسون".

كان من الواضح أنه متوقع الإجابة، فسألني: "وهل قلت له لماذا أنت مهتمة بهذا الأمر؟"

"سبب اهتمامي واضح. رجل يقتل..."

فسار نحوي وقال: "هذا ليس ما أعنيه يا إيمي، وأنت تعرفين ذلك، هل يعرف ديكنسون أن أختك ماتت في حريق مشتبه في سببه قبل ثمانية أشهر في بيوريا بولاية أريزونا؟"

"لا علاقة لهذا الأمر بما أقوله".

رفع يديه وضحك ضحكة ساخرة قائلاً: "هالا لا علاقة لهذا الأمر بما تقولينه!".

"نعم. سواء أكانت أختي من بين الضحايا أم لا، فإن هذا لا يغير حقيقة أن سفاحًا..."

لم يكن بوكس يريد أن ينصت لهذا، فقد لوح لي مظهرًا أنه لا يستمع لحديثي.

"أنا حزين على مارتا يا إيمي. أنت تعرفين ذلك. لكن..."

"إذا كنت حزيناً بالفعل، فعليك أن تساعدني". ما إن تفوهت بهذه الكلمات، حتى أدركت أنني تجاوزت الحد. لقد مضى بوكس قدمًا في حياته، وأنهى عمله كعميل خاص، وأصبح يبيع الآن كتبًا لكسب لقمة عيشه. فرفعت يدي وقلت: "انسَ ما قلته، لم يكن ينبغي أن آتي إلى هنا يا بوكس. أنا... أنا آسفة".

وخرجت بالطريقة ذاتها التي دخلت بها، دون أن أتلقى كلمة من خطيبي السابق.

الفصل 7

"جلسة جراهام"

التسجيل # ٢

٢٢ أغسطس، ٢٠١٢

أحب رائحة الزهور النضرة في المساء، إنها تلك الرائحة الصيفية الضريفة من نوعها، أليست كذلك؟ إنها تجعل غرفة النوم هذه تبدو كلها... ما الكلمة المناسبة... جديدة. جديدة وحديثة. فالجدران مطلية حديثًا باللون الوردي الممزوج بالأصفر الفاتح. وهذا السرير جديد أيضًا، فهو سرير كبير الحجم بمظلة قديمة الطراز - أشبه هذا ما كان لديك عندما كنت فتاة صغيرة يا جويل؟ أكان هذا هدية تهنئة من والدتك ووالدك على المنزل الجديد والحياة الجديدة؟ أوه، لا يهم، معذرة فجويل لا تستطيع الحديث الآن.

بقية محتويات الحجره جذابة، ولكنها على الطراز القديم، فهناك تسريحة قديمة يبدو أنها أخرجت من قبو منزل والديها ونظفت من الأتربة ليعاد استخدامها، وهناك أيضًا كرسي قراءة لطيف. لكن الأفضل من ذلك كله هو طاولة السرير الجانبية، والتي تم وضعها خارج غرفة النوم الصغيرة مباشرة إلى جانب صندوقين مكسسين بعلب الحليب ومنبه صغير وزهرية تحمل أزهار السوسن.

لا يبدو أنها فتاة ميسورة الحال، فهي تتمتع بذوق رفيع، لكنها لا تملك الأموال الكافية بعد لإظهاره. فهو مجرد منزل صغير لفتاة في بداية حياتها المهنية. كنت أتمنى لو أستطيع أن ألتقط صورة لهذه الحجرة وأريكم إياها، لأنكم ستجدون هنا في هذا المكان جوهر أمريكا، جوهر الأمل، جوهر البداية الصغيرة والأحلام الكبيرة. كانت لدى جويل سوانسون خطط كبيرة من بينها أنها كانت تحلم بأن تحصل على شهادة في العدالة الجنائية، وتصبح مكافحة جرائم شهيرة، ربما شرطية في البداية ثم عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي أو حتى العالم السري لوكالة الاستخبارات المركزية السي آي إيه. يا لها من أمنيات رائعة وأحلام كبيرة!

على أية حال، كنت أود أن ألتقط هذه الصورة من أجلكم، لكني لا أعرف كيف سيكون وقع هذا لاحقاً، وإلى أي مدى ستتناسب مع ما أرويه لكم. فإنني أخشى للغاية أن تنظروا إلى الصور وتتجاهلوا كلماتي. فأنا على يقين بأن أي طبيب نفسي سيقول إنني أقصر هذه الجلسات على شهادتي الصوتية لأنني أريد أن أسيطر على كل جانب بها؛ وإنني أريدكم فحسب أن تعرفوا ما أسمح لكم بمعرفته، وأن تروا ما أسمح لكم برؤيته.

لا شك في أن هذه الطريقة في التواصل لها قيودها، فأنتم لا تستطيعون أن تشموا ما أشمه من رائحة واضحة تقوح من العرق المتألي على جلدها. ولا تستطيعون أيضاً رؤية هذا الرعب الممزوج باليأس الذي يسيطر عليها بينما تتسع عيناها ذعراً وترتعش شفتاها وتسحب الدماء من جسمها بعدما أدركت أن أسوأ كوابيسها قد تحقق بالفعل، كما أنكم لا تستطيعون سماعها بينما ينتزع الرعب من حنجرتها صرخات باكية هادرة وتوسلات متقطعة الأنفاس. إنكم لا تستطيعون ببساطة أن تشعروا بما أشعر به.

لذلك فإنني سأفعل ما بوسعي لأساعدكم وأعلمكم.

(ملحوظة عند تفرغ التسجيل: هناك أصوات لامرأة تسعل في الخلفية).

أوه، انظروا من يستفيق الآن، أعتقد أن هذا يعني أن عليّ أن أودعكم. إمام، أتساءل عما إذا كان هذا كثيراً وسريعاً للغاية بالنسبة لكم أم لا. ربما تحتاجون إلى معرفتي بشكل أفضل أولاً قبل أن أسمح لكم برؤية ما أفعله عن قرب، ربما نحتاج أولاً إلى أن نتمايل جنباً إلى جنب، ونتناول العشاء ونحتسي

المشروبات معاً بينما أروي لكم بعض الحكايات، وأريكم ما أجده مرحاً ومرعباً وما أكرهه وما أحبه.

ربما ينبغي أن أخبركم بالسبب الذي يجعلني أفعل ما أفعله.

سبب اختياري لمن أختاره.

سبب إتقاني لذلك ومهارتي فيه.

لدي الكثير من الأشياء لأخبركم بها، لكن دعونا نتناول هذا خطوة بخطوة. سنصل لتلك النقطة، وبمجرد أن أنتهي، ستهمونني وستجدون أننا نتشارك أشياء كثيرة.

بل ربما تحبونني.

بل وقد يرغب البعض منكم في أن يكون مثلي.

(النهاية)

الفصل 8

استيقظت لاهثة لأجد نفسي في غرفتي الهادئة بعدما تلاشت في ظلامها السنة اللهب التي كانت تتراقص في السقف. جففت عيني المتعرقتين بالغطاء، وتخلصت من آثار الكابوس المألوف، لكن كان هناك تطور هذه المرة: لم يكن الشخص الموجود في السرير هو أنا، بل كان شخصاً أجمل وأذكى وأشجع مني. فقد كانت مارتا هي من توجد هذه المرة في السرير.

كانت أختي تظهر بين الحين والآخر في أحلامي، وبشكل أساسي في الحلم ذاته عندما أكون على وشك أن أُحرق حية، لكنها لم تندفع إلى النافذة كما فعلت أنا. بل أخذت نفساً عميقاً وتركت السنة اللهب تتسابق لتلتهم الغطاء حتى غطتها وابتلعها.

أنا متأكدة أنني لن أقدر على العودة إلى النوم، فلم أستطع ذلك أبداً. فقد اعتدت النوم في العاشرة مساءً - وهذا يعد موعداً مبكراً بالنسبة لي - مدركة أنني في وقت ما بين الساعة الثانية والرابعة صباحاً ستلتهمني السنة اللهب ثم أستيقظ.

لذلك أعددت بعض القهوة وفتحت جهاز اللاب توب، فرسائل النشرات الإخبارية العاجلة تهال طوال ساعات الليل، لذلك سيكون لدي الكثير ليشغلني. لكنني أخطأت بالمرور أمام المرأة والنظر إلى نفسي، وبالطبع لم يسرني المنظر؛ فقد ظهرت أولى علامات الشيب في خصلات شعري بينما أرفض رفضاً تاماً صبغه، ويمنعني كبريائي من أن أستسلم للتقنيات التكنولوجية

الحديثة التي تعالج شيخوخة المرأة، وهو أن تغير نفسك بكل طريقة ممكنة حتى تخفي عيوبك. فأنا أضع الحد الأدنى من مستحضرات التجميل وأستحم معظم الأيام، وأمشط شعري، وأعتقد أنني بذلك أفعل ما يكفي دون أن أستخدم الكريمات المضادة للتجاعيد أو صبغة الشعر. من المفترض أن أكون مثيرة للإعجاب بهذا التوجه، أليس كذلك؟ لكني حتى الآن لم أسمع أية عبارة مجاملة تؤكد ذلك.

أنت أسوأ أعدائك، كانت مارتا تقول لي ذلك دائماً. أنت لا تحتاجين إلي من يعذبك لأنك تفعلين ذلك بنفسك. لقد كانت مارتا القطب المعاكس لي؛ فقد كانت مرحة ومجبة للحياة بينما كنت أنا قلقة ومتشائمة. كانت جذابة وساحرة بينما كنت أبدو كبطة قبيحة، كانت تذهب لمباريات كرة القدم تهتف وتلوح بالكرات المنفوشة، مشجعة فريقها، بينما أهتف وألوح في احتجاجات منظمة بيتا لحماية الحيوانات والغاء المجازر. كانت تعشق حفلات ليالي الجمعة مع عامة الجماهير، بينما كنت أفضل أن أدس وجهي في أحد الكتب الكلاسيكية أو بعض الكتب التي تتناول علم الإحصاء.

وعلى مستوى المظهر، فكانت أقصر مني بـ ٥ سنتيمترات وشعرها أكثر دُكنة ونعومة. لم يكن أحد يعلم كيف لفتاتين أن يولدا بفارق ثماني دقائق بين بعضهما ويكونا مختلفتين بهذا الشكل.

فقلت لنفسي وأنا في المطبخ: "اللجنة، إنني أفتقدك أيها الفتاة". لا أستطيع حتى أن أقول تلك الجملة دون الامتنان لها؛ فقد كانت دائماً ما تقولها لي في نهاية مكالمتنا الهاتفية، وكأنه توقيعها المسجل باسمها عندما كانت كل منا في أحد طرفي البلاد في أثناء الجامعة أو عندما التحقت هي بكلية الدراسات العليا في ولاية أريزونا، بينما انضمت أنا، لسبب لم يستطع أحد معرفته، إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي.

لا أزال أتذكر ردة فعلها عندما عرفت أنني انضمت إلى المباحث الفيدرالية، فقد كان الذهول والحيرة يملآن وجهها، كما لو أنها سمعت ذلك بالخطأ، فكيف ليسارية أن تنضم إلى مؤسسة حكومية، لكن كلماتها جاءت أقل حدة. إذا كان ذلك يسعدك، فإنه يسعدني. كان ذلك هو الشيء الآخر الذي نتحدث عنه دائماً معي، وهو السعادة. كوني سعيدة فحسب يا إيمي. هل أنت سعيدة؟ لا بأس بأن ترغب في أن تكوني سعيدة.

بعد أن أصبحت القهوة جاهزة، حملت الكوب إلى غرفة النوم الثانية وبدأت أتصفح المواقع المعتادة وأفحص البريد الإلكتروني. لم أرفيها ما يثيرني، فقد اندلعت النيران في منزل عائلي في بالو ألتو، ولا يوجد مصابون. ونشب حريق في مجمع سكني مدعوم في ديترويت، وهناك أنباء عن سقوط عدد من الضحايا، واشتعل مصنع للمواد الكيميائية خارج دالاس. كلا، كلا، كلا.

لكن ربما يكون هذا الخبر مثيراً للاهتمام، فهناك حريق نشب منذ ساعات فحسب في مكان يسمى ليسلي بولاية إلينوي. وهو منزل منعزل عن المدينة، ولم يسفر الحريق إلا عن ضحية واحدة. اسمها جويل سوانسون.

الفصل 9

"جلسة جراهام"

التسجيل # ٣

٢٣ أغسطس، ٢٠١٢

إننا في اليوم التالي، شعوري لا يختلف عن الشعور الذي ينتاب المرء من أثر معاقرة الكحوليات أو إحساسه بتعكر المزاج بعد ليلة من الفرح. أرقد في الفراش وأحدثكم عبر مسجل الصوت الرقمي المحمول، وأنظر إلى صورة جويل سوانسون التي التقطها في الليلة الماضية بعد أن أنهينا ما كنا نفعله، وهي الصورة التي طبعتها بالألوان على طابعتي. كانت مقاتلة وأقر لها بذلك. فقد ظلت تقاوم من أجل النجاة برغم كل ما كانت تشعر به من ألم وما نزفته من دماء. في بعض الأحيان لا أستطيع فهم هؤلاء الأشخاص.

أعلم ما ستقولونه، لقد أخبرتكم بأنني لا ألتقط الصور - لكنني ألتقط صورة لكل ضحية في نهاية اللقاء. ألا يمكنني أن أحتفظ بهدية تذكارية؟ على أية حال - صباح الخير! إنني أحاول أن أبدأ كل يوم بجولة إخبارية في الخامسة صباحاً. فلا يوجد أفضل من استعراض أخبار حوادث السيارات

والقتل والحوادث الأخرى الأليمة، خاصة في يوم كهذا. فينبغي متابعة الأخبار،
 ها أنا أضغط الآن لأشاهد مقطع فيديو على الموقع الإلكتروني... إليك محتواه:
 "لقيت فتاة مصرعها بالأمس في حريق نشب بمنزلها بضاحية ليسل.
 وكانت الفتاة البالغة من العمر ثلاثة وعشرين عامًا والمتخرجة حديثًا في
 جامعة بينديكتن قد لفظت أنفاسها الأخيرة عندما نشب حريق في غرفة نومها
 في الساعات المبكرة من صباح يوم الأربعاء. وقد صرحت السلطات بأن سبب
 الحريق هو شمعة مضاء سقطت بجانبها، ولا توجد شبهة جنائية".

"حسنًا، بعد قليل أخبار الرياضة، مع اقتراب بدء الدوري الوطني لكرة
 القدم لا تزال النزاعات العمالية قائمة؛ ما سيبقي الحكام..."

كفى هذا، فلأغلقه. كنت أتمنى لو تشاهدون لقطات الدخان الأسود
 المتصاعد من سطح منزل جويل. أحب هذه الكلمة، متصاعد، فهي إحدى
 تلك الكلمات التي لا تنطبق إلا في سياق واحد. هل هناك أي شيء آخر بجانب
 الدخان يتصاعد؟ كانت هناك أيضًا صورة لجويل من المؤكد أنها مأخوذة من
 ألبوم التخرج السنوي الخاص بها، وكانت معدلة ومنقحة. إنني أفضل الصورة
 التي ألتقطها لها؛ فهي تنطق بالحياة وتبرز هويتها بشكل أوضح.

بالمناسبة، أدرك أن الاحتفاظ بصور ضحاياي خطأ إستراتيجي لا يمكن
 الدفاع عنه. أجل، أعرف أنني إذا ألقى عليّ القبض، فإن هذه الصور ستكون
 دليل إدانة يفسر خطوة بخطوة ما فعلته من دون الحاجة إلى اعتراف خطي
 مذيّل بتوقيعي. ماذا يمكنني أن أقول؟ إنني أحتاج إلى هذه الصور، وأتقبل كوني
 متهورًا في هذا الأمر. إنني أخفي هذه الصور بين صفحتي ٢٢٢ و٢٢٣ في كتاب
 الطبخ القديم بيتي كروكر الخاص بأمي، بجوار وصفة اللازانيا باللحم المفروم
 (أجل، كان المكان خيارًا متعمدًا وإن كان دمويًا).

قد تقولون في داخلكم، أوه، والدته، لقد ذكر والدته لأول مرة في الجلسة
 الثالثة، في الدقيقة الثالثة وسبع عشرة ثانية. هل هناك أهمية للوقت؟ هل
 ٢١٧ هو اسم الشارع الذي نشأ فيه؟ هل ولدته والدته في السابع عشر من شهر
 مارس؟ هل مارست الاعتداء عليه ٢ + ١٧ مرة؟

حسنًا، من الأفضل أن أخبركم بالآتي: كانت أُمِّي تجعلني أرثدي مثل
 شخصية الفتاة بوبيب الصغيرة عندما كنت طفلًا، وهذه الصورة تطاردني
 كالشبح منذ ذلك الحين. فبعد أن قتلت أُمِّي بالساطور، أقسمت أن أشوه كل

الشابات الشقراوات الجميلات اللاتي ألتقيهن لأتخلص من هذا الرعب. لكن هذا لم يمنع الكوايس من مطاردتي!
 إنني أمزح فحسب. أعرف أنني لم أقتنعكم، فأنا لم أبذل أي جهد لذلك. ربما سأخبركم بأمر أُمي في يوم ما، وربما لا أخبركم.
 أريد أن أستعد للعمل الآن، فلديَّ يوم حافل يحمل لي مغامرة أخرى على الأقل قبل ذكرى يوم العمال.

(النهاية)

الفصل 10

قضيت الصباح مثلما أقضي كل صباح في الأشهر الأخيرة، جالسة في مكتبي (الذي كان حجرة النوم الأخرى لأمي)، أتصفح بعض الأبحاث والبيانات. ونظراً لأنني موقوفة عن العمل، فإنني ممنوعة من الدخول على نظام بي آر إس؛ وهو نظام تقارير الحوادث على المستوى الوطني. لكنه لن يفيدني بشيء على أي حال؛ فهو فقط يجمع معلومات عن الحرائق المصنفة على أن بها شبهة جنائية. فإذا اعتبر أن الحادثة طبيعية أو حتى "اشتبه" في أسبابها، فإنها لا تسجل في هذا النظام، وهذا الرجل يجعل الحرائق تبدو طبيعية.

وهو ما يعني أنه سيبقى بعيداً عن الأنظار تماماً. كما أن السلطات المحلية لا تبلغ المباحث الفيدرالية بهذه الحرائق، ولا يتواصلان مع بعضهما؛ ما لا يترك لي إلا الطريقة غير العلمية تماماً في البحث من خلال ضبط الإشعارات والتنبيهات على مواقع مثل جوجل ويوتيوب، ثم رصد المواقع والمنتديات المخصصة لمكافحة الحرائق الطبيعية والمفتعلة.

في هذه البلاد، تندلع كل يوم حرائق تسفر عن خسائر بشرية، سواء كانت طبيعية أو متعمدة، وسواء أكانت الشرطة تتلقى بلاغاً بها أم لا، فهي تنشر على الأقل في الأخبار المحلية الخاصة بالمنطقة التي وقع فيها الحادث. لذلك تنهمر عليّ يومياً أخبار عن حرائق؛ تسعة وتسعين بالمائة منها لا تتعلق بما أبحث عنه، لكن عليّ أن ألقى نظرة عليها كلها لأتأكد من أنها ليست الإبرة التي أبحث عنها في كومة القش.

أوشك المساء أن يحل، وقد قضيت ساعات منكبة على هذا اللاب توب أبحث عن الأدلة. وتحريت عن حريق في ضاحية ليسل بولاية إلينوي، لكن الشرطي هناك لم يعاود الاتصال بي بعد.

هاتفني يرن، لا بد أنه الشرطي، وإن كنت بعد يوم من الحبس الانفرادي في المنزل لست على استعداد لأن أتجاذب أطراف الحديث ولو مع مندوب مبيعات يحاول أن يبيع لي وثيقة تأمين على الحياة.

جعلت هاتفني في وضعية مكبر الصوت وقلت مرحباً.

"السيدة دوكري، أنا الملازم آدم ريسلر من قسم شرطة ليسل".

"أجل أيها الملازم، شكراً على معاودة الاتصال بي".

"هل يمكن يا سيدة دوكري أن توضح لي مركز الوظيفة؟ هل تعملين مع المباحث الفيدرالية؟"

هذه هي مشكلتي، فأنا لا أعمل معهم. سيكون سيئاً بما يكفي أن أقول إنني أعمل محللة أبحاث، ولست عميلة خاصة - فبعض السلطات المحلية لا تتحدث إلا مع العملاء - لكنني لست حتى محللة أبحاث حالياً. عندما يبحثون عن الرمز الكودي الخاص بي، يجدونه دائماً، لذلك يتأكدون من هويتي، لكن المشكلة هي أنه لا توجد درجة وظيفية بجوار هذا الرمز.

فأجبت قائلة: "أنا في إجازة مؤقتة من المكتب لأنني أعمل على مهمة خاصة".

سيطلق المحامون على هذه الجملة عبارة دقيقة من حيث المبدأ. وإنها لصدفة أن المباحث الفيدرالية لا علاقة لها بهذه "المهمة الخاصة"، التي في الواقع أنا من "وليت" نفسي بها. في الحقيقة أنا فتاة موقوفة عن العمل تتصرف بمفردها تماماً. لكنني أجعل الأمر يبدو أفضل من ذلك دون كذب.

عادة ما تجدي هذه الطريقة... إلى حد ما. ففي الغالب ما يتم تصنيفي على أنني مواطنة عادية أو مراسلة فضولية أو شرطية. لذلك أحصل على إجابات عن أسئلة غير مزعجة، كافية إلى حد ما لهدفي، لكنها ليست كافية لإعطائي الصورة الكاملة التي أفضّلها.

"حسناً، لنر ما تحتاجين إليه"، قالها كأنه يعني أنه سيجيب عن بعض الأسئلة دون غيرها. "كنت تتصلين بشأن جويل سوانسون؟".

"هذا صحيح أيها الملازم - الحريق الذي وقع منذ ثلاثة أيام".

هذا كل ما أعرفه حتى الآن: جويل سوانسون، تبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا، متخرجة حديثًا في جامعة بينديكتن، وتعمل في مكتب القبول بالجامعة وتقيم في منزل جديد بمفردها في ٢١٤١ قرطاج كورت بضاحية ليسل بولاية إلينوي، وهي ضاحية تبعد عن شيكاغو حوالي ٥٠ كيلو مترًا. وهي ليست متزوجة أو لديها أطفال أو حتى خطيب. وقد لقيت مصرعها في الحريق في الساعات الأولى من اليوم الثاني والعشرين من شهر أغسطس، ولا توجد شبهة جنائية، وذلك وفقًا لما صرح به رئيس وحدة الإطفاء المحلية.

فسألت الملازم: "ما السبب في الحريق؟"

فقال: "شمعة مشتعلة، يبدو أنها كانت موضوعة على منضدة وسقطت على السجادة، فمع وجود هذه السجادة وبعض الصحف المبعثرة في المكان والحشية المصنوعة من مادة البولي يوريثين، اشتعلت غرفة النوم كلها سريعًا وتفحمت الضحية على الفراش".

بقيت صامته لعله يكمل حديثه.

فأضاف: "صرح رئيس وحدة الإطفاء بأنه لا يوجد دليل على استخدام مواد سريعة الاشتعال. فقد قال إنه يبدو... حسنًا، كان ما قاله هو أن السبب في الحريق "أحد تلك الأشياء التي يفعلها الحمقى"، حيث ينامون وبجانهم شمعة مضيئة".

"هل أنت متأكد من أن الحريق بدأ في غرفة النوم؟"

"نعم، فقد قال رئيس وحدة الإطفاء إنه لا شك في ذلك، فلا شك في سبب الحريق أو في المكان الذي نشب فيه".

فسألته: "ماذا عن الشمعة؟"

"ماذا عنها؟"

"هل هناك أية آراء ترجح كيف سقطت؟"

لم يجب، لعلها بدت له نقطة غير جوهرية، لكن في الواقع، ما مدى احتمالية سقوط شمعة موضوعة على مكتب؟ فقد كانت بالداخل بعيدة عن أية رياح عاتية.

"فقال الملازم: "إذا سمحت لي بأن أسألك: لماذا يهتم مكتب التحقيقات الفيدرالي بهذا الأمر؟"

"كنت أتمنى لو أستطيع الإجابة أيها الملازم، لكنك تعرف كيف تسير

الأمور".

"حسنًا... لا بأس".

"هل سيكون هناك تشريح للجثة؟"

"لا أعتقد ذلك".

"لم لا؟"

"حسنًا، لسبب واحد، فأنا لست متأكدًا من أن هناك جثة للتشريح، والسؤال الأفضل هو لماذا؟ فقد قال المدير إنه لا توجد شبهة جنائية، ولم ينمُ إلى علمنا أية أسباب تدفع أحدهم إلى إيذائها، ولا نملك أي دليل على أن أحدًا ألحق بها الضرر".

"ولهذا يجرى تشريح الجثة أيها الملازم لإيجاد الدليل".

لم أتلُق أية إجابة، فقد أطبق صمت تام كما لو أنه أغلق الهاتف. ولعله فعل ذلك، فالشرطيون لا يحبون أن يتدخل أحد في عملهم، أو يملي عليهم ما ينبغي أن يفعلوه وخاصة عملاء المباحث الفيدرالية. "أعلم لماذا يجرى تشريح الجثة يا سيدة دوكري، لكن ليس بالضرورة أن تخضع كل جثة للتشريح، فليست هناك أية شبهة في هذه الحادثة، وفقًا للخبراء..."

فسألتها: "لديكم قوات لمكافحة الحرائق المفتعلة، أليس كذلك؟ هل يمكنك أن تحيل الأمر إليهم؟"

"نعم يا سيدتي، لدينا قوات لمكافحة الحرائق المفتعلة على مستوى المقاطعة، لكننا لا نحيل كل الحرائق إليهم، والآن يكون لديهم وقت للعمل على الحرائق المفتعلة الحقيقية. والآن، هل لديك بعض المعلومات لإعطائها لي عن جويل سوانسون من شأنها أن تجعلنا نعتقد أن هناك شبهة جنائية في الحادث؟"

فاعترفت قائلة: "لا أعرف أي شيء عن جويل سوانسون".

"حسنًا، أعتقد أننا انتهينا يا سيدتي، فأنا مشغول".

"أنا أعلم أنه ليس لديك وقت أيها الملازم، وأقدر وقتك بالطبع، لكن هل يمكنني أن أطلب خدمة أخرى؟"

فتنهت تهيدة مسموعة، كانت مرتفعة بما يكفي للتأكد من سماعها، "ماذا؟"

فقلت: "غرفة النوم، ماذا يمكنك أن تخبرني عن نظام غرفة نومها؟"

الفصل

11

وعدني الملازم ريسلر بأن يرسل لي معلومات عن حجرة نوم جويل سوانسون بمجرد أن يستطيع ذلك. وقد يعني هذا أنه قد يرسلها بعد مرور عشر دقائق، أو لا يرسلها مطلقاً. ربما كان من الممكن أن أتعامل مع كبريائه بطريقة أفضل من ذلك قليلاً؛ فهذا دائماً ما يدفعهم للتعاون. لكنني تعبت من سماع القصص عن رجال الإطفاء الذين يعرفون الكثير عن إخماد الحرائق لكنهم لا يعرفون إلا القليل عن اندلاعها، ومن ثم يغلغون ملف القضية قبل إجراء تحقيق دقيق بها. فلو كان ذلك مخزناً خلفت الحرائق فيه خسائر بملايين الدولارات، لبحثوا بين الرماد وتقصوا أسباب الحريق. لكن الحرائق الصغيرة نسبياً، التي لها سبب جلي يبرز أمام أعينهم، كفضيلة بأن تجعلهم يغلغون التحقيق قبل أن يبدأ.

ولأنني أحتاج إلى راحة من الكمبيوتر وليست لدي شهية للمكرونة بالجبن المعدة في المايكروويف، بدأت أنظف أرضية المطبخ. فأنا مهووسة بالنظافة والترتيب، وهو ما يريده السمسار على أية حال؛ فقد كان سعيداً عندما سمع أنني سأنتقل إلى المكان بعدما انتقلت أُمِّي إلى فلوريدا وعرضت الشقة للبيع. فمن الأسهل أن تبيع منزلاً يسكنه أحد الأشخاص. وكان ذلك مناسباً لي أيضاً عندما أوقفت عن العمل في المباحث الفيدرالية، إذ إن شقتي في جورج تاون كانت أكبر كثيراً من قدراتي المادية، خاصة أنني لا أتقاضى راتباً شهرياً.

ها هي حياتي: أعيش حاليًا في منزل أُمِّي في إربانا بولاية فيرجينيا بعدما ذهبت هي لتعيش على شواطئ مدينة نابلس المشمسة، عاطلة عن العمل في الخامسة والثلاثين من العمر غير مرتبطة، تقبع طوال الوقت بالمنزل.

عندما أصبحت أرضية المطبخ نظيفة، جثمت عليها ومددت ذراعي، فأنا متعبة نفسيًا وبدنيًا. عليّ أن أترف بأنني علقّت أمًّا كبيرة على بوكس. لكنه يعرف مدير المباحث الفيدرالية، وإذا كان هناك شخص سيصدق ما أقوله، سيكون بوكس. لكنني لا أستطيع أن ألقى باللوم عليه، فهو محق في ردة فعله تلك. وهذا ربما أكثر شيء يزعجني.

أعني؛ ما الذي كنت أنتظره؟ فقد تصرفت بطريقة انفعالية، وأنهيت علاقتي به قبل ثلاثة أشهر من الزواج وكسرت قلب رجل رائع. والآن وبعد مرور عامين، أعود بكل سهولة إلى حياته، وأتوقع منه أن يقول لي سمعًا وطاعة يا سيدتي عندما أطلب منه شيئًا.

وها أنا ذا قد عدت مرة أخرى إلى العمل الفردي، إلى فريق عمل إميلي جين دوكري؛ حيث أنقب عن البيانات بأقل الطرق الممكنة براعة وأتصل بعناصر الشرطة المحلية عبر البلاد والذين يعتقد معظمهم أنني مجنونة. وقد يكونون على حق.

سرت قشعريرة باردة في أوصالي عند سماعي طرقات على باب منزلي. فليس لديّ هنا الكثير من المعارف، ناهيك عن الأصدقاء، كما أن الساعة قد تجاوزت الثامنة الآن.

ليس لديّ سلاح، فكل ما بين يديّ الآن هو إسفنجة ودلو، ولذلك لا يمكنني إلا أن أهدد الرجل بتنظيفه حتى الموت.

فصحت من الرواق: "مَن بالباب؟"

كان الصوت مألوفًا.

فأطلقت زفرة طويلة وفتحت الباب.

كان هاريسون بوكمان يرتدي قميصًا مختلفًا مع البنطال الجينز ذاته الذي كان يرتديه بالأمس، ويحمل أسفل ذراعه كومة الملفات التي تركتها له كما لو أنها واجبه المدرسي.

قال: "إنه لا يرتكب جرائمه أبداً في أيام الأحد".
"أبداً".

ساد الصمت للحظات.

فقال: "هل توافقين على تناول بعض القهوة".
"أوافق بالطبع".

"بالتأكيد، الآن تقولين "أوافق"."

كانت هذه هي المرة الثانية التي أضحك فيها هذا الأسبوع.

الفصل 12

كنا نسير أنا وبوكس في طريق بنسلفانيا الشمالي الغربي، ومررنا بالقرب من مطعم دا أكوا، والذي كان مكاننا المعتاد، إذا كان يمكن أن نطلق على أي مكان مكاننا، حيث كنا نختار عشاءنا من صيد اليوم من الأسماك الطازجة المصفوفة على طاولة العرض المبردة في غرفة العشاء، ونرتشف الشراب أو نجلس بالخارج وننظر إلى نوافير النصب التذكاري للبحرية الأمريكية التي كان صوتها مزعجاً لكنه مقبول. كان هذا هو الموعد الذي نلتقي فيه في مساء كل جمعة.

لكن دوام الحال من المحال، فالمطعم فقد زخمه، وكذلك علاقتنا. قلت لبوكس: "هذا يحدث فحسب لأنك رجل".

فبدا أن بوكس أخذ الأمر على محمل الجد فقال مع إيماءة سريعة برأسه وهو مقطب الجبين: "هذا أحد الاحتمالات أو ربما..."، ثم أمسك بذقنه وكأنه شارلوك هولمز وهو يفكر في أحد الألغاز، "ربما لأن بعض من في المبنى يعتبرونني عاقلاً على النقيض منك". وفرقع أصابعه كما لو أن ما قاله بدا هو السبب المناسب.

"كلا، إن الأمر يتعلق بالجنس، فهذا لأنني امرأة".

"امرأة تدور الشكوك حول سلامتها العقلية".

فقلت: "بوكس"، لكنه توقف فجأة أمام مقر المباحث الفيدرالية.

وقال: "أنت من أردت هذا وليس أنا، إنني أحاول أن أجلب لك شيئاً تريدينه، فلماذا لا تسعدي بهذا فحسب دون تحليل الأمر باستماتة؟".

يا إلهي، كانت ردة فعله أكثر عدائية مما توقعت.

فمر من أمامي لندخل بعدها المبنى ونعطي اسمينا لموظفة الاستقبال في البهو. كان كل منا في الماضي يستطيع أن يظهر شارته ويمضي في طريقه، أما الآن فنحن زائران، وكان بوكس هو من خطط لهذه الزيارة، أما أنا فلم أكن راغبة فيها.

قالت لنا موظفة الاستقبال: "انتظرا لحظة". عقد بوكس يديه خلف ظهره. دائماً ما تكون الأشياء الصغيرة هي ما توقظ الذكريات الدفينة، فقد كان معتاداً أن يتخذ هذه الوضعية حينما يكون في العمل، إذ كان يلتزم دائماً بالشكليات. لكن إذا انفردت به، فبوسعه أن يضحكك ضحكاً هستيرياً، لكن عند العمل معه، قد تعتقد أنه عميل يفتقر إلى خفة الظل، كما كانت شخصية المحقق جو فرايداي وهو يقول جملة الشهيرة "أريد الحقائق فقط يا سيدتي". فقد اعتدت السخرية منه في الأيام الخوالي عندما كنت أعقد يدي مثله، وأسير مثل الإنسان الآلي بينما أقول، أجل يا سيدتي، كلا يا سيدي.

فاستدار بوكس ونظر إليّ قائلاً: "تذكري يا إيمي أنتي من خطط لهذه المقابلة".

"أعدك بأنني سأصرف بلطف، فلنتعاهد بإصبع الخنصر".

"أنا لست فتاة لأعرف ما يعنيه هذا".

"لكن لديك إصبع الخنصر، أليس كذلك؟".

فتنهده وقال: "من الأفضل أن يعني هذا أننا سنؤدي هذه المهمة على طريقتي".

"هذا ما أعنيه، لم أكن أقصد أي شيء آخر يا بوكس".

فزفر زفرة غضب، كأنه يقول لي إنه لا يصدقني، فهو يعلم كم أحتاج إلى مزيد من الانتباه لضبط تصرفاتي.

فقلت له: "أنت الرجل الكبير بينما أنا الفتاة الصغيرة التي تحمل لك حقيبتك".

"إنك لا تحملين حقيبتني".

"لكنني سأفعل ذلك إذا أردت".

حصلنا على شارات الزائرين، وتم فحص حقيبتينا بدقة، وتوجهنا إلى المصعد.

بوكس: "أنت مفعمة بالحماس والطاقة اليوم".

كان على حق، فقد كنت أبدو هكذا عندما أكون متوترة وقلقة. فهذه أهم مقابلة في حياتي، وهناك أمور كثيرة على المحك، وها أنا هنا، أمزح. قال: "ألا تتفقين معي في أن مجرد الاتفاق على هذه المقابلة هو خدمة مني؟".

"أوافق بالطبع".

فرمقني بوكس بنظرة قبل أن ندخل المصعد، فهو لن يتحدث ولو حتى بكلمة بينما نصعد، فهذه هي إحدى قواعده، إنه يفكر بعقلية الجاسوس الذي يتبع السرية الفائقة في كل أموره ولا يناقش أمور العمل أمام الغرباء. لكنني أعرف ما يريد أن يقوله، لقد قلت هذه الكلمة مرة أخرى: أوافق.

لكن دفاعاً عن نفسي، يجب أن أقول إننا قد ألغينا الزواج قبل موعده بثلاثة أشهر كاملة. واستعدنا عربون قاعة حفلات الزفاف، ولم تكن الدعوات قد طبعت بعد. ولطالما تساءلت عما إذا كان بوكس سيعتبر في ذلك أي عزاء أم لا؟ والآن... لا أعتقد ذلك.

أعطينا اسمينا لامرأة وجهتنا إلى إحدى قاعات المؤتمرات الكبيرة في نهاية البهو، والتي يستخدمها مدير المباحث الفيدرالية ويليام موريارتي.

كان بإمكانني أن ألاحظ تصاعد توتر بوكس بينما كنا نقرب من القاعة، فهذه هي المرة الأولى التي يعود فيها إلى هذا المكان منذ أن استقال - على غير رغبة المدير. وكانت المرة الأولى له التي جال فيها بتلك الأروقة المفروشة بالسجاد الرقيق والمزينة بالأعمال الفنية سيئة الجودة وسط أجواء من الجدية والإثارة تتسم بها مطاردة الخارجين عن القانون للحفاظ على أمان الأمة. لا يمكن لهذا أن يكون سهلاً عليه. لقد طلبت منه الكثير، وهذا لا يعني أنني أستحق أية مجاملة منه على الإطلاق بعد ما فعلته به. ملاحظة ذهنية: بوكس شخص جيد.

أعني أنه لم يرتب لي موعداً فحسب، بل رتب موعداً مع المدير، فقد تمكن من تجاوز رئيسي - ذلك المغفل الذي كان سيلغي هذا الموعد بكل بساطة إذا سنحت له الفرصة. وأنا سعيدة لأنه لن يكون في هذه المقابلة.

فُتِح الباب، فرأينا المدير موريارتي يقف عند نهاية طاولة طويلة وعن يساره كبيرة مستشاريه نانسي بارماجيوري، وعن يمينه، المدير التنفيذي المساعد لفرع الشؤون الجنائية والإلكترونية والاستجابة والخدمات، المعروف أيضاً بـ يوليوس ديكنسون وشهرته "الأحمق".

فهمست بينما كان بوكس يدفعني بمرفقه برفق: "اللعنة".

الفصل 13

ابتهج موريارتي عندما رأى بوكس؛ كان ويليام موريارتي يعمل في السابق عميلاً في المباحث الفيدرالية، ثم تولى منصب المدعي الفيدرالي قبل أن يصبح عضواً في الكونجرس عن ولاية نيويورك، ثم قاضياً فيدرالياً في واشنطن العاصمة، وهو يشغل حالياً منصب مدير المباحث الفيدرالية منذ ثلاث سنوات. وكان بوكس يعمل تحت إشراف موريارتي أثناء فترة عمله الأولى مع المباحث الفيدرالية، ولم يصل موريارتي إلى ما وصل إليه إلا من خلال علاقاته وارتباطه بالأشخاص. فقال لكبيرة الموظفين والمدعو ديك: "يرجع الفضل في الكثير من أعمالني إلى العمل المتقن لهذا الرجل"، فابتسم كل منهما وأوماً بعلامة على التقدير مثل جنديين صغيرين جيدين. "لم أكن أريد له أن يرحل، وها هو الآن يبيع الكتب".

جلس المدير وأشار للجميع بالجلوس، ثم نظر إلى ساعته وقال: "لديّ موعد مع الرئيس في الساعة الثالثة، لذلك فإن أمامي عشر دقائق فحسب".
عشر دقائق؟ أهذا يكفي لتحدث عن أسوأ سفاح في البلاد؟
قال: "أطلعني المدير المساعد ديكنسون على التفاصيل، وعليّ أن أتفق معه أنه إذا كانت كل هذه الحوادث من تدمير شخص واحد، فهذه هي أكثر قصة سمعتها إثارة للدهشة".

فأوماً ديك بحماس، وبعد لحظة تسلل بنظرة نحوي، يا له من وغد قدر! لكنني وعدت بوكس بأن أحسن التصرف، وعلى أية حال، فإن الهدف هو أن نجعل المباحث الفيدرالية تحقق في هذه الحرائق، أيًا من كان سيتولى ذلك. ولكن للعلم: اللعنة عليه.

قال المدير وهو يرفع يده: "لا أعرف حاليًا التفاصيل كما يعرفها يوليوس، لكن من خلال ما أخبرني به فإنني أتفق معه أيضًا في شيء آخر".
أجل، تتفق على أنه ماكر وغادر ومداهن.

نظر موريارتي إلى ديك وقال: "من السابق لأوانه أن نعتقد أن هذه الجرائم من تدبير شخص واحد، أو أنها جرائم في الأساس، فيوليوس يقترح أن نتأني قليلاً قبل أن نُسخر الكثير من مواردنا الثمينة في هذه القضية، ويوصي بأن نفتح تحقيقًا مبدئيًا".

أهذا ما أوصى به يوليوس بعد فحصه للأدلة؟ كم هو عظيم!

"هل تريد التعاون يا بوكس مع فريق المباحث؟"

فقال بوكس: "أجل يا سيدي المدير".

فرفع ديك يده وقال: "سيدي، بما أن العميل بوكس متقاعد، يتعين علينا

تسوية بعض التفاصيل من أجل إعادته إلى العمل..."

فتنظر المدير إلى ديك وقال: "فلنفل ذلك إذن".

"يمكنك أن تتولى هذا يا يوليوس، أليس كذلك؟"

"أجل يا سيدي بالطبع".

فأوماً المدير نحو بوكس وقال: "من يعلم! فقد يعجبه الأمر، ومن ثم نعيده

مرة أخرى إلى العمل".

فتتحنح بوكس وقال: "هل سأتولى إذن قيادة الفريق يا سيدي المدير؟"

أشار موريارتي بإصبعه إلى يمينه وقال: "سيتولاه المدير المساعد ديكنسون

وسيوافيني بالتفاصيل".

قلت قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي: "لا بد أنك تمزح".

وتوجهت كل الأنظار نحوي. لقد انتهكت للتو قاعدة السلوك التي وضعها

بوكس قبل أن ندخل. لكن حقًا - هل سيتولى المدعو ديك هذه المهمة؟ هل

تمزح معي؟

فوضع بوكس يده على ذراعي وقال: "جيد جدًا يا سيدي المدير، لكن هل سيكون لي رأي بشأن اختيار أعضاء الفريق؟".

بدا موريارتي متفاجئًا، وكأنه لا يستطيع أن يدرك لماذا يتطلب شيء من هذا القبيل عنايته وموافقته، فقال: "بالتأكيد يمكنك أنت ويوليوس أن تعملوا على ذلك".

"جيد للغاية يا سيدي، لكن... إيمي دوكري هنا، وهي من محلي الأبحاث لديك التي ربطت خيوط كل هذه..."

توقف بوكس عن الحديث لأن المدير لم يعد يستمع إليه، فقد مال ديك ناحيته ليهمس له بشيء وقد شاركتها أيضًا كبيرة المستشارين. وبينما يهمسان له في أذنه، رفع المدير نظره إليّ. حاولت أن أبدو محللة أبحاث هادئة ومتزنة، وليس شخصًا أوشكت رأسه على الاشتعال.

وأخيرًا انتحى عنهما المدير موريارتي وقال: "السيدة دو... دوكري؟ فقلت: "أجل يا سيدي".

"اتركي لنا الغرفة من فضلك".

أترك لهم الغرفة؟ ماذا يعني هذا؟ نظرت إلى بوكس.

فقال: "إنه يريد منك أن تخرجي من الغرفة حتى نستطيع أن نتحدث عنك".

"أوه"، فنهضت ولم أنظر حتى إلى هؤلاء الأشخاص الكبار، خشية أن تقفز

تلك الخناجر من عيني وتخترق أذانهم.

وهممت وأنا في طريقي للخارج غير متيقنة لماذا اخترت تلك الكلمات:

"شكرًا لكم". وأغلقت الباب خلفي، لأتيح الفرصة للأشخاص الأهم مني أن يقرروا مصيري.

الفصل 14

قابلتني سيدة ربما تكون موظفة استقبال أو إحدى المشرفات عندما خرجت من قاعة المؤتمرات - فليس مسموحًا لأحد هنا أن يتجول حتى في المكان. ووجدت نفسي في ساحة انتظار صغيرة أقرأ أحد تحقيقات مجلة التايم عن ارتفاع معدل السمنة بين الشعب الأمريكي، تباً - ألم تكتشفوا ذلك إلا الآن؟ وما إن قرأت التفاصيل الصادمة التي تشير إلى أن السبب وراء سمنة الأطفال هو جلوسهم أمام ألعاب الفيديو، وتناول الوجبات السريعة المليئة بالشحوم، أو المغطاة بطبقة من السكر والوجبات الخفيفة والمشروبات الغازية المعالجة كيميائياً، حتى ظهر بوكس وجلس أمامي. فرفعت حاجبي منتظرة ما سيقوله.

فابتسم وهز رأسه ثم صفق بيديه وقال: "غداً في الساعة الخامسة بالضبط، سنتقابل في مكتب ديكنسون، وهناك سنتلقى منه أوامر تحركاتنا، وسنتبعها يا إيمي".

"إذن، فإن هذا يعني أنني سأكون جزءاً من هذا الفريق؟"

"صحيح، فقد وافق المدير - على غير رغبة ديكنسون بالطبع - أن تتعاوني مع الفريق تحت إشرافي".

"لا تعجبني هذه الطريقة التي تسير بها الأمور".

"ولا أنا يا إيمي، فأنا أتساءل عما إذا كان ينبغي عليّ أن أفعل هذا من الأساس أم لا".

أستطيع أن أفهم من كلماته التي تشعر فيها بألمه ومعاناته أنه يعني ما يقوله. فلعله كان عليه أن يناضل من أجلي في حديثه معهم في أثناء المقابلة، وعليّ أن أكون ممتنة لذلك. أظن أنني أمتن له بالفعل، فكل رفضي أن يعاملني أحدهم كأنني شخص يحتاج إلى عناية كالأطفال. فهذا المكان الغبي الذي لا يهيمن عليه إلا الذكور...

قال: "ابتسمي يا إيمي، لأنه إذا لم يعجبك هذا، سأعود إلى الإسكندرية وأبيع الكتب، ومن دوني سيوقفونك عن العمل مرة أخرى".

"لا يحق لك أن تأمرني بالابتسام يا بوكس".
فضحك، لكن ليس لخفة ظلي أو لأنه في حالة مزاجية جيدة، إنني أعرف تلك الضحكة؛ فهي ضحكة حنق، فقد نفذ شحن بطارية مشاعره الأخرى من إحباط وغضب.

وقال: "لا تنسي أن لديك مصلحة شخصية في هذا التحقيق، فلم يسمح لعميل من قبل أن يتعاون مع فريق يحقق في قضية له بها مصلحة شخصية، ولم يسمح في أي وقت مضى لعميل أن يحقق في وفاة أخته...".
فقلت وأنا أخفض نظري كالطالبة: "أنا لست عميلة، بل مجرد محللة أبحاث".

فقال: "وهذا من حسن حظك؛ لأن السبب الوحيد الذي منحك فرصة الاشتراك في التحقيق هو أنك ستقدمين المساعدة من الناحية التقنية فحسب، وبهذا أصبحت عضوًا في الفريق".

كان على حق، وكنت أعرف ذلك. من المفترض أن أكون سعيدة الآن، فأرجعت رأسي إلى الخلف وازدرت ريقي بصعوبة وأخذت نفسًا عميقًا.
"لقد خططت لمقابلة موريارتي وأفلح الأمر، ثم حاربت من أجل أن أكون عضوًا في هذا الفريق، إنني أقدر كل هذا يا هاريسون، وأوافق عليه".
اللعنة، لقد قلت "أوافق" مرة أخرى.

فلوَّح بسبابته نحوي محذرًا وقال: "لا تتأديني بـ هاريسون، لقد عدت لأنه من المحتمل - وأقول من المحتمل - أن يكون لدينا سفاح ينسج شباكه حول

ضحاياه، وأنا لا أحب السفاحين بصفة عامة، وأنت السبب في أننا عرفنا بأمره. فإذا كان هذا الشخص حقيقياً، بل إذا كان هذا الشيء حقيقياً، فهو لا يشبه أي شخص رأيتَه من قبل".

فأضفت: "وسنمسك به".

"أجل، إذا كان حقيقياً، سنمسك به، وسيعود الفضل كله إلى يوليوس ديكنسون، ولن يكون لديك مانع في ذلك".

فرفعت يدي مستسلمة وقلت: "طالما أننا سنمسك به".

تأملني بوكس ثم دفع نفسه من المقعد.

وقال: "إذا كان موجوداً من الأصل".

الفصل 15

"جلسة جراهام"

التسجيل # ٤

٢٩ أغسطس، ٢٠١٢

مرحبًا أيها الصف، هل ستمانعون إذا ناديتكم بـ "الصف"؟ إنني أفترض أنكم تستمعون إلى هذا؛ لأنكم ترغبون في التعلم، وعندما أقول التعلم، لا أقصد مجرد التعرف بي - أي خلفيتي ودوافعي، وما إلى ذلك - لكن التعلم مني أيضًا. ربما لا يرغب جميعكم في ذلك، فالبعض منكم لديه فضول مريض يدفعه ليلهث وراء أي حدث بارز يكسر روتين حياته بالطريقة ذاتها عندما تبطنون سياراتكم في موقع حادث ما، على أمل أن تختلسوا النظر إلى جبهة مشقوقة يتدفق منها الدم، أو جثة تهتز على سرير الإسعاف أو يد متدلية لمصاب فارق الحياة. لكنني على يقين من أن بعضكم على الأقل يرغب في أن يعرف أكثر من مجرد الطريقة التي أنفذ بها الأمر، والدوافع التي تحركني لأفعل ذلك.

إنكم تريدون معرفة ما إذا كنتم أيضًا تستطيعون فعل ذلك أم لا. إليكم الأخبار الجيدة: إنكم تستطيعون بالفعل! وسأريكم الطريقة.

سأتوجه إلى الداخل الآن، إذ يبدو أنها على وشك أن تمطر. وسأرفع صوتي قليلاً، متمنياً أن تستطيعوا سماعي وسط ضوضاء الزحام، لأن الناس بدأوا يتوافدون على هذا المكان.

وللعلم، إذا كنتم تتساءلون كيف لي أن أتحدث إليكم بينما أنا وسط حشد من الناس، فإن مسجلي الصوتي يبدو كأنه هاتف محمول، لذلك فإنني أضعه على أذني، وأتحدث في الميكروفون الموجود في نهايته كما لو أنني أتحدث في الهاتف مع أحد الأصدقاء. وطالما أنني أتخذ كل الاحتياطات اللازمة للإيحاء بذلك - كالصمت من حين لآخر بينما يتحدث إلي الشخص الوهمي على الجانب الآخر، مضيفاً بعض الجمل المتقطعة بين الفينة والأخرى مثل ماذا؟ أو هل تستطيع سماعي الآن؟ أو تقطيب جبيني ووضع يدي على أذني من أجل التركيز - فلن يشك أحد في أنني أتحدث في الهاتف.

على سبيل المثال، ها أنا أشق طريقي بين الزحام الذي يملأ هذا المطعم، وأبتعد أقل من متر عن رجل يبدو متجهماً، مفتول العضلات، وذا شعر قصير للغاية، ويرتدي قميصاً أصغر من مقاسه بدرجتين، وأعرف أنني أستطيع أن أقول عنه ما أريد دون أن ينتبه لذلك؛ لأنني أتحدث بنبرة حوارية في جهاز إلكتروني أضعه على أذني. هيا سأثبت لكم. أود أن أنفرد بنفسي بضع دقائق مع هذا الرجل الأنيق حتى أستطيع أن أدفع داخل أذنه تلك القطعة الخشبية التي يكون عليها الآيس كريم، وأستمر في دفعها حتى أسمع صوت طقطقة، ثم أشعل النار في جسده بمشعل اللحام بعد أن أسكب عليه الكيروسين. ولكذك لا تملك أية فكرة على الإطلاق أنني أتحدث عنك، أليس كذلك يا صديقي؟

ما هذا؟ أستطيع... أستطيع أن تسمعني الآن؟ أهذا... أهذا أفضل؟ هل تستطيع أن تسمعني جيداً؟

أرايتم؛ الأمر شديد البساطة. وهذه هي إحدى النقاط التي أود أن ألفت انتباهكم لها؛ لأنني سأستمر في استخدامها: أيّاً كان ما تفعله لتحقيق هدفك، فعليك أن تقنع به الآخرين - أعني أن تلتزم بذلك من البداية حتى النهاية، وتبذل كل ما في وسعك لتنفيذه. قد يكون ما تفعله أمراً شديداً الأهمية أو مجرد شيء تافه. لكنها عادة ما تكون تلك التفاصيل الصغيرة هي التي تدمر كل شيء، بينما لا بد أن تكون في أشد حالات الحذر.

لذلك، على سبيل المثال، بينما أظهار الآن بأنني أتحدث في الهاتف: عندما أنهى الحديث معك، يمكنني أن أضع ببساطة المسجل الذي يأخذ شكل الهاتف في جيبى من دون أن أفعل الأشياء التي تفعلها عادة عندما تنهى مكالمة، كأن أقول وداعاً أو أضغط على أحد الأزرار، أو إذا انقطعت المكالمة أصبح في الهاتف أو أبدو مرتبكاً أو مشتملاً وأهز رأسي. بمعنى آخر: يمكنني أن أتوقف عن الخداع، وأضع المسجل في جيبى فحسب.

لكن ماذا لو كان أحدهم يراقبني لسبب ما؟ أو ماذا لو جاء شخص لديه شارة مثبتة على سترته ليشاهد شريط الفيديو من كاميرات المراقبة باحثاً عن أية علامات تدل على أن هناك شيئاً غير مألوف؟ أضمن لكم أنه من غير المرجح أن يحدث ذلك، لكن ماذا لو حدث؟ سيشاهدونني حينها أسير عبر المكان متظاهراً بأنني أتحدث في الهاتف، لكني بعد ذلك أضعه في جيبى وحسب، ومن ثم سيعرفون أنني كنت أخدع من حولي، وحينها سأجذب انتباههم، وهو ما لا أريد أن أفعله. إنه آخر شيء يمكنك أن ترغب في فعله.

لذلك متى أمسكت بهذا المسجل لأتحدث إليكم في أي مكان؛ حيث يمكن لأي شخص أن يراني، سأؤكد أنني قلت "مرحباً؟ أهلاً، كيف تسير الأمور؟" أو بعض جمل التحية من هذا القبيل. وعندما أنتهي من جلستي معك، سأقول: "أتحدث إليك لاحقاً"، "أراك لاحقاً"، ثم أضغط على أحد الأزرار لأشير إلى إغلاق المكالمة، وذلك حتى تدركوا ما يحدث فحسب دون أن تختلط عليكم الأمور.

هذا مهم؛ لأنني أتوقع أن الشرطة قد - وأقول قد - تراجع كاميرات المراقبة الليلة في هذا المطعم عندما يعلمون أن هذا هو المكان الأخير الذي شوهد فيه كورتس فالنتين على قيد الحياة. إنه هذا الرجل القابع هناك في الزاوية الذي يربط شعره من الخلف ويرتدي قميصاً أسود وبنطال جينز أزرق، وتتراكم الدهون حول خصره بينما يميل برأسه على كوب من الشراب، ويتململ في جلسته. إنه يدير شركة لصيانة المواقع الإلكترونية من منزله تسمى بيكتشر بيرفيكت ديزاين. عرفت ذلك من حسابه على فيسبوك. يبدو أنه رجل لطيف، وهو ما علمته من حديثي معه على الهاتف بالأمس، عندما حددت هذا الموعد لمقابلته في هذا المكان وتناول بعض المرطبات.

حسنًا لقد رأني الآن، إننا لم نتقابل مطلقًا وجهًا لوجه، لكنه يخمن أنني أنا
 من حددت معه الموعد من الطريقة التي أجول بنظري بها في المكان.
 كورتس؟ مرحبًا، كيف حالك؟ إنني سعيد بلقائك، ثانية واحدة، دعني أنه
 هذه المكالمات!

حسنًا، يجب أن أذهب الآن، سأتحدث إليك لاحقًا، وداعًا
 معذرة يا كورتس، من الرائع أن أقابلك أخيرًا وجهًا لوجه...

(النهاية)

الفصل 16

جاء بوكس إلى منزلي - أو بالأحرى منزل أمي - ليجري المزيد من البحث ثم يقضي معي الليلة. إنها الليلة الأولى التي نقضيها معاً أسفل سقف واحد منذ أن أنهيت خطبتي إليه. نعم، إنه وضع غريب؛ كغرابة حكايات أليس في بلاد العجائب، لكن المسافة من هنا إلى منزله طويلة، لذا بدا له أن قضاء الليلة عندي أمر منطقي.

ومع ذلك فالوضع غريب.

كنا في المطبخ، حيث أجلس إلى الطاولة أمام اللاب توب لأفحص رسائل البريد الإلكتروني والمواقع المعتادة التي أطلع عليها، بينما يطهو بوكس بعض المكرونة. إنه يتقن الطهي أكثر مني. في الواقع، اعتدنا أن نطهو معاً طوال الوقت، وتتناول بعض المرطبات أثناء ذلك وتزداد حرارة المطبخ من حولنا بينما نقطع الخضراوات ونقلب الصلصة. يا لها من ذكريات جميلة، ولديّ الكثير من الذكريات الجيدة مع بوكس. إنه الشخص الوحيد في العالم، إلى جانب مارتا، الذي يفهمني تماماً، ولهذا... ربما يكون السبب في أن الأمور لم تسر معه على ما يرام.

"هل لديك رقائق الفلفل الأحمر؟"

"ليست لديّ أية فكرة"، قلتها دون تفكير، حيث كنت منكبّة على البحث في رسائل البريد الإلكتروني المتعلقة بحوادث الحرائق الأخيرة، أمحو ما يبدو عادياً منها وأحدد ما يحتاج منها إلى متابعة. ثم أضفت: "انظر حولك".

"يا لها من نصيحة رائعة. أتعلمين... كنت أعتقد أنه إذا وقفت هنا وأغلقت عينيّ وفتحت يديّ سيظهر لي هذا السفاح بطريقة سحرية، أتقولين إنني ينبغي أن أنظر حولي؟"

اهتز هاتفى الموضوع على الطاولة، إنها دوريان، فقد اتصلت بها في وقت سابق اليوم وتركت لها رسالة.
"مرحبًا يا أمي."

"لقد قلت إن لديك أخبارًا جيدة"، كان كلماتها ثقيلة وبطيئة بعض الشيء، وهي مشكلتها منذ أن مات أبي قبل خمس سنوات. إنها لا تسمح لنفسها بأن تغيب عن الوعي لكثرة ما تتناوله من شراب؛ لكن الأمر ازداد سوءًا لفترة قصيرة بعد وفاة مارتا. كنت أرى دومًا أن مارتا كانت الابنة المفضلة لديها وسر سعادتها، فبينهما سمات مشتركة. وبينما كنت أتقدم في العمر، كانت دوريان تقول لي أشياء مثل: لا أفهمك يا إيمي، بينما كانت تعني، لماذا أنت مختلفة عني؟ لماذا لا تشبهين مارتا؟

"بالفعل، لقد عدت إلى العمل مرة أخرى."
"مع مَنْ؟"

"ماذا تعنين بـ"مع من"؟ مع المباحث الفيدرالية يا أمي. لقد استعدت وظيفتي؟"

"أوه، هذا رائع. لقد أعادوك مبكرًا!"

"أجل، فقد قدمت لهم ما توصلت إليه بشأن الحرائق، ووافقوا على فتح تحقيق في ذلك، مع السماح لي بمعاونة فريق التحقيق".

ساد بيننا الصمت فقد؛ كانت أمي لديها دائمًا وجهة نظر مختلفة بشأن هوسي بكل تلك الحرائق. فقد كانت تعتقد أنني أبحث عن شيء إيجابي من وراء موت مارتا، فإذا استطعت أن أثبت أن الحادثة جريمة مدبرة، ونجحت في فك ألفازها، يمكنني أن أجعل الأمر برمته ذا معنى - ماتت مارتا لكننا تمكنا من القبض على القاتل - شيء من هذا القبيل؛ فهي لا تصدق أبدًا أن مارتا قتلت.

"عادة ما تقول الأمهات لبناتهن في مثل هذه المناسبات "هذا رائع يا عزيزتي"!"

"لو كنت أعتقد أن هذا رائع يا إيميلي جين، لكنك قلت ذلك".

فأضفت: "بوكس في الفريق أيضاً"، لعل هذا يثير حماسها. فهي تحب بوكس كثيراً، بل إن الجميع يحبه.

ونظرت إليه بينما كان يقلب المكرونة التي يتصاعد بخارها على وجهه. "هاريسون؟ كنت أعتقد أنه ترك المباحث الفيدرالية بعد انفصالك عنه". رائع أنها صورت الأمر بهذه الطريقة. "لقد ترك العمل يا أمي، لكن ليس بسبب انفصالي عنه، بل لأنه فعل ما كان يريد أن يفعله، وكان يريد أن يبحث عن تحديات أخرى".

"لا أصدق ذلك، لقد ترك العمل؛ لأنه كان من المؤلم له أن يعمل معك في المبنى ذاته".

فقلت والغضب ينتابني قليلاً: "حسناً، إنه هنا فلتسأليه، تعال يا بوكس لتخبر أمي لماذا تركت العمل مع المباحث الفيدرالية".

وضع بوكس الملعقة الخشبية التي كان يستخدمها ليتذوق بها صلصة المكرونة، وجفف يده بالمنشفة وسار نحو الطاولة وأخذ هاتفه وقال: "مرحباً يا دوريان، كيف حالك؟ أنا بخير، شكراً. أجل، سوق العمل بالكتب قاسية هذه الأيام، لكننا نسير على ما يرام. كيف حال شواطئ نابلس؟ يسرني سماع ذلك، رائع... على أية حال، لقد تركت العمل لأن إيمي انفصلت عني".

ثم أعاد لي الهاتف وهو يبتسم ابتسامة عريضة لم أر مثلها على وجهه من قبل.

فقلت لأمي: "هذا ليس حقيقياً، إنه يقول هذا فحسب".

فقال وهو يقوس يديه حول فمه حتى تسمع أمي صوته: "هذا ليس صحيحاً!". قالت أمي: "إنه يقصد ما يقوله".

"عليّ أن أذهب يا أمي، كانت هذه إحدى أكثر المحادثات الممتعة التي أجريتها".

وأغلقت الهاتف.

"كان هذا لطيفاً للغاية يا بوكس".

"المكرونة أوشكت على النضج، هل أوشكت على الانتهاء من البحث؟".

"تقريباً؛ لا أعتقد أنه كان هناك أية ضحايا لحرائق متعمدة في الليلة الماضية".

"هذا سيئٌ للغاية، في الواقع... هذا جيد، أليس كذلك؟".

وضع بوكس الطعام في الأطباق - المكرونة مع الصلصة الحمراء والبروكلي بالثوم المطهوع على البخار إلى جانب القليل من السلطة. ولاحظت للمرة الأولى بعض علامات الشيب على صدغيه، فقد كانت أكثر وضوحاً مع شعره الطويل. لاحظت أنني أرمقه بنظراتي، فأشحت بنظري عنه. لو كان التهرب من اللحظات الحميمة لعبة أوليمبية، لكنت فزت بالميدالية الذهبية.

عندما فتح زجاجة الشراب، كنت قد انتهيت من فحص رسائل البريد الإلكتروني المتعلقة بالأخبار العاجلة والمواقع المعتادة. فهي تنهال طوال اليوم مثل الانهيارات الثلجية.

قال وهو يجلس: "لقد عملت كثيراً".

قطبت جبيني وقلت: "أنت من يقول هذا؟"، كان الشراب الذي أحضره بوكس له مذاق لاذع.

قال: "حسنًا، كان هذا شيئاً أدركته عن نفسي عندما تركت المباحث الفيدرالية، فالحياة لا تدور بأكملها حول العمل".

"حقاً؟ هل قررت فجأة أن تكرس حياتك لتسلق الجبال، واللهو؟".

فقال: "لا تقللي من شأن ما أقوله".

"أنا لم أقل من شأنك على الإطلاق".

أخذ بوكس رشفة كبيرة من الشراب وتلذذ بمذاقه في فمه قبل أن يبتلعه ثم أطلق تنهيدة تنم على استمتاعه به، وقال: "عندما تتركيني قبيل لحظات من زواجنا فإن هذا نوع من التقليل من الشأن".

فقلت: "لم يكن ذلك تقليلاً من شأنك".

"حقاً؟ ماذا كان إذن؟ هل هو مجاملة؟ نوع من التشجيع؟".

أفضل بوكس أكثر عندما يكون في هذه الحالة من الأريحية والتهكم والاسترخاء.

فقلت: "كان... قراراً مصيرياً".

فغمز لي وقال: "أوووووه، أشعر بتحسن بالفعل، انسي الأمر يا طفلتي، لقد تخطيته. تناولي طعامك، فعليك أن تثيري إعجاب فريقنا غداً".

الفصل 17

"جلسة جراهام"

التسجيل #٥

٢٩ أغسطس، ٢٠١٢

مرحباً؟ أهلاً يا عزيزتي! أنا في فضل حال. ماذا... أوه، حقاً؟ رائع. ماذا؟
الإشارة ضعيفة هنا... أوه، أنا في مدينة شامبين بولاية إلينوي. أتذكرين
شركة صيانة المواقع التي أخبرتك عنها، بيكتشر بيرفكت ديزاين التي يمتلكها
كورتس فالنتين؟ حسناً، أنا الآن في مكتبه في القبو وأريد أن أخبرك بأن المكان
مدهش! أفضل حتى مما كنا نعتقد!

كورتس، معذرة، أتمنى ألا تمنع في أن آخذ هذه المكالمة - لقد كنا نتحدث
عن هذا الموعد طوال الأسبوع.

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صوت مهمات لرجل لا يمكن سماعها
جيداً).

حسناً، سأبتعد عن كورتس للحظة لأخبركم بشيء يا جمهوري. لقد قلت إنني
لن أسمح لكم برؤية أو سماع ما أفعله عن قرب لبعض الوقت ولن أفعل ذلك، فأنا
سأغلق المسجل قبل أن أبدأ فيما سأفعله، لكن عليكم أن تروا براعتي، وكيف
اكتسبت ثقته تماماً؛ لدرجة أنني أستطيع أن أسير خلفه وأسرق حياته. كم من

الممكن أن يصبح الأمر هيناً إذا تحليلتم بالانضباط والتركيز. أجل، أظن أنني أريدكم أيضاً تدركوا مدى إثارة هذا الأمر بالنسبة لي؛ فالأمر لم يفقد زخمه بعد مهما تكرر. كنت أتمنى لو أنكم تستطيعون الشعور بفورة الحماس التي تتأبني، وقلبي الذي سيقفز من السعادة، وبالحيوية التي تملأ عروقي، وبالنشوة التي تغمرني. لقد فهمتم، أليس كذلك؟ الأمر لا يتعلق بالكره؛ بل بالحب.

لا بأس، دعونا نفعل ذلك. لنعد إلى كورتس بعد، ٢...٢...١...

على أية حال يا عزيزتي، عليك أن تري ما يمكن لكورتس أن يفعله مع أي موقع. أعتقد أننا نستطيع أن نعقد بعض الصفقات المجنونة مع هذا الرجل. إنه جالس الآن إلي مكتبه، ولديه، كم لديك يا كورتس، أربعة... أربعة أجهزة كمبيوتر مختلفة تعمل معاً، وهو في هذه المنطقة منغمس فيما يفعله، كأنه... كأنه ليست لديه فكرة عما سأفعله به.

(النهاية)

18

وصلنا أنا وبوكس إلى مكتب ديك في الخامسة مساءً وفقاً للتعليمات، لكن تم توجيهنا إلى قاعة اجتماعات في نهاية البهو. وتحديد موعد هذا الاجتماع في نهاية يوم العمل رسالة في حد ذاتها، تقول إن المدعو ديك لا يخطط لتكريس الكثير من الوقت للجلوس معنا. لكنه زاد الأمر سوءاً حينما تركنا ننتظره لأكثر من ساعتين إلى أن رأيناه أخيراً في الساعة السابعة والرابع يسير بخطى وثيدة إلى القاعة وهو يلوك شيئاً في فمه (ربما كان هذا الأحمق يتناول العشاء بينما كنا ننتظره)، ثم يلقي بنفسه بعدها على المقعد دون أن يرفع نظره إلينا. وقضى عشر دقائق في مسح نظارته بالقماشة الحريريّة نفسها، وهي طريقته في توضيح مدى أهميتنا لديه.

النظارة أولاً ثم التحقيق ثانياً.

كان قد أحضر معه شخصين وهما استشاري عقود وعميل سابق يُدعى دينيس ساسر، ومحللة أبحاث تسمى صوفي تالاماس، وقد بدا أنهما بقية فريقنا.

كانت البقع الداكنة تملأ جبهة ديني ساسر الذي لم يكن الشيب قد طال إلا الخصلات الأمامية من شعره، وكانت عيناه غائرتين وكتفاه ضيقتين مقوستين. كان قد بلغ سن التقاعد الإلزامية في السابعة والخمسين من عمره ولم يتقاعد إلا بعد عدة استثناءات له من المدير. لكنه استمر كمستشار خارجي وعمل في عدة مجالات منذ ذلك الحين، كان آخرها مصادرة الأصول، وهي مهمة

كريهة كالطاعون. فعادة ما تعني هذه المهمة: لن نجد عقدك أيها الصديق. لذلك فإنه لم يعد يحاول تسلق درجات السلم الوظيفي، وهذا شيء جيد، لأنني لا أعتقد أنه بإمكانه تسلق أي سلم حتى إذا قمت بعقد يديك معاً أسفل قدميه ودفعته. إنه يعمل مع المباحث الفيدرالية من قبل اختراع الكهرباء. فقد أخبرنا ديك بأن ديني عمل فيما مضى في بعض قضايا الحرائق المفتعلة، لكنني أراهن بقسط رهني العقاري على أن تلك القضايا حدثت في أزمئة سحيقة عندما اكتشف الإنسان الأول النار بينما كان يضرب حجرين ببعضهما حتى يستطيع أن يطهو الديناصور الذي قتله بالحربة وسحبه إلى الكهف.

لم أكن أعرف صوفي تالاماس، فلا بد أنها جديدة. فهي تصغرنني في العمر (وهذا للأسف لا يعني الكثير) وتفوقتي جمالاً (انظر التعليق السابق). لم تكن لدي فكرة ما إذا كانت جيدة في عملها أم لا، لكنها ربما لا تزال تفتقد الخبرة، وستحتاج إلى بعض العناية التي ليس لدي وقت لها. وبالتالي؛ لا تستطيع أن تطلق عليه الفريق المثالي، وكان ديك على يقين من ذلك.

فهو يعدنا للفشل.

قال ديكنسون وهو ينظف آخر بقعة من نظارته: "حسناً، أنا لن... أهدر مصادر ثمينة... على تحقيق الهدف منه التقصي عن معلومات غير مؤكدة". ثم ارتدى نظارته، ورمقنا بنظرة ازدراء وأضاف: "لقد راجعت ذلك الذي أجرته إيمي وتسمونه بحثاً، وحتى الآن ما حصلت إليه هو أنه لا يوجد شيء يثير الريبة. هناك بالطبع مجموعة من الحرائق، لكن في هذه البلاد هناك حرائق تندلع كل يوم وهناك وفيات تسقط بها. كل ما رأيته هنا هو أن إيمي جمعت قائمة من الحرائق وصفها المحققون بأنها حوادث عرضية". ثم هز رأسه وأضاف: "لا أرى هنا قضية واحدة يمكن للولايات المتحدة أن تحصل بها على إدانة صريحة في المحكمة".

علقت: "هذا حقيقي، فهو محترف".

فقال ديك: "مجرم محترف أم أنه لا يوجد مجرم من الأساس: فتلك الحرائق كانت عرضية بالفعل".

قال ديني ساسر وهو ويرفع يده من فوق الطاولة مشيراً إلى أنه، في الواقع، قادر على الحركة: "إذا جاز لي القول يا سيدتي فأنا لا أرى سمة مشتركة بين تلك القضايا. فالمدن التي وقعت بها تلك الحرائق مختلفة وكذلك الضحايا - فهم يتنوعون ما بين الرجال والنساء وذوي البشرة السمراء والبيضاء واللاتينيين والإسبانيين والشباب والكبار والأغنياء وميسوري الحال والفقراء. فما الشيء المشترك بين هذه الحرائق؟"

قال بوكس: "تحدث تلك الحرائق كل يوم فيما عدا يوم الأحد، لذا علينا أن نأخذ في الاعتبار أن هناك وجهة نظر روحية في الأمر. ربما هناك علاقة روحية تربط الضحايا، فلعلهم جميعاً آثمون، لذلك يلاحقهم شخص متعصب ليلقي بهم في النار، أو ربما كان ذلك نوعاً من عقاب الآخرين."

علي أن أعترف بأنني لاحظت أن تلك الحوادث لا تقع في أيام الأحد لكنني لم أر في هذا دلالة على شيء. لكن بوكس انتبه لذلك، وكان هذا هو أول شيء يلاحظه، وهذا هو ما كنت أحتاج إليه من أجله.

قال ساسر: "عقاب؟! أتقصد بسبب الحريق؟"

فهز بوكس كتفيه وقال: "ربما، وينبغي أن نأخذ في الاعتبار تحليل الأرقام، كالتواريخ أو عناوين الضحايا أو أعمارهم، وعلاقتها بالرقم الشهير ٦٦٦ والذي قيل إنه رقم الشيطان، وما إلى ذلك... ستكون هذه المهمة جيدة لك يا صوفي".

رفعت صوفي، ذات العينين البنيتين الكبيرتين والشعر الأشقر الحريري والوجه الرقيق الصغير، رأسها، وقالت: "حسناً أيها العميل بوكمان".

فقال: "اسمي بوكس، يناديني الجميع بـ بوكس".

فقالت: "حسناً يا بوكس"، وتبادلا الابتسامات.

حتى ديكنسون كان يبتسم، لكنه كان يبتسم لي؛ ابتسامة عريضة تتم عن الشماتة.

أوه، أيها الماكر الصغير - لقد أشركت صوفي في الفريق؛ لأنك تعلم أن بوكس سينجذب لها.

كفى يا إيمي، تمالكي أعصابك. هذه هي الفرصة التي كنت تنتظرينها، حان وقت العمل.

حان وقت تفسير بعض الأشياء لهؤلاء الأشخاص.

الفصل 19

قلت: "لم يتم التحقيق في هذه القضايا بطريقة صحيحة، وقد اعتمدت السلطات المحلية على الإجابة السهلة، وهي بالضبط ما أعطاهم الجاني إياها في قضيتنا: اندلعت الحرائق لسبب عرضي يمكن تفسيره بسهولة. من السهل حجب الأدلة في الحرائق المتعمدة، لأن أسنة اللهب تلتهمها. في بعض الأحيان يسهل مرتكب الجريمة الأمر عليك برش مواد مساعدة على الاشتعال حول المكان - مثل الجازولين أو الكيروسين - والتي يمكن اكتشافها بعد ذلك. ولكن بخلاف ذلك، عادة ما تكتشف الحرائق المتعمدة بطرق لا علاقة بها بالمنطق على الإطلاق، كأن يعثر في مكان الحادث على قنينة بنزين أو زجاجة مولوتوف؛ أو على سكين بجوار خط الغاز المقطوع؛ أو تقارير لشهود عيان رأوا شخصاً يفر من مكان الحادث في منتصف الليل؛ أو ربما حتى وجود دافع قوي وراء ارتكاب الجريمة، إما مالي أو بعض الخلافات الشخصية. فما أقصده هو أنه إذا كان مرتكب الجريمة حذراً ودقيقاً، يمكنه عادة إخفاء أي دليل على جريمته. وأعتقد أن الجاني في قضيتنا شديد الحذر؛ حيث إنه لا يترك أي شيء وراءه من شأنه أن يثير الشكوك، ويختار ضحايا ليست له صلة بهم، وعلاوة على ذلك، يسلم المحققون تفسيراً سهلاً على طبق من الفضة. فماذا سيختار المحققون حينها؟ سيلجأون إلى التفسير السهل في كل مرة بالتأكيد".

أوماً ديني، الذي كان يستمع لحدِيثي بانتباه، لكنني كنت أدرك أنني لم أكسبه في صفي بعد، ثم قال: "آنسة دوكري".

"نادني إيمي". إذا كانت صوفي ستعامل مع بوكس بشكل غير رسمي، فيمكن لديني أن يفعل معي الشيء ذاته. لكن هذا لا يجعلني بطريقة ما أشعر بأنني عادلت النتيجة. فقد حصل بوكس على باربي جميلة الجميلات، بينما حصلت أنا على الجد والتون العجوز.

قال ديني: "علينا أن ننظر يا إيمي في إمكانية أن تكون الإجابة السهلة هي الإجابة الصحيحة، فإذا كان هناك شيء واحد تعلمته خلال أكثر من ثلاثين عاماً في العمل فهو أن الإجابة الأبسط هي عادةً الإجابة الصحيحة. إنك تطلبين منا أن نصدق أن هناك مجرماً عبقرياً وراء هذه الجرائم، ومبرررك الوحيد هو أنه لا يوجد دليل على أن الحرائق متعمدة".

هذا مفهوم، ولذلك في الواقع يتقن هذا المجرم ما يفعله، لأن الدليل على أنه مشعل الحرائق هو غياب الدليل على أن الحريق متعمد.

فاعترفت قائلة: "أنا لا أملك كل الإجابات، ونحن بحاجة إلى إجراء تشريح للجثث وتحليلات جنائية لمسارح الجرائم ومقابلات مع الشهود وكل شيء".

فقال ديك: "نحن لا نملك الموارد لذلك".

"ثم علينا أن نقنع السلطات المحلية بفعل ذلك".

فسألني ديني ساسر: "بناءً على ماذا؟ فأنا لا أرى الدليل".

واندفع ديك قائلاً: "ولا أنا". نظرت إلى بوكس الذي أجابني بإيماءة جافة. وقال: "أريهم".

الفصل مكتبة

20

t.me/t_pdf

وضعتُ خريطةً للولايات المتحدة بحجم ملصق كبير على حامل بالقرب من نهاية طاولة الاجتماعات. ووضعت على الخريطة نجومًا صغيرة؛ حيث وقعت الحرائق. وكان عددها أربعًا وخمسين نجمة - اثنتين وثلاثين منها باللون الأحمر، واثنين وعشرين باللون الأزرق.

قلت: "ها هي الحرائق الأربعة والخمسون التي اندلعت منذ ذكرى يوم العمال في العام الماضي وحتى وقتنا هذا، لذا فتحن نتحدث عن عام كامل. كما ترون، وقعت الحرائق في جميع أنحاء البلاد، من كاليفورنيا إلى نيويورك، ومن تكساس إلى مينيسوتا، ومن واشنطن إلى شمال غرب فلوريدا. أربعة وخمسون حريقًا صنفت على أنها حوادث عرضية وأسفرت عن أربع وخمسين ضحية".

ساد الصمت الغرفة؛ إذ إن رائحة الموت حاضرة، وهي لها تأثيرها حتى بالنسبة لرجال القانون المعتادين عليها. وحتى لو كنت مخطئة تمامًا فيما أقول، فأربعة وخمسون رقم ضخم، ولا يوجد مجال للمرح أو المزاح.

وأضفت: "أعتقد أن هذه الحرائق الأربعة والخمسين مرتبطة ببعضها. لكن لماذا تختلف عن المئات، إن لم يكن الآلاف، من الحرائق الأخرى التي تشتعل في المنازل في جميع أنحاء البلاد سنويًا؟ الإجابة هي أن تلك الحرائق بها ما يميزها عن الحرائق الأخرى؛ لأنها تشترك في أربعة أشياء. أولاً، صنفت جميعها على أنها حوادث عرضية. ثانيًا، دائمًا ما تكون هناك ضحية واحدة فقط. ثالثًا،

في كل من تلك الحرائق، عثر على الضحية عند نقطة نشوب الحريق - بعبارة أخرى، كان يعثر على الضحية متوفاة في الغرفة ذاتها التي اندلع فيها الحريق. ورابعاً؛ دائماً ما تكون تلك الغرفة هي غرفة النوم". فسأل ديني ساسر: "وما الغريب في ذلك؟".

قلت: "بل إنه شديد الغرابة، الحرائق لا تندلع عادة في غرف النوم. فالغالبية العظمى من حرائق المنازل تنشب في المطابخ. والبعض منها ينشب عند خطوط الغاز المعطلة في الأقبية أو غرف الغسيل. والبعض الآخر ينشب بسبب الأسلاك الكهربائية المكدسة التي غالباً ما تكون بالقرب من مصادر الحرارة خلف أجهزة التسجيل، وأشياء من هذا القبيل. لكن غرف النوم؟ فهذا شيء غريب للغاية". أخذ ديني ذلك بعين الاعتبار وقال: "لم أدرس الإحصائيات الأخيرة".

فابتسمت له وقلت: "أنا درستها، لكن بغض النظر عن الغرفة التي نشبت فيها الحرائق، فإن معظم الناس لا يموتون عند مصدر الحريق، بل يركضون بعيداً عنه هرباً بحياتهم. فما يحدث عادة في الحرائق التي تخلف ضحايا هو أن الحريق يندلع في مكان ما في المنزل - المطبخ أو غرفة الغسيل - وتبدأ النيران في الانتشار، بينما سكان المنزل نائمون في أسرّتهم. وتحدث الوفاة في الأغلب بسبب استنشاق الضحايا للدخان بعدما لا يجدون سبيلاً للهروب والنجاة بحياتهم. فهم لا يحترقون عادةً حتى يصبحوا هشياً بينما يستلقون في أسرّتهم. ولكن في كل من تلك الحرائق الأربعة والخمسين، توفيت الضحية في الغرفة ذاتها التي اندلعت النيران فيها، وفي العديد من هذه الحالات، عثر على الجثة ملقاة على السرير أو بالقرب منه".

فقال ساسر: "أجل، ولكن يمكن لهذا أن يحدث بالصدفة".

"بالتأكيد يا ديني. في الواقع، لقد عبرت عن مشاعر أربع وخمسين مجموعة مختلفة من محققي الحرائق، فكل منها قررت أن الحريق الذي كانت تحقق فيه حادث عرضي. هذا ممكن بالتأكيد عند النظر فحسب إلى حادثة واحدة - لا سيما عندما يجدون سبباً واضحاً، أو ما يسمى عرضياً، للحريق، وهو ما يقدمه لهم دائماً الجاني في قضيتنا. فهم يأخذون بالإجابة السهلة بدلاً من الاعتقاد أن هناك مؤامرة شيطانية. لكننا لا نبحث حادثة واحدة، بل نرى أن هناك أربعاً وخمسين حادثة وقعت في عام واحد. أعتقد أن هذا نمط متكرر".

أصبحت الآن أمتلك انتباه كل من في الغرفة. لست بارعة في قراءة الوجوه، لكنني أعتقد أنني قد تجاوزت معهم أول عقبة في طريق الاقتناع؛ ربما لم يقتنع أحد حتى الآن، لكنني أيضاً لم أبالغ في الأمر.

فاستطردت: "لكن دعونا نوضح الأمر أكثر من ذلك: لنبدأ بالأشهر الأربعة الأخيرة من العام الماضي - تقريباً بداية من ذكرى يوم العمال - وصولاً لنهاية العام أو الثاني من يناير لأكون محددة. ولنركز الآن على النجوم الحمراء الموجودة على الخريطة، والتي تمثل اثنين وثلاثين حريقاً اندلعت خلال تلك الفترة. نلاحظ أن هذه الحرائق وقعت في أماكن متفرقة عبر البلاد فيما عدا منطقة الغرب الأوسط. وقد أسفر عن تلك الاثنتين والثلاثين حريقاً سقوط العدد ذاته من الضحايا". وقع الحريق الأخير في تلك الفترة، وتحديداً في الثاني من يناير، في مدينة بيوريا بولاية أريزونا. لا أزال أتذكر المكالمة الهاتفية التي تلقيتها من أمي وصوتها يملؤه الذعر حتى إنها كانت عاجزة عن النطق. فقد قالت حينها "مارتا، مارتا... أختك...". استغرق مني الأمر أكثر من خمس دقائق حتى أجعلها تنهي الجملة، لكن بعد عدة محاولات كان شعوري بالذعر قد بدأ يزداد، إذ أصبح واضحاً أن الأخبار التي تحملها لي هي الأسوأ على الإطلاق. فقلت لها وأنا أصرخ "مارتا ماذا يا أمي؟"، كان صوتي متهدجاً، وركبتي مرتعشتين وكنت أشعر كأن الأرض تنهار من تحتي. "ماذا حدث لمارتا؟".

قال بوكس: "إذن أمامنا اثنان وثلاثون حريقاً اندلعت في أربعة أشهر"، لأنه كان يساعدي على أن أستفيق من استغراقي في تلك الذكريات. فأومأت له إيماءة امتنان وعدت إلى تركيزي.

وقلت: "هذا صحيح. وبالتالي فهناك حريقان تقريباً يندلعان في الأسبوع. وكما ترون على الخريطة، تنقسم الحرائق إلى مجموعات يتكون كل منها من حريقين. هناك حريقان في ولاية كاليفورنيا - بمدينتي بيدمونت ونوفاتو - في الأسبوع ذاته من شهر سبتمبر. وحريقان في ولاية مينيسوتا - بمدينتي إدينا وسانت كلاود - في الأسبوع ذاته من شهر أكتوبر. إذن فالجاني شخص رحالة، فهو يشرع في رحلته بداية من ذكرى يوم العمال حتى رأس السنة تقريباً، ولا أعرف السبب".

كان الجميع منتبهاً، إن لم يكن أكثر من مجرد انتباه، حتى صوفي اللطيفة تدوّن ملاحظات تدل على أنها، في الواقع، تعرف كيف تتهجى أو على الأقل تشخبط.

أضفت: "لننتقل بعد ذلك إلى الفترة الزمنية الثانية، والتي تبدأ من مطلع هذا العام حتى الآن، وهذا هو الوقت الذي بدأنا نعرف فيه أكثر عن هدفنا".

الفصل 21

استطردت: "المرحلة الثانية من الموجة الإجرامية لهذا المنحرف استغرقت ما يقرب من ثمانية أشهر، بداية من شهر يناير لهذا العام حتى يومنا هذا، وتمثلها النجوم الزرقاء الموجودة على الخريطة. خلال هذه الفترة، اندلع اثنان وعشرون حريقاً أسفرت عن اثنتين وعشرين ضحية بالضبط، بمعنى أن هناك ضحية لكل حريق. إنه لأمر دقيق للغاية، أليس كذلك؟".

أوماً ديني ساسر وصوفي تالاماس. أما بوكس فكانت إيماءته قوية رغم أنه كان قد سمع هذا من قبل. لكن ديك كان سلبياً في ردة فعله، فهو لم يظهر أية دلالة على أفكاره.

رسمت بالمؤشر دائرة حول النجوم الزرقاء، وقلت: "لكن الجاني لم يسافر خلال تلك المرحلة الثانية، أليس كذلك؟".

هز بوكس رأسه وقال: "بالفعل، لقد حدث الاثنان والعشرون حريقاً في منطقة الغرب الأوسط".

"هذا صحيح، فقد وقعت في ولايات إلينوي، وويسكونسين، وأيوا، وإنديانا، وميسوري، وكانساس. وحدث ذلك بداية من منتصف يناير وحتى الأسبوع الماضي، وأقصد ذلك الحريق الذي اندلع في مدينة ليسل بولاية إلينوي. إذن نشب اثنان وعشرون حريقاً فقط خلال ما يقرب من ثمانية أشهر. فبعد أن كان يشعل حريقين في الأسبوع، أصبح الآن يشعل ما يقرب من ثلاثة حرائق في الشهر. لماذا؟".

نظرت إلى الفريق، كأنني معلمة تحتبر طلابها.

وعندما لا يجيبون، أجيب أنا بالإجابة عنهم.

فقلت: "لأنه بدأ يستغرق وقتاً أطول في اختيار ضحاياه".

ومرة أخرى، لم يجب أحد. خطر لي أنني قد أكون أزعجتهم بأسلوب السؤال والجواب الذي اتبعته، لكن في الواقع بدا أنهم يستمعون به. فجميع من في

الغرفة، تقريباً، التحقوا بمجال إنفاذ القانون لأنهم يحبون حل الألغاز.

سأل ديك: "ولماذا يفعل ذلك؟"، كانت هذه هي المرة الأولى على الإطلاق

التي يشارك فيها في الحديث، ولم أكن أعرف إذا كان يجب أن أتعامل مع ذلك على أنه علامة جيدة أم سيئة.

فقلت: "أعتقد لأنه يعيش في الغرب الأوسط، فحياته هناك ستطفي على ما

يفعله، كالعمل والأصدقاء وما إلى ذلك. أما عندما يسافر، فهو يهرب من كل ذلك ويرتكب جرائمه. لكن في المنزل؟ سيكون لديه عمل يذهب إليه وأصدقاء

وعائلة يعتني بهم".

فقال بوكس: "وسيكون عليه أيضاً أن يكون أكثر حذراً إذا كان يقتل بالقرب

من المنزل، فهو يزيد هكذا من فرص القبض عليه، وزيادة الحذر تعني ترك مزيد من الوقت بين الضحايا".

فقلت: "بالضبط، لقد لاحظت أن كل جريمة يرتكبها في منطقة الغرب

الأوسط تقع في منطقة سلطة قضائية مختلفة، ومدينة مختلفة، ومقاطعة مختلفة. فهو يحرص على ألا يرتكب الجريمة ذاتها مرتين في منطقة السلطة

القضائية ذاتها، خشية أن يبدأ الناس في النظر إلى تلك الجرائم كوحدة واحدة وليس كلا على حدة".

قال ديني ساسر: "قلت إنه دائماً ما يتم العثور على الضحايا عند نقطة

نشوب الحريق، حيث تندلع النيران، هل هناك سبب يدفع الجاني لفعل ذلك؟".

أجبت: "بالتأكيد، نقطة نشوب الحريق هي النقطة التي تشتعل فيها النيران لوقت أطول، ومن ثم تكون النيران في أوج اشتعالها عند هذه النقطة، حيث يحدث الضرر الأكبر، ومن الأرجح أن تدمر الأدلة".

"آه، إذن أنت تعتقدين أنه يستخدم النيران لتدمير الأدلة على جريمته".

"أجل، فمهما كان ما يفعله في الضحايا، فإنه يحرص على ألا نعثر على أدلة تكشف لنا فعلته. ولا يريد لنا أن نجري تشریحًا للجثة، فهو يريد أن يتأكد أنه لا توجد..."

تذكرت مارتا وانسد حلقي.

قالت صوفي: "...لا توجد جثة صالحة للتشريح".

أومأت عاجزة عن الكلام. لا أزال أتذكر أمني وهي تصرخ في متعهد دفن الموتى، ومحقق الشرطة، وفي أي شخص ربما كان يسمعها، وتقول: "ألا أستطيع حتى أن أدفن ابنتي؟ ألا أستطيع حتى أن أدفنها بمراسم وشعائر صحيحة ومناسبة؟".

فتحنجت محاولة استعادة رباطة جأشي. لم يكن بوكس مخطئاً بشأن مخاطر التحقيق في جريمة تشمل شخصاً عزيزاً عليك، ولا أريد أن أصبح عبرة.

قال ديني ساسر: "إذن فالحريق هنا شيء ثانوي، بمعنى أنه لا يشعل الحرائق من أجل بعض الإثارة، ولكن لكي يغطي على جريمته. أهذا ما تقصدينه؟". فتحنجت مرة أخرى وقلت: "هذا ما أقصده، وما يفعله يستغرق وقتاً. لذلك يبحث عن الأشخاص الذين يعيشون بمفردهم، حتى يستطيع أن يسيطر عليهم ويقضي معهم ما يحتاج إليه من وقت. ثم عندما ينتهي من جريمته، يشعل أسرّتهم. وهو يعرف أنه في هذه الأيام، يمكن لرجال الإطفاء أن يصلوا خلال دقائق من اندلاع الحريق. فهو لا يبالي بما إذا كانوا سينجحون في إنقاذ بقية المنزل أم لا، طالما أن الضحايا سيتفحمون قبل أن يصلوا".

استوعب الجميع ما قلته. لم أكن على يقين ما إذا كنت أقتعت أيًا منهم أن هناك قاتلاً يرتكب هذه الجرائم أم لا، لكنني أقتعت الجميع بأن هناك سبباً معقولاً لفتح التحقيق.

فسأل ديني ساسر: "إذن من أين نبدأ؟".

فقلت: "سنبدأ من حيث يعيش، فهو يعيش في مكان ما في الغرب الأوسط. وإذا كان لي أن أخمن، سأقول إنه يعيش في مدينة شيكاغو، لذلك على الجميع أن يحزم أمتعته؛ لأننا سنسافر إلى شيكاغو".

الفصل 22

"جلسة جراهام"

التسجيل #٦

٣٠ أغسطس، ٢٠١٢

حسنًا، أظن أن هذا التسجيل يمكن أن يعتبر من الناحية الفنية جلسة منفصلة. لقد مر منتصف الليل، ونحن رسميًا الآن يوم الخميس. كان يومًا مشهودًا، ألا توافقونني على ذلك؟

كلا؟ لا شيء؟ حسنًا، بما أنني في حالة مزاجية جيدة، سأجيب عن الأسئلة الموجودة في حقيبة البريد.

كنت أتمنى لو كانت هناك حقًا حقيبة بريد، لأنني على يقين أن في جعبتكم الكثير من الأسئلة التي تريدون توجيهها لي. وستحاولون التوصل إلى الإجابة عن أكبر عدد ممكن منها من خلال هذه التسجيلات، وقراءة ما بين السطور، ودراسة اختياري للكلمات ونبرات صوتي وكل ما شابه، لكن سيكون الأمر لطيفًا إذا أجبتم فحسب عن بعض الأسئلة الشائعة.

لذلك من وقت لآخر، سأخمن ما قد تكون هذه الأسئلة وأجيب عنها بالإجابة عنكم. ومن ثم، إليكم الحلقة الأولى من صندوق بريد جراهام. لنستمع إلى

البداية الموسيقية من فضلك. ما هذا؟ يقال لي إننا لا نملك أية بداية موسيقية. عذراً، سأعمل على ذلك.

سؤال: كيف تختار ضحاياك؟

أبسط إجابة يمكن أن أعطيك إياها لك هي أنني أختار ما يلهمني. وما يلهمني في لحظة معينة يختلف في كل مرة، وبالتالي تختلف الضحايا. فلا يمكن لك أن تتوقع أن يكتب بيتهوفن السيمفونية ذاتها مرتين، أليس كذلك؟ أو أن يكتب تولستوي الرواية نفسها مرة ثانية؟

في بعض الأحيان أفتش عنهم، وفي أحيان أخرى هم الذين يأتون لي. أحياناً، يكون عليّ أن أصارع لفترة من الوقت حتى أصل إلى ما أبحث عنه، وفي أحيان أخرى، يأتي لي ببساطة وكأنه عطر غريب ينفخ أنفي. أنا، وفي كلمة واحدة، متذوق.

أفضل أحياناً قطعة لذيذة من لحم الضأن مع صلصة شيران، وأحياناً أخرى أفضل السلطعون مع المرطبات الباردة. وفي أوقات أخرى، أفضل شطيرة لحم البقر الإيطالي مع الفلفل ورقائق البطاطس بالملح والخل. لا أعرف ماذا سأفضل في المرة القادمة. لكن ما أعرفه فحسب هو أن معدتي ستبدأ جوعاً إن عاجلاً أو آجلاً.

سؤال: ما لونك المفضل؟

سأراهن على أنكم تعتقدون أن لوني المفضل هو الأحمر، أليس كذلك؟ حسناً، لقد اقتربت من الإجابة الصحيحة، إنه الأرجواني. فهو معقد وغريب يوحي لك بشغف اللون الأحمر وحزن اللون الأزرق وشورور اللون الأسود. وهو ليس باللون الذي يوحي بالسعادة أو الحزن، بل بالألم واليأس والشوق في الوقت ذاته – إنه يعبر عن رغبة شديدة ومستنزفة تقاوم وتصر على الانتصار، والمضي قدماً بدلاً من التراجع.

بالإضافة إلى ذلك، يبدو مناسباً للون شعري.

لدينا وقت لسؤال آخر: لماذا تشعل النار في ضحاياك؟

حسنًا دعنا نرى يا كورتس، هل أضمرت فيك النيران؟

(ملحوظة عند تفرغ التسجيل: أصوات لرجل يئن).

لا، لم أفعل ذلك. لقد فعلت بك الكثير من الأشياء يا كورتس، لكنني لم أضرم فيك النيران. لا تفقد عقلك الآن يا كورتس - سأحرقك عندما ينتهي هذا. ولكن هذه ستظل متعتنا السرية.

عذرًا لكم، كانت هذه مزحة داخلية صغيرة بيني وبين كورتس عن فقدان عقله. وإذا كان في هذا أي عزاء لك يا كورتس، فأنا أعترف بأن لديك أحد أجمل المخاخ التي رأيتها على الإطلاق. أفي هذا عزاء لك؟ هل تشعر بالارتياح؟ ربما ستشعر بمزيد من العزاء إذا تخلصت من هذه المرأة، أليس كذلك؟

(النهاية)

الفصل 23

لم يكن الملازم آدم ريسلر سعيداً برؤيتنا. لكنني لا ألومه، فقبل أسبوع، كان قد طوى صفحة هذه القضية، والآن ها نحن هنا لنفسد عليه عطلة ذكرى يوم العمال. كان زيه المنشئ بعناية يبدو مقرط الرسمية يزيد إحساسك بحرارة الجو في قيظ شهر أغسطس الذي لفحني لهيبه في أثناء نزولي من سيارة الجيب شيروكي التي حصلنا عليها من أسطول سيارات المكتب الميداني بشيكاغو.

لكنه كان يبدو أنيقاً في زيه، فهو وسيم وقوي البنية وحليق الذقن ذو الاستدارة المتناسبة مع وجهه، وحركاته تتم عن أنه قضى بعض الوقت في الجيش. لولا العرق المنهمر من شعره الممشط بعناية، والذي يسيل على ياقة زيه المكوية بدقة، لكان من الصعب أن أقول إنه يلحظ حرارة الجو.

"أظن أنك الملازم ريسلر، أليس كذلك؟"، سألته وأنا أحاول أن أبدو مسترخية وهادئة وواثقة بنفسي؛ إذ إن شعري بدأ يلتصق بقربتتي وجبهتي. فهمهم بالإيجاب دون أن يبادر بالمصافحة.

هبط ديني، الذي كان يبدو ذابلاً، بصعوبة من سيارته وانضم إليّ أنا وبوكس وصوفي على الرصيف حيث كنا نقف. فقمتم بمقدمات تعارف سريعة، فسارع ريسلر بمصافحة بوكس، معتقداً أنه القائد - والذي تصادف أنه كذلك، لكنه لم يكن يعرف ذلك، لكن كان تصرفه ينبع من منطلق التمييز الجنسي فحسب. لم يكن الوقت مناسباً كي أظهر له نزعتي لمناصرة المرأة. ثم رمق

ديني ساسر بنظرة تقول "أتمزحون معي": فقد كان دينس يبدو كأنه مخروط مثلجات نصف ذائب، لكنني بدأت أشك في أن لديه أكثر مما يظهر خلف عينيه الناعستين تلك. كان ريسلر يبدو أنه معجب للغاية بصوفي، كما يفعل أي رجل في صدره قلب ينبض. بادر ريسلر بالحديث: "أنسة دوكري، كما قلت لك في الهاتف، هذا الحريق واضح جداً أنه غير متعمد. فلا أفهم سبب حاجتك إلى رؤية مسرح الحادث. إذا كنت تستطيعين فقط إخباري بما تبحثين عنه، فأنا متأكد من أنني قد أساعدك".

"لقد ساعدتني بالفعل أيها الملازم، نحن فقط بحاجة لإلقاء نظرة على مسرح الحادث. هذا كل ما في الأمر". حذق في اللحظة، ثم التفت فجأة وسار متذمراً ناحية المنزل. أظن أنه لم تعجبه مرافقة محققي المباحث الفيدرالية والعناية بهم طيلة فترة الظهيرة.

توقفت للحظة لفحص أول وآخر منزل لجويل سوانسون. إنه منزل منعزل متواضع ومكون من طابقين بواجهة من الطوب وأعمدة دائرية في الجزء العلوي من الدرج الإسمنتي المؤدي إلى المدخل. كان المنزل، بل الحي بأكمله، جديداً تماماً، وتزدان باحة المنزل بأشجار قصيرة، باعثة على الأمل ومساحات عشبية صغيرة مخططة حديثاً وتطل من الطابق الثاني نوافذ مغطى بعضها بالخشب الأبلكاش، وكان من الواضح أن الكهرباء مقطوعة، بيد أنه لم تكن توجد أدلة أخرى تستحق الذكر على الدمار الذي حدث قبل أسبوع. فيما عدا تلك الرائحة.

رائحة القطران المحترق والبلاستيك المنصهر والسائل المتدفق في الأسفل من شيء لا يمكن تحديده، ولكن من الواضح أنه مادة كيميائية، وكان كل هذا مصحوباً برائحة لطيفة من الرطوبة والخشب المتفحم، تشبه تلك التي تصاحب نيران المخيم في فصل الخريف.

قال ريسلر: "دمرت النيران الجزء الخلفي من المنزل كما ترين، فقد احترقت غرفة النوم الخلفية تماماً، وكذلك الحمام الرئيسي والردهة. أما بقية المنزل فقد تضرر من الدخان فحسب، ولا يزال بالطبع كل شيء رطباً جراء إخماد الحريق، حتى بعد مرور أسبوع على الحادث".

توقفت للحظة لأستوعب كل شيء. بالنسبة لجميع الأبحاث التي أجريتها، كان هذا هو أول منزل محترق أدخله منذ حادثة مارتا. كان المنزل مختلفاً

تمامًا بالطبع. لكنه على أية حال أيقظ في نفسي ذكريات حادثة مارتا. كان منزل مارتا منزلًا عاديًا يقع في منطقة الجنوب الغربي؛ كانت مداخلة مستديرة، ويغطيه الكثير من القرميد، والألوان تنتشر فيه، وتتوسطه مساحة كبيرة مفتوحة. أما هذا المنزل، فهو يميل أكثر إلى الطراز الغرب الأوسط، حيث يتكون من طابقين، يحتوي الأول منه على غرفة معيشة وحمام للضيوف ومطبخ، بينما يضم الثاني غرفتي نوم وحمامًا.

توقفت عند قاعدة الدرج لأستجمع قواي. كان اللون الأسود يغطي الجدران بداية من منتصف الدرج في اتجاه الصعود، تاركًا آثاره في صورة زوايا وخطوط حادة تحدد بوضوح مسار أسنة اللهب قبل إخمادها. إنها "بقايا التضخم" كما علمت في منزل مارتا.

وصلت إلى منبسط الدرج وتوقفت مجددًا. عندما أغلقت عيني، استطعت أن أرى أسنة النيران المشتعلة التي كنت أراها في أحلامي - "أصابع النيران"، كما يطلق عليها رجال الإطفاء - تتسلق عبر السقف.

كان الدخان الساخن يموج مثل سطح المحيط قبل لحظات فحسب من انطلاق شرارة الحريق في الطابق الثاني كأنها طلقة مسدس أذنت لكل سطح قابل للاشتعال في المنزل بالبداية في الاشتعال، ليتحول ذلك المنزل المريح فجأة إلى أتون مستعر.

استطرد ريسلر حديثه، دون أن يدرك، حمدًا لله، لحظة التردد التي مررت بها: "كانت نقطة نشوب النيران هنا، في غرفة النوم الرئيسية، كوني حذرة، فقد كانت النيران في أشدها في هذه المساحة، إنها لم تصل إلى روافد الأرضية، لكنني لا أريد أن أكتشف حدوث دمار في هيكل المنزل بإسقاط أحد محققي المباحث الفيدرالية عبر الأرضية". ثم ضحك، هاهاهاها، نيران سريعة كطلقات مسدس، لتأكيد أنه يمزح. لكنني لم أكن متأكدة إذا كان يمزح أم لا.

وصلنا إلى غرفة النوم - "غرفة نوم جويل، وليس مارتا"، كان هذا ما حدث به نفسي؛ ومن ثم التقطت أنفاسي. كان السرير أو ما تبقى منه يقع في مواجهة باب غرفة النوم مباشرة. لم يكن شيئًا غريبًا، لكنه أيضًا لم يكن عاديًا، فكان يبدو كأنها هي ومارتا قرأتا مجلة تصاميم المنازل ذاتها، واختارتا التصميم نفسه لغرفة النوم. ولم تكن غرفة مارتا على هذه الوضعية في المرة الأخيرة التي زررتها فيها. لا بد أنها أعادت تنظيم غرفتها قبل وفاتها أو هكذا ظننت.

كانت للسريبر حشية كبيرة، وتجاوره منضدة صغيرة (أو على الأقل ما تبقى منها). وكانت هناك أيضًا بقايا كرسي قراءة كان وثيرًا ومصنوعًا بلا شك من مادة البولي يوريثين شديدة الاشتعال، إلى جانب أغطية ووسائد مريحة قابلة أيضًا للاشتعال بجوار النافذة، وأكوام من الرماد الرطب التي لعلها كانت أكوامًا من الكتب.

كانت في السقف فتحة تطل منها السماء علينا؛ حيث كان رجال الإطفاء قد فتحوها لمنع تكثف الدخان وانفجار المكان. أعتقد أنها كان ينبغي أن تمطر. فقد أمطرت من أجل مارتا، حتى في ولاية أريزونا، وفي شهر يناير.

بدأنا نحن الأربعة فحص الغرفة. لقد رفعت جثة جويل بالطبع، لكننا كنا نعرف أن بقاياها موجودة بين أنقاض الجانب الأيسر من السرير. وقد أظهرت الصور جسدها متخذًا الوضعية المتكورة للجسم المحترق، حيث كانت ساقاها متقوستين للخارج، ورسفاها ملتويتين للداخل، وذراعاها مثنيتين... وهو ما يسببه - كما عرفت - تعرض العضلات والأوتار للحرارة الشديدة وجفافها؛ ما يجعلها تجذب العظام لتبدو الصفة التشريحية للجنة وكأنها دمية ماريونت. كانت بقايا التفحم - حيث يمكن رؤيتها - تظهر على شكل حرف V على الجانب الأيمن من النافذة، وينتهي بالقرب من الأرضية وسط البقايا المتفحمة للمكتب الذي كان قد أشار إليه ريسلر بأنه نقطة نشوب الحريق. وكانت السجادة منصهرة ومحتركة تقريبًا بالكامل، رغم أن بعض الأماكن بها في الأركان البعيدة كانت لا تزال تظهر لونها الأصلي.

وبعد ساعتين من فحص كل شبر في الغرفة، أصبحت رائحتنا نحن الأربعة كرائحة عمال المحارق. لم يكن يوجد على الإطلاق أي دليل على وجود مادة مساعدة على الاشتعال، أو أية طريقة متعمدة لإشعال الحريق الذي يبدو أنه تسبب في وفاة السيدة سوانسون، ومن ثم كان لدى الملازم ريسلر وقسم شرطة ليسل كل الأسباب للوصول إلى النتيجة التي انتهوا إليها. لكنني أصبحت أكثر يقينًا من أي وقت مضى أن هذه هي أفعال ذلك المجرم.

الفصل 24

قلت لضريقي ونحن نستقر في قاعة المؤتمرات في مكتب شيكاغو الميداني التابع للمباحث الفيدرالية: "إذن ها هو ما نعرفه من معلومات".
"واحد: كانت هناك شمعة يبدو على الأرجح أنها نقطة نشوب الحريق بطريقة أو بأخرى".

"اثنان: انتشرت النيران سريعاً في الستائر وفي أنحاء الغرفة حتى وصلت إلى نقطة اللاعودة، واحترق كل شيء في الغرفة في وقت واحد".
"ثلاثة: كان هناك نظام إنذار في المنزل، ولكنه لم يكن مفعلاً وقت الحريق".

"أربعة: كانت هناك نافذة واحدة مفتوحة في غرفة النوم الاحتياطية في الجانب الآخر من الردهة. وكانت درجة الحرارة ثمانين وعشرين في الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم الحريق، وكان تكييف الهواء المركزي في وضعية التشغيل، لكنها تركت نافذة مفتوحة".

"خمسة: لم نتمكن من تحديد مكان أي شموع أخرى في المنزل، فلا يبدو أن جويل كانت تستخدم الشموع كثيراً".

" ستة: لم تتأثر النوافذ غير المكسورة أو غيرها من الأسطح الزجاجية بالدخان إلا قليلاً، ويبدو من آثار التفحم أن الحريق كان مرتفع الحرارة وسريع الاشتعال. وتشير تلك السمات في الغالب إلى أن الحريق اندلع بمادة مساعدة

على الاشتعال. ومع ذلك، لم نعثر على أي دليل على وجود هذه المادة بالقرب من منطقة نشوب الحريق، أو في أي مكان آخر".

"سبعة: "مثلث النار": الحرائق تحتاج إلى أكسجين ووقود وحرارة كي تشتعل. وكانت هناك كتب منتشرة في أنحاء الغرفة، والعديد منها كان مفتوحاً، وكانت توجد أيضاً أوراق على الأرض، فكان هذا هو الوقود. والشمعة التي تركت مشتعلة على أحد المكاتب القريبة للغاية من الستارة - كانت مصدر الحرارة. أما النافذة المواجهة للردهة - والتي تركت مفتوحة - فكانت تمثل مصدر الأكسجين. ولم يكن هذا هو مصدر الأكسجين الوحيد، بل إن مسار الهواء الذي كان يدخل من تلك النافذة كان ينتهي عند الجدار المقابل مباشرة للباب، وهو الموقع الدقيق لجسد السيدة سوانسون على السرير. ولأن النيران ستكون في أوجها عند الأماكن التي يصل إليها الأكسجين، فقد كانت جثة السيدة سوانسون في النقطة الأشد اشتعالاً في الغرفة؛ حيث احترقت بالكامل تقريباً في فترة زمنية قصيرة نسبياً، بما في ذلك جلدها، وطبقاتها الدهنية، وجزء كبير من عضلاتها".

"ثمانية: لم يتم استدعاء فريق عمل الحرائق المتعمدة في مقاطعة دوبيج. فقد صنف المحقق هذا الحريق على أنه عرضي، وهو ليست لديه مصلحة في إعادة فتح القضية. ولن يكون هناك تشريح للجثة إلا إذا استطعنا إقناع أحدهم بأن هناك سبباً لفعل ذلك، أو إلا إذا تولينا نحن التحقيق".

"تسعة: هناك ثلاثة وخمسون حريقاً آخر تشترك تقريباً في كل تلك الصفات. ومع وسائلها المحدودة على مدار الأشهر المعدودة الأخيرة، لم أتمكن من تحديد وضعية الأسرة في كل من غرف النوم الثلاث والخمسين الأخرى، لكنني حصلت على معلومات عن ثماني عشرة منها. وكلها... كانت تشترك في الشيء ذاته".

نظرت إلى بوكس نظرة حادة لعله يفهم: بما في ذلك حريق بيوريا. فتحدثت صوفي: "أعتقد أن تغيير كل هؤلاء الأشخاص لأماكن أثاث غرف نومهم بالطريقة ذاتها ليحترقوا بعد ذلك حتى الموت سيكون سبباً لإجراء بعض عمليات التشريح، أليس كذلك؟".

ربما لم تكن صوفي سيئة للغاية. سألها أكثر إذا زاد وزنها ثلاثة عشر كيلو جراماً وظهر في بشرتها بعض حب الشباب.

قال بوكس: "إذن فلنبدأ هناك، دعونا نتعرف على وضع تلك الأسرة في غرف النوم. ونهي العمل الذي بدأته إيمي".

فأومأت إلى بوكس وقلت: "الوقت يمر، فذكرى يوم العمال بعد يومين من الآن. وإذا كان بطل قضيتنا سيستمر فيما يفعله، فهذا يعني أنه على وشك أن يرتكب جريمته المقبلة، وأن يشرع في مزاولة عروضه بقتل شخصين في الأسبوع".

الفصل 25

"جلسة جراهام"

التسجيل #٧

١ سبتمبر، ٢٠١٢

مساء الخير أيها الصف، لن أتلقى الليلة أسئلة من الجمهور. أريد أن أقول بعض الكلمات عن الكذب الذي يمثل العنصر الأساسي في جعبة أي فنان محترم. الأكاذيب ساحرة؛ لأنها تكشف تناقضات مجتمعنا.

ما الكذب؟ إنه تشويه للحقيقة يقدم على أنه الحقيقة. إننا نقول عن الكذب إنه أمر سيئ، ونعلم الأطفال ألا يكذبوا، حتى إننا نزج بالناس في السجون بسبب الكذب، ومع ذلك هناك أكاذيب في كل مكان حولنا، ومعظم الوقت لا نحاول حتى أن نخفيها.

هل تتذكرون الإعلان التليفزيوني الذي كانت تظهر فيه العائلة السعيدة وهي تحشو بسعادة البطاطس المقلية وشرائح البرجر في أفواه بعضها مع المهرج المرح الذي كان ينظر إليها؟ كلنا نعرف أن هؤلاء ممثلون يتقاضون المال ليمثلوا أنهم عائلة سعيدة تستمتع بوقتها. لكنهم في الحقيقة لا يستمتعون بوقتهم، فربما اضطروا إلى إعادة تصوير هذا المشهد عشرين مرة بينما يعترهم التعب ويشعرون بالغثيان، وآخر شيء يريدون فعله هو دخول بطاطس

مقلية أخرى في أفواههم. وماذا عن شرائح البرجر السميكة والشهية التي تظهر في الإعلان - هل هي تلك التي تحصل عليها عندما تذهب إلى المطعم؟ لا يوجد شيء من هذا حقيقي، ونحن نعرف ذلك ولكننا لا نبالي.

نرى النساء يرتدين الملابس التي تخفي عيوب أجسادهن، بينما يقبض الرجال بطونهم إلى الداخل عندما تمر تلك النسوة. ويخفي موظفو المكاتب لعبة السوليتير عن شاشة الكمبيوتر عندما يمر المدير. أكاذيب وأكاذيب وأكاذيب. لقد تعلمت ألا تنعت الشخص السمين بأنه سمين، أو الشخص الغبي بأنه غبي. فنحن نخبر أطفالنا بأن هذا خطأ. لا تقل الحقيقة إذا كانت ستؤدي مشاعر شخص ما. وهذه الأكاذيب لا عيب فيها أيضًا - بل هي مرغوبة في الواقع.

إنني لا أشتكى، بل أعلق على الأمر فحسب. فأنا أستلهم من هذا وجهة نظر معينة. وهي: تقبل الأمر لأنه إذا كان الآخرون يكذبون، فعليك أيضًا أن تكذب، والا ستعلق في التيار المعاكس، ومن ثم تدور وتتخبط. وأنت لا تريد أن تدور وتتخبط، أليس كذلك؟

كما يمكنك أن تتخيل، فأنا محترف في الكذب. وإلا كيف يمكنني استدراج كل هؤلاء الأشخاص السذج ليسمحوا لي بالدخول في حياتهم، وعادة منازلهم؟ الكذب أمر سهل، لكن إتقانه صعب. إليك دليل جراهام في الكذب:

أولاً: لا تكذب أكثر مما يجب. نظرًا لأنك في هذه الفترة الزمنية، ستكون مع الهدف - سواء أكان ذلك لمدة ساعتين أو أسبوعين؛ أي أنك ستضطر إلى العيش بهذه الكذبة. إذا كنت تريد الاقتراب من الهدف الذي يتصادف أنه مدخن بأن تقول إنك تدخن أيضًا - وهذه الحيلة مجدية بالمناسبة، هناك أخوة غير معلنة بين جميع مستخدمي التبغ - إذن من الأفضل أن تكون مستعدًا للإشعال سيجارة كل بضع ساعات أو نحو ذلك. ما أفعله، عندما أستخدم هذه الحيلة، هو أنني أدعي أنني مدخن سابق، لذا بالطبع أحب التدخين، وربما أشارك الهدف التدخين هذه المرة فحسب، حتى أقيم علاقات ترابط مع هدفي، ولكن لدي عذر بعدم التدخين مرة أخرى إذا اضطررت إلى قضاء وقت أطول مع الهدف. ثانيًا: لا تسهب في التفاصيل في كذبتك أكثر مما يحتاج إليه الأمر. فكلما كان المرء أكثر غموضًا، زادت مساحة الحرية التي يمنحها لنفسه.

دعوني أعطكم مثلاً لما أتحدث عنه: لقد وجدت هذا الرجل الأخير، كورتس فالنتين، بسهولة لأنه يدير شركة لتصميم المواقع من منزله في مدينة شامبين، وله صفحة على موقع فيسبوك. وحتى أدخل منزله، كذبت عليه كذبتين:

١. أنني أستعد لفتح شركة استشارات وأحتاج إلى موقع إلكتروني.

٢. أنني استأجرت في البداية شخصاً آخر، لكنه خدعني وسرق أموالي. لم أكن لأستطيع عقد لقاء مع كورتس لو لم أكن في حاجة إلى خدماته، وبالتالي ادعيت أنني أملك شركة للاستشارات. لكنني قلت إنني سأفتح واحدة، بدلاً من أن أقول إنني أدير واحدة بالفعل، حتى لا يساور كورتس الشك إذا بحث عن شركتي على الإنترنت ولم يجد شيئاً.

لماذا كذبت الكذبة الثانية؟ لعدة أسباب: لا يلتقي معظم مصممي مواقع الويب بعملائهم، بل يكتفون بالتواصل عن طريق الهاتف والبريد الإلكتروني. ولكنني إذا كنت قد تعرضت لعملية احتيال من قبل، فمن المنطقي أن أرغب في أن أرى عمل هذا الرجل بنفسني للتأكد من أن الصفقة حقيقية. سيسمح لي هذا أيضاً أن أبدو متردداً عندما يطرح عليّ أسئلة مثل: ما نوع الاستشارات التي ستقوم بها؟ فهذا آخر سؤال أريد الإجابة عنه، لأنه لو قلت إنني كنت محققاً خاصاً أو مهندساً ميكانيكياً، لكان من الممكن أن يكون كورتس قد درس الهندسة الميكانيكية في الكلية، أو أن صديقاً له أو أخاه يعمل محققاً خاصاً، ومن ثم يكون عليّ فجأة أن أعرف شيئاً عن التحريات الخاصة أو الهندسة الميكانيكية. ولكن مع الكذبة رقم اثنين، يمكنني القول إنني أفضل ألا أقول حتى أعينك، نظراً لأنني، كما تعرف، تعرضت للاحتيال من قبل، وما إلى ذلك. لم أكذب أكثر من اللازم، فكل ما فعلته هو أن احتسيت مع كورتس بعض المشروعات عندما التقينا، ليتحدث هو عن كيفية مساعدته إياي على توسيع نشاطي التجاري المحتمل، بينما أبدو أنا منبهراً ولكنني متحسب بعض الشيء؛ نظراً لتعرضي للاحتيال، والشيء التالي الذي كان عليّ أن أعرفه هو أن الذهاب إلى منزله حتى أتمكن من رؤية عمله مباشرة كان فكرته هو.

أي أسئلة أخرى؟ جيد. فلتنصرفوا الآن أيها الصف. لكن لا تذهبوا بعيداً -

فما زال لدينا الكثير من المتعة أقرب مما تتخيلون!

(النهاية)

الفصل 26

تقريبًا لا يغلق مبنى المباحث الفيدرالية القابع في شارع روزفلت رود في شيكاغو أبوابه مطلقًا؛ لأن المباحث الفيدرالية نفسها لا تغلق أبوابها من الأصل. ولكنه يوم ذكرى العمال، وبعد ساعات العمل في ذلك اليوم، يصبح المبنى خاويًا أكثر من أي وقت آخر. وفي الطابق الثامن، حيث تقع جراتنا المؤقتة، كان المكان خاويًا على عروشه.

فريقنا المكون من أربعة أشخاص، إيمانًا منا (أو على الأقل، إيمانًا مني) بأن الوقت حاسم في قضيتنا، يبذل قصارى جهده لإحراز تقدم، ومع أننا وصلنا يوم السبت في عطلة نهاية ذلك الأسبوع المكونة من ثلاثة أيام، لم يمر علينا حتى الآن يوم عمل عادي. ومع ذلك، نحاول إجراء الأشياء التي تحتاج إلى تعامل مباشر وشخصي؛ حيث نستدعي رجال الشرطة المحليين أو رؤساء شرطة المقاطعات في جميع الولايات القضائية التي ارتكب فيها هدفنا جرائمه، ونطلب منهم إخراج الملفات المتعلقة بالحرائق "العرضية" من الأدراج حتى يتمكنوا من إخبارنا بوضعية السرير في غرف النوم حيث عثر على الضحايا. في بعض الأحيان، يمكن أن نسأل أيضًا محققي شركات التأمين، الذين يلتقطون صورًا أكثر من رجال الشرطة؛ لأن أموالهم مهددة بالضياح، لذلك سنتعقبهم عندما تعود دورة العمل غدًا إلى طبيعتها.

الأخبار الجيدة هي أن أجهزة الكمبيوتر لا علاقة لها بساعات العمل، لذلك ظللنا نحاول أنا وصوفي - بصفتنا محللي أبحاث - البحث عن أي عدد من الأشياء التي قد تشير إلى وجود نمط محدد يتكرر في كل حادثة. نحن نعلم (إذا كان من الممكن أن نقول إننا نعلم أي شيء بشأن هذه النقطة) أنه يختار الأشخاص الذين يعيشون بمفردهم، وأن كلاً من هؤلاء الضحايا يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي بطريقة أو بأخرى، سواء أكان فيسبوك أو تويتر أو لينكدإن، وما إلى ذلك. لكن لا بد أن هناك المزيد من المعلومات، فلا بد أن ثمة شيئاً يربط بين هؤلاء الأشخاص. فما من أحد يتصرف بطريقة عشوائية تماماً.

في السابعة صباحاً، نهضت لأمدد ساقى ونظرت خلسة إلى المكتب المجاور لي، حيث كان بوكس يجلس، فوجدته يقول: "شكراً لك أيها القائد، سيكون هذا محل تقدير كبير"، ثم أدار عينيه عندما رأني واستأنف حديثه قائلاً: "اتصل بي في أي وقت من اليوم... طابت ليلتك أيضاً".

وأنتهى المحادثة الهاتفية. لقد كان يجري اتصالات بكمبار الضباط في الولايات القضائية المحلية، في محاولة لإقناعهم بإعادة فتح التحقيقات أو - على الأقل - إجراء تشريح للجثث. كانت المشكلة هي أنه حتى إذا تولت المباحث الفيدرالية التحقيق بدلاً من السلطات المحلية، فإن كل هؤلاء الضحايا قد دفنوا بالفعل، لذلك فإن تشريح الجثة سيتطلب منا أولاً طلب التماس من المحكمة لتصدر قراراً باستخراج الجثث.

قال بوكس: "قال لي إنه سيتحدث إلى العائلة بشأن استخراج الجثة".

"لست بحاجة إلى استئذان العائلة".

فأوماً وقال: "لكن علينا أن نبدأ من هنا، لأننا إذا حصلنا على موافقة العائلة، يمكننا تجنب اللجوء إلى المحكمة. على أية حال، أعتقد أنه يبحث عن مجرد سبب لتجاهل طلبنا". ثم أطلق تنهيدة.

واستطرد: "هذه الأقسام أغلقت تلك القضايا يا إيمي منذ عدة أشهر في بعض الحالات. فإذا أردنا أن نجري تشريحاً للجثث، سيكون علينا أن نذهب إلى المحاكم المحلية لكل ولاية للحصول على إذن باستخراج الجثة؛ وهذا بافتراض أن المدعي المحلي مستعد لمساندتنا، وهو ليس بالأمر الهين".

"إذن سنحاول".

"صحيح، لكن هل تعرفين كم سيستغرق هذا الأمر؟ بضعة أسابيع على الأقل. فديكنسون لم يوفر لنا الطاقة البشرية".

"هل لنا أن نستعين بمزيد من العملاء؟"

"إنه مأزق محير يا سيدتي".

فقلت: "أنت محق". هذه العبارة الشهيرة هي خير ما يصف ما نحن فيه؛ فلا نستطيع أن نستعين بمزيد من العملاء حتى نقدم لديكنسون بعض الأدلة الدامغة، ولا نستطيع أن نقدم هذه الأدلة إلا إذا استعنا بمزيد من العملاء.

وفي أثناء ذلك كله، يواصل المجرم قتل ضحاياه.

لذلك أعلق الكثير من الآمال على حالتي الوفاة الأخيرتين، وهي جويل سوانسون في ليسل بولاية إلينوي، والرجل الذي يُدعى كورتس فالنتين في مدينة شامبين بالولاية ذاتها. لم نذهب إلى موقع الحادث في تشامبيجن، لكن المحقق المرافق لقسم شرطة شامبين تفضل بتصوير المنزل بأكمله، وأرسل لي الفيديو على البريد الإلكتروني. كان منزلاً عائلياً، وليست بناية، إلا أن هناك تشابهاً مذهلاً بين وفاة كورتس فالنتين وجويل سوانسون، كالحريق الذي نشب في غرفة النوم، والعتور على الضحية في الغرفة ذاتها، ووجود الشمعة كمصدر محتمل لنشوب النيران، وآثار التفحم والدخان القليلة التي تشير إلى أن الحريق اشتعل سريعاً، لكن لا يوجد دليل على وجود مادة مساعدة على الاشتعال، هذا إلى جانب السرير الذي يوجد مباشرة في الجهة المقابلة لباب الغرفة.

يا إلهي، إن بطل قضيتنا شديد الذكاء. عليّ أن أعترف بأنني كنت سأظن أن هذه الحادثة عرضية لو أنني لم أطلع على ملابس الحرائق الأخرى وأقارنها ببعضها؛ فلا أحد يعرف من هؤلاء المحققين أن هذا النمط ذاته يتكرر في جميع أنحاء المقاطعة.

قال بوكس: "تبدين منهكة يا إيمي".

"نعم".

"دعينا نستدع الجميع، ونتناول شيئاً في مطعم الفندق".

فتنهدت وقلت: "أعتقد أننا إذا غيرنا المكان وابتعدنا عن الهواتف وأجهزة الكمبيوتر وتحدثنا فحسب، ربما تصفو أذهاننا، وتطراً لنا أفكار مبدعة".

لعل هذه هي المشكلة، فربما نحتاج إلى التقاط أنفاسنا والتفكير في الصورة الكاملة وتبادل الأفكار، ولعل الأشجار تحجب عنا رؤية الغابة. عدت بنظري إلى بوكس الذي كان يبتسم لي. وسألته: "ماذا؟".

فقال: "الطريقة الوحيدة التي ستضمن بها إلينا على العشاء هي موافقتنا على التحدث عن القضية، أليس كذلك؟".

فرفعت يدي وقلت: "هل هناك شيء آخر لنتحدث عنه؟".

هز كتفيه وقال: "يمكننا التحدث عن فريق تشيفز لكرة القدم، إنه سيلعب مبارياته في نهاية هذا الأسبوع".

كان بوكس مشجع كرة قدم متعصباً، وكان هذا أحد عيوبه.

لكنه رفع يديه في استسلام وقال: "حسناً، لا بأس، سنتحدث عن القضية. ربما يظهر شيء جديد".

المصل

27

دخل فريقنا المتواضع مقهى فندق ماريوت في شيكاغو؛ حيث كنا نقيم، كان اسم الكافيتريا روكس كورنر، وكان بوكس متحمساً لها كثيراً؛ إذ كانوا يقدمون مشروبات شيكاغو المحلية ويمكن إضافتها إلى فاتورة الفندق. وهو يحب دائماً تجربة الأشياء المفضلة لدى المحليين في أثناء سفره الذي كان دائماً خلال عمله لدى المباحث الفيدرالية.

كانت إضاءة المكان خافتة، وجدرانها مغطاة بخشب البلوط الداكن، ومقاعد مزودة بوسائد صفراء وأرضيته مغطاة بالخشب الصلب، وتصطف مناضده المرتفعة بجوار الحائط، إلى جانب الطاولات المتناثرة بالقرب من الرف الرخامي المستدير الذي تقدم منه المشروبات. كانت هناك مباراة كرة قدم تعرض على الشاشات المثبتة على الجدران. طلب بوكس مشروب دومين دوبيج، أي كانت ماهيته (أعتقد أنه نوع من الكحوليات؛ فأنا لا أعرف إلا مقاطعة "دوبيج" التي قتلت فيها جويل سوانسون)، بينما طلب ديني مشروباً غير كحولي وطلبت صوفي مشروب بيرري موهيتو.

سعد الجميع بمجيء الطعام؛ فقد طلب بوكس البرجر، بينما تناول ديني ساندويتش كلوبهاوس. في حين طلبت أنا حساء البصل الفرنسي، واختارت صوفي سلطة الكمثرى والجوز. هل حقاً تلك الشابات الجميلات مبرمجات وراثياً لطلب مشروبات بنهكة الفواكه وتناول طعام الأرناب مثل السلطة بصلصة الخل قليلة الدسم، وكأنهن سنجاب يتناول فتات الخبز؟ أعني، ألا

تستطيع صوفي كسر هذا النمط لمرة واحدة وتجلس لتعب الشراب عبًا بينما تلتهم بنهم بعض شطائر الناتشوز حتى تقطر صلصة الجبن من ذقتها؟ لاحظت أن المذكورة تجلس إلى طاولتنا المربعة بجوار بوكس، وأنها اقتربت منه أكثر بمقعدها. فقد كانت منتبهة لكل كلمة ينطق بها بينما كان يرفه عن الجميع بسرد بعض قصص العمل. فأني عميل خاص يحمل في جعبته الكثير من القصص المغرية حول بطولاته: شهود غرباء الأطوار، أخطاء سخيطة، مجرمون ذوو شخصيات جذابة. لقد سمعت معظم هذه القصص. وكانت قصتي المفضلة قد وقعت منذ أكثر من اثني عشر عامًا، عندما كان بوكس يساعد إدارة الشرطة الفيدرالية في اعتقال مجرم هارب. فقد اقتحم الباب الأمامي لمنزل بماريلاند، فتعثر بعمود تعليق المعاطف، ثم فقد الوعي عندما سقط العمود فوق رأسه. وكان على زملائه الآخرين أن يتخطوه للدخول. وأخبروه فيما بعد بأنه استطاع على الأقل سد المخرج جيدًا.

سألته صوفي: "هل طاردت سفاوحًا من قبل؟"

فقال متنهّدًا: "أوه، أجل، لقد عملت في بعض التحقيقات".

كان يعمل على أحدها عندما فسخنا خطبتنا. فقد قبض على القاتل ثم استقال من مكتب التحقيقات الفيدرالي. وكان القاتل هوريجنال تراجر الذي اعتدى على عدد من النساء الشابات في مدينة بورتلاند وقتلهن، وكان ينهي الأمر بقطع رءوسهن.

فقلت: "فريدي الساطور"، لأنني كنت أعلم أن بوكس لن يبادر بسرد القصة.

فحك ديني ساسر ذقنه وقال: "هل عملت في قضية "فريدي الساطور"؟". "إنها ليست مثيرة للإعجاب كما تبدو، صدقوني". بقدر ما كان بوكس يحب رواية القصص، بقدر ما كانت تضعه في مواقف محرّجة. لم يكن بوكس الشخص الذي يبالغ في إنجازاته، وكان ذلك أحد الأشياء الأولى التي لاحظتها عليه عندما تقابلنا منذ أربعة أعوام. كان قد اكتشف النمط الذي تتبعته عصابة لسرقة البنوك في ولاية فيرجينيا؛ حتى إن فريقه كان بانتظارها عند وصولها إلى اتحاد الائتمان الفيدرالي في أرلينجتون. كان جميع محللي الأبحاث في الفريق يعرفون أن القدرات العقلية لبوكس هي التي جاءت بالحل، لكنه أرجع

الفضل للجميع، حتى إنه سار عبر المكتب وترك بطاقة لكل محلل بيانات، يشكرهم فيها - كل على حدة - على مساعدتهم، مشيرًا إلى إسهاماتهم في التحقيق. وعادة ما يدرك محللو البيانات معنى هذه التصرفات ويقدرونها؛ فمعظم العملاء ينسون كل شيء عنا بمجرد حل غموض الجرائم.

كان ريجنالد تراجر، الملقب بـ "فريدي الساطور" من قِبل الصحافة في مدينة بورتلاند، رسامًا نقايياً عاطلاً عن العمل كان قد خسر سكنه في مجمع سكني لعدم قدرته على سداد الرهن العقاري، ويبدو أنه جن وأصيب بحالة هياج شملت خمس أو ست ضحايا - لا أتذكر الرقم الدقيق. وفي وقت لاحق تبين أنه كان لديه تاريخ مرضي عقلي، وإدانة سابقة بمحاولة اغتصاب.

سألت صوفي: "هل هو من اخترع هذا الاسم؟ هل كان يترك ملاحظات أو أي شيء؟ هل كان يريد أن يكون مشهوراً؟" لم أكن أستطيع أن أحدد ما إذا كانت تستميل بوكس أم أن الفضول المهني يسيطر عليها، في محاولة منها لاستيعاب كل الخبرة والحكمة بقدر ما تستطيع. وهنا سؤال يطرح نفسه بقوة: "لماذا أهتم؟"

هز بوكس رأسه: "لم يكن ريجي تراجر قادرًا على ترك ملاحظات أو يرغب في الشهرة. لكنه كان مختلاً عقلياً يعاني مرض السادية؛ إذ كان يضرب النساء ويقطع رءوسهن ثم يمارس أفعالاً مشيئة معهن".
انقضت صوفي وقالت: "بهذا الترتيب؟".
"أوه، نعم، كان يعتدى على أجسام بلا رءوس. أجل، كان هذا الرجل وحشاً حقيقياً".

قالت صوفي: "كيف كان يعتدى عليهن... لا يهم، لا أريد أن أعرف".
"أجل، من الأفضل قطعاً ألا تعرفي".

لكنني كنت أعرف، ولعلّي كنت الشخص الوحيد الذي يعرف ذلك خارج الفريق الذي قبض على هذا المجرم. فالتفاصيل لم تعلن مطلقاً، ولم يحاكم ريجي تراجر بعد، لذا فإنها تعد معلومات سرية حتى هذه اللحظة.

كان ما يفعله هو الاعتداء عليهم لكن باستخدام المنجل، حيث كان النصل يخترق بسهولة الرحم والقولون. كان العزاء الوحيد هو أنهم في تلك اللحظة لم يعدن على قيد الحياة إذ تكون رءوسهن قد قطعت.

ارتشف بوكس قليلاً من الشراب ذي اللون العسلي الغامق باستمتاع. لعله لا يستطيع منع نفسه من الاستمتاع بانتباه الجميع إليه. ولا أستطيع أن ألومه: فإذا كنت ستترك المباحث الفيدرالية، فهذه قضية رائعة يمكنك الخروج بها. تناولت جرعة من الماء، فلم أكن في حالة ذهنية تسمح لي بتناول شراب أقوى، ولندع بوكس يتألق لبرهة، لكن التألق لا يستهويه كثيراً، وقد انتهت له وهو ينظر إليّ بينما أتطلع إليه.

فقال: "تريد إيبي الحديث عن قضيتنا، لذا من أين نبدأ؟".

فقلت: "وجهة نظرك، أريد أن أسمع وجهة نظرك عن هذا القاتل".

الفصل 28

زَمَّ بوكس شفّتيه بعد أن أخذ رشفة أخرى من شرابه وقال: "لا أستطيع"، وهو ما كان قد قاله لي بالفعل عدة مرات. أعني بعدة مرات كل يوم منذ أن أشركته في هذه القضية. فالتفت إلى التلميذة صوفي وقال: "قبل أن تدلي بأي نوع من التحليل، لا بد أن تكون هناك جريمة..."

فقلت مقاطعة: "ارتكبت، لكن دعنا يا بوكس نفترض أن تلك هي جرائم قتل أراد المجرم التستر عليها بإشعال الحرائق. فما تحليلك؟ أعلم أن لديك تحليلاً".

سمح لي باستكمال حديثي، ثم التفت إلى صوفي مجدداً وقال: "التحليل فن وليس علماً، فالأمر ليس أن تضع الحقائق في جهاز ليخرج لك التحليل، بل لا بد من تقييم مسرح الجريمة بدقة وإجراء مقابلات مع الضحايا إذا استطعت - وهي كل الأشياء التي لم نقم بها هنا. وحتى يتم ذلك، لا يمكننا تكوين أي تحليل".

فسألته صوفي في وداعة ورقة: "هل كانت هذه هي الحال في قضية ريجي تراجر؟" فريدي الساطور "؟". ولو اقتربت من بوكس أكثر من ذلك، لربما عليّ البحث عن منجلي.

فقال كما لو كان على وشك أن يربت رأسها: "حسناً، هذا مثال جيد يا صوفي"، إنه ليس أعمى، ويمكنه أن يعجب بمظهرها الشبيه بباربي، وأن يرى الطريقة التي تنظر بها إليه. وأضاف: "لقد تمكنا من تحليل مسارح الجرائم

والضحايا. وكان من الواضح لنا أنه لم يخطط للجرائم على الإطلاق؛ ولم يكن حريصاً أو منطقيًا بشأن اختيار الضحية؛ ولم يحاول التغطية على جرائمه أو تعديل مسرح الجريمة بأي شكل من الأشكال. وكانت ضحاياه مشوهات بعنف، ومعتدى عليهن، ومقطوعات الرأس. وكانت جميعهن ذوات بشرة بيضاء وشقراوات وفي أوائل العشرينيات من أعمارهن.

"ومن ذلك استطعنا تكوين تحليلنا. فقد كنا نعتقد أنه قاتل كلاسيكي غير منظم يعاني مرضاً عقلياً، وأنه رجل ذو بشرة بيضاء في العشرينيات أو الثلاثينيات من عمره ومعزول اجتماعياً وليس لديه أصدقاء، ولا يقيم علاقات مع جيرانه، ولا يبدي أي اهتمام بالحياة الاجتماعية على الإطلاق. وأنه نشأ في عائلة كان يتعرض بها للعقاب القاسي، على الأرجح من قبل أمه. وأنه ربما ترك الدراسة من المرحلة الثانوية وليست لديه علاقات ذات مغزى مع النساء، ومن المحتمل أنه عاجز عن ذلك. وأنه إما عاطل عن العمل أو يمارس عملاً يدوياً، ومرفى في الآونة الأخيرة بشيء قاسٍ إلى حد ما، مثل فصله من العمل أو انفصاله عن امرأة. وأنه يعاني تخيلات عنيفة ضد النساء وغير قادر على السيطرة عليها، ويعيش في مكان لا يبعد كثيراً عن الضحايا. وأن اسمه الأول ربما لم يكن فريدي".

منحته صوفي ابتسامة ساحرة. أوه، لقد أصبح ماكرًا هذه الأيام. وسألته: "لماذا كنت تعتقد أنه يعيش بالجوار؟"

القتلة غير المنظمين لا يتحركون عادة بالسيارة. إنهم عالقون في أوهامهم؛ فالأمر ليس أنهم يختارون الضحية بعناية، ثم يذهبون بسيارتهم إلى هناك ويرتكبون جريمتهم، ثم يعودون بالسيارة إلى المنزل. كلا، إنهم يتصرفون بعشوائية".

كانت صوفي مذهولة بالبروفيسير: "حسنًا، أجل، إذن ما الخطأ الذي وجدته في تحليلك؟"

"حسنًا، شيء واحد وهو أنه كان يأخذ سلاحه معه. فمعظم القتلة غير المنظمين يستخدمون كل ما في متناول أيديهم؛ لأنهم يعجزون عن التخطيط للتجول بسلاح والاستعداد للانقراض. لكن ريجي كان يحمل ذلك المنجل تحت معطفه الأسود الطويل، ويأخذه معه بعد كل جريمة قتل يرتكبها. وكان

يحتفظ أيضًا بتذكار من كل ضحية. وهذا غير شائع بين القتلة غير المنظمين الذين عادة ما يرتكبون جريمتهم ويفادرون".

واستطرد بوكس: "لكن كان أهم شيء على الإطلاق هو أن اختياره لضحيته الأخيرة لم يكن عشوائيًا مطلقًا. فقد كانت آخر ضحاياه هي الفتاة ذاتها التي هاجمها قبل سنوات عندما أدين بمحاولة اغتصابها. لذلك كان بالتأكيد قد خطط لذلك. في الواقع، كانت تلك الأشياء التي ميزته عن النموذج العادي للقاتل غير المنظم هي الأسباب التي مكنتنا من القبض عليه. وبمجرد مهاجمة تلك الضحية الأخيرة، قادنا فحص بسيط لخلفية المرأة إلى الشخص الذي هاجمها في السابق، والذي تصادف أنه يعيش على بعد سبعة أبنية منها. وبمجرد أن داهمنا منزله، وجدنا المنجل، وكل تلك التذكارات التي كان يحتفظ بها".

فسألت صوفي بابتسامة عريضة: "ماذا كانت؟"

فقال بوكس: "شيء من الأفضل ألا تعرفيه".

"بل أريد أن أعرفه من فضلك".

فقلت: "كان يقطع ألسنتهن ويضعها في صندوق للأحذية أسفل سريره".

كرهت أنني أفسدت عليها شهيتها، فهي بحاجة إلى بعض الطعام.

سعل بوكس ليجلو صوته: "على أية حال، وجهة نظري أن الأمر لم يكن يكمن في أننا وضعنا تحليلًا مثاليًا وقبضنا على ريجي تراجر. بل كانت حماقته؛ إذ ارتكب خطأ كبيرًا بمهاجمة ضحيته السابقة مرة أخرى. وكأنه أرسل لنا دعوة مكتوبة".

فقلت: "هذا لا يعني أن التحليل لا يمكن أن يساعد في الأمر، ولا يعني أنه

ليس لديك تحليل لهدفنا".

"ليس لدي يا إيمي، فأنا بحاجة إلى معرفة المزيد".

فقلت: "أخبرني بشيء واحد عن بطل قضيتنا يا بوكس، مجرد شيء واحد.

ولا تقل إنه منظم للغاية، لأنني أعتقد أننا جميعًا فهمنا ذلك تمامًا".

هز بوكس رأسه في ارتباك.

فقلت: "شيء واحد".

فقال بوكس: "إنه يتحسن، يحسن القتلة المنظمون منهجيتهم ويطورونها مع كل جريمة قتل. لعل بطل قضيتنا كان بارعًا طوال الوقت. ولكن إذا كان حقيقياً، وإذا كان هناك حقاً رجل يجوب البلاد ويقتل الناس ويشعل النيران في مسارح الجريمة ويجعلها تبدو حوادث عرضية، إذن فقد حول هذه الهواية إلى آلة تعمل بدقة وكفاءة". ثم تنهد بوكس وأضاف: "إنه لن يسلم نفسه مثل ريجي تراجر، ومن ثم سنحتاج إلى عمل شرطي دقيق، أجل، لكننا سنحتاج أيضاً إلى كل أنواع الحظ".

فقلت وأنا أدفع بالمقعد بعيداً عن الطاولة: "يا إلهي، هذا هو مربط الفرس يا بوكس".

"مربط فرس ماذا؟ هل وجدت الإلهام في جملة "سنحتاج إلى كل أنواع الحظ"؟ أوه، كنت أعرف أنني ماهرة، لكن ليس بذلك... "كنت قد ابتعدت بالفعل عن الطاولة، وتحولت من المشي السريع إلى الركض حتى قفزت في أول سيارة أجرة وجدتتها.

الفصل 29

عدت إلى المكتب في روزفلت، وبينما كنت أنقر بقوة على لوحة المفاتيح متفحصة البيانات، أطل بوكس برأسه من الباب وقال: "دائمًا ما تبالغين في ردة فعلك، هلا تقولين لي لماذا تهتمين بهذا الأمر، وتصرين على معرفته؟ فأنا لم أقل شيئًا. كل ما قلته هو أن هدفنا يتحسن فيما يفعله".

"هذا كل ما كان عليك قوله".

توجهت بنظري إلى الخريطة الكبيرة للولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث كانت هناك خمس وخمسون نجمة تشير إلى المواقع المختلفة للحرائق، من بينها اثنتان وثلاثون باللون الأحمر الذي يشير إلى الحرائق التي بدأت قبل حوالي عام وانتهت عند مطلع شهر يناير بحريق مارتا.

فسألته: "أين كان الحريق الأول؟".

فقال: "الأول... لست متأكدًا أنني أتذكر ذلك"، لم تكن البيانات محفورة في ذهنه كما كانت الحال معي.

فقلت: "كان بمدينة أتلانتيك بيتش بولاية فلوريدا، وقد وقع في الثامن من شهر سبتمبر عام ٢٠١١"، كان ذلك جزءًا من جولة بطل قضيتنا عبر البلاد بداية من شهر سبتمبر حتى شهر يناير قبل أن يعود إلى منطقة الغرب الأوسط".

فقال بوكس: "حسنًا، ماذا في ذلك الأمر إذن؟".

"إذن، كيف عرفنا أن هذه كانت أول جريمة قتل له؟".

فقال بوكس: "لم نعرف، هذا ليس مؤكداً بعد، لكنك ظللت تراجعين الفترات الزمنية السابقة لذلك ولم تجدي أية حرائق أخرى لها السمات الفريدة ذاتها التي تميز الحرائق التي نفحصها، بما في ذلك سقوط ضحية واحدة يعثر عليها في نقطة نشوب الحريق في غرفة النوم، وتصنيف الحادثة على أنها عرضية..."

فقلت: "بالضبط، السبب العرضي. لم أحلل أي حريق صنّف على أنه عرضي، بل كنت أتجاوزه، إذ إنه لم يكن ينطبق عليه النمط ذاته الذي يتكرر في تلك الحرائق محل النقاش".

"حسنًا... ماذا إذن؟"

كنت لا أزال أكتب على لوحة المفاتيح مستخدمة قاعدة البيانات الوطنية لتقارير الجرائم، إنها تلك البيانات التي لم أطلع عليها بينما كنت موقوفة عن العمل وأجري أبحاثي من المنزل. كانت البيانات تتراقص أمام عيني على الشاشة؛ لكن عليّ ألا أتسرع. فعندما يشعر المرء بالإلهام والحماس وتكون البيانات أمامه ضخمة، يصبح الأمر كأنه يبحث عن كنز، وأمامه لغز كبير بينما تنتظره الإجابة في مكان ما حتى يجدها.

فقلت: "إذن، كنت على حق حينما قلت لعله تحسن فيما يفعله. فربما لم يكن ماهرًا في البداية".

"أوه، أوه، فهمت. فربما لم يستطع في الحريق الأول أن يخفي الأدلة على جريمته، ومن ثم ثبت أن الحريق متعمد".

فقلت: "بالضبط يا بوكس". ولذلك فإن قاعدة البيانات هذه مجدبة، لأنها تضم تقارير الحرائق المفتعلة والمشتبه في أسبابها.

قلت: "أراهن على أنه ارتكب بعض الأخطاء في الحريق الأول، بل وربما في حرائق أخرى".

"إذن أنت... ماذا؟ هل ستبحثين في طول البلاد وعرضها عن الحرائق المتعمدة التي وقعت قبل حريق أتلانتيك بيتش؟"

"ليس في البلاد بأكملها، فنحن نعتقد أنه يعيش هنا في منطقة الغرب الأوسط، أليس كذلك؟ إذن سنبدأ من هنا".

كان بوكس يقف خلفي صامتاً، فعدت بنظري إليه.

"هذا عمل ضخم يا إيمي. فحتى إذا قصرنا البحث على منطقة الغرب الأوسط، فإن علينا مراجعة أطنان من البيانات. هل ستبدئين الآن؟ إنها الساعة العادية عشرة مساءً".

فقلت: "سأنام في حالتين: إما عندما أموت، أو عندما نقبض على هذا الرجل".

الفصل 30

كان بوكس لا يزال يقف عند المدخل بينما كنت أنقر على لوحة المفاتيح.
فقلت: "ماذا؟".

"كنا... كنا سنذهب لاحتساء مشروب".

شعرت بتقلصات في معدتي كأن ثمة شيئاً يسبح فيها، فبوكس ليس على طبيعته. في الماضي حينما كان يعمل بدوام كامل مع المباحث الفيدرالية ويطارد أحد المجرمين الذي عليه أن يصارع الزمن للقبض عليه، لأنه يهدد أرواح الآخرين - كان آخر شيء تجده يفعله هو الانغماس في الملذات. فقد كان متوتراً باستمرار ودائم التفكير في الأدلة. كان تمر علينا أوقات يكون فيها جالساً بجواري أو أمامي إلى طاولة العشاء، بينما أشعر بأنه على بعد أميال مني لاستغراقه في محاولة كشف طريقة تفكير أحد المجرمين، متحدياً الافتراضات، وفاحصاً الزوايا بإغلاق تلك العين، ثم العين الأخرى، متسائلاً عما إذا كان ذلك قد غيّر من الصورة. أتذكر عندما كنت في إحدى دور السينما مع بوكس عندما التفت إليه - لسبب ما - في منتصف العرض، بينما كان الضوء يمر على وجهه حينما تغير المشهد على الشاشة، ووجدت عينيه مفتوحتين عن آخرهما ولامعتين، وحينها كنت أستطيع القول إنك إذا نظرت خلف هاتين العينين، ستجدهما لا تنظران إلى شاشة العرض على الإطلاق، بل تعيدان أحد مشاهد الجريمة في مدينة الأميذا أو نيو أورليانز أو تير هوت.

وها نحن الآن في منتصف مطاردتنا لأحد المجرمين بينما يرغب في الذهاب لاحتساء مشروب. لم يكن من الصعب ملاحظة التغيرات التي طرأت عليه.

قال سنذهب لاحتساء مشروب، وقد استخدم صيغة الجمع. لكنها لا تشملني، وبقدر ما يروقتني ديني ساسر، لم أكن أعتقد أنه على استعداد للتجول في المدينة في الساعة الحادية عشرة مساءً. لكنني ذكرت نفسي بأن بوكس له كل الحق فيما يفعله. فهو رجل أعزب وكذلك زاهد.

لقد رفضت الزواج منه، ومن ثم فأنا آخر شخص على وجه الكوكب له الحق في التعليق على تصرفاته.

وأنت؛ أليس لديك وظيفة لتؤديها؟ ألسنت هنا للقبض على أحد القتلة، حتى إذا كنت الشخص الوحيد الذي يعتقد أن هذا القاتل موجود بالفعل؟ قلت له دون أن أتوقف عن الكتابة على لوحة المفاتيح: "فلتذهب أنت إذن، أما أنا فسأكمل ما أفعله".

"أمتأكدة أنك لا ترغبين في الذهاب؟ يمكنني أن أبقى معك هنا...". فقلت: "كلا، لست بحاجة لأحد، في بعض الأحيان أكون أفضل حينما أبقى بمفردي منكبة على ما أفعله".

إذا سبق لي أن كنت شديدة الدقة فيما أقوله، فأعتقد أنها تلك المرة؛ إنني أشعر بالراحة حينما أكون بمفردي، ويجب أن أكون بمفردي. فالصحبة التي أحتاج إليها هي تلك الأرقام والإحصاءات والبيانات والإشارات المرجعية. التفتت واستمعت إلى وقع خطوات بوكس على سجاد الرواق، حتى غاب الصوت عن مسامعي، فعدت إلى العمل.

الفصل 31

"جلسة جراهام"

التسجيل ٨

٤ سبتمبر، ٢٠١٢

يومكم سعيد، ها أنا أستمتع بتناول البرجر - غير مكتمل النضوج، كما أفضله بالطبع - وطبق من البطاطس المقلية بينما أشاهد مباراة كرة قدم قديمة على قناة أي إس بي إن كلاسيك. وأستخدم المسجل كأنه هاتف محمول كما أفعل دائماً في الأماكن العامة كهذه الكافيتريا التي أجلس بها. لم أكن أنوي الحديث إليكم اليوم، لكن خطر لي بينما أشاهد هذه المباراة أننا لدينا، كما يقولون، لحظة تعليمية.

كنت أفكر كم تشبه مهاراتي الإبداعية تلك التي يملكها لاعب الوسط. أعلم، أعلم... إنكم تتخيلون تلك الملصقات التي تصور اللاعبين وهم يرتدون أقنعة الوجه الفولاذية مثل بيتن مانينج أو توم برادي وتقولون لأنفسكم: ما الذي يمكن أن يكون مشتركاً بينهم وبين قاتل محترف مثل جراهام؟

يمكن لأي شخص أن يكون لاعب وسط سيئاً، تماماً مثلما يمكن لأي شخص أن يطعن أحداً بالسكين أو يطلق عليه الرصاص أو يفرقه في الماء. لكن، لكي

تكون الأفضل وتصل إلى ذروة النجاح فإن الأمر يتطلب إنكار الذات والتضحية والانضباط والتواضع والاستعداد. عليك أن تؤذي نفسك وتوبخها وتحللها وتدرك نقاط ضعفها وتحاول في الوقت ذاته أن تتخلص منها. وتلك النقاط التي لا تستطيع التخلص منها عليك تحجيمها. فلا بد أن تضع خطة لتعزيز نقاط قوتك وإخفاء عيوبك. ويجب أن يكون هدفك أكبر من مجرد الفوز. فالجميع يرغب في الفوز، لكن القلة القليلة منا هي التي ترغب في الاستعداد للفوز. لذا فعليك أن تفعل الأشياء الصعبة والكريهة والمؤلمة.

لا بد أن تفعل اليوم ما لن يفعله شخص آخر، حتى تستطيع في الغد أن تحقق ما لا يستطيع الآخرون تحقيقه.

وهناك بالطبع الاختبار الحقيقي للاعب الوسط: عندما يطالب بتغيير طريقة اللعب والخروج على الخطة؛ حيث ينظر إلى المشهد ويتخذ قراراً فوراً لتغيير ما يفعله - وهذا ما أنا على وشك فعله.

لأنني شرفُت للتو بمقابلة لوثر؛ لوثر فيجلي الذي يجلس على بعد طاولتين مني في المستوى السفلي للكافيتريا مع فتاة جميلة اسمها تامي. لا يمكن أن يفوز لوثر بأية جوائز في الذكاء أو الذوق، ولا حتى خزانة ملابس التي تضم قميصاً رمادياً مكتوباً عليه "لا تعبت مع فريق هاسكيرز" وعدة سراويل قصيرة فضفاضة. أوه، ها هو ينهمك في الحديث مع صديقه تامي عن أساسيات كرة القدم، ويبدو أنها لا تعرف الكثير عن الرياضة، ما يعني أنها تتعامل مع كل شيء بقوله بإحلال كبير، حتى عندما يعرف رجل فطن مثلي أن لوثر لا يرتقي لمستوى النقاش.

تذكروا أن هدفي الوحيد الليلة كان الاستمتاع بالبرجر ولعبة الكرة بينما كنت في الطريق إلى مشروعي القادم. لم تكن لدي أية خطط تتعلق بـ لوثر أو تامي أو أي شخص آخر في هذه الكافيتريا. لكن لاعب الوسط الجيد يغير طريقة اللعب عندما تمنح له الفرصة؛ فعندما يتسلل الظهر المدافع ولا يكون هناك تأمين في العمق، يطلب لاعب الوسط من المستقبلين الركض مباشرة نحو خط الهدف في منطقة الخصم والذهاب لتسجيل الأهداف، أليس كذلك؟

بالطبع يفعل ذلك. ويبدو أن لوثر وتامي صيد ثمين لا أستطيع إغفاله، لأن لوثر لن يتوقف عن الحديث عن الأشياء التي لا يفهمها تقريباً بالقدر الذي يظنه، ولأن لديه جسداً يمثل تحدياً ممتعاً، أما تامي فلديها أسفل هاتين الخصلتين الحمرأوين رأس مستدير لطيف، وتتميز بصوت مبحوح جميل سأتلذذ به عندما تبدأ في الاستجداء.

نعم، فلنغير الخطة! عليّ الذهاب يا رفاق فقد حان وقت التواصل الاجتماعي.

(النهاية)

الفصل 32

كان السكون يخيم على المطبخ الذي كنت أجلس فيه في مدينة أورورا بولاية إلينوي، حتى إنه كان بإمكانك سماع طنين الثلاجة والماء المتقطر من الحوض. كانت جريتشن سوانسون امرأة صغيرة الحجم ذات كتفين منحنيين ووجه متجدد ورأس كبير يعلوه شعر مجعد وممشط يشبه في بياضه الثلج. كانت عيناها تفحصان شيئاً ما في الأفق خارج النافذة؛ حيث الحديقة الخلفية التي تبلغ مساحتها ربع فدان. لا أعرف ما إذا كانت تفكر في كل شيء قلته لها أم أنها تفكر في ابنتها، التي لعلها لعبت هناك على تلك الأراجيح المتهالكة، أو تأرجحت في الإطار الذي لا يزال متديلاً من شجرة البلوط الكبيرة. كانت إضاءة المطبخ ساطعة، لكن الحزن القاتم يخيم بظلاله على كل شيء فيه، وكأن ثمة شيئاً عفناً قد أصاب هذا المنزل الذي كان نابضاً بالحياة في الماضي، فأطفأ وهج الجدران الصفراء ليصبح لونها بيج داكناً، وحول إشرافة جريتشن الدافئة إلى حالة من اليأس والجمود العاطفي.

أذكر أنني مررت بهذا الشعور بعد وفاة مارتا، فكم بدت لي حينها رموز الجمال وقحة - كيف يجرؤ شيء على أن يكون مضيئاً وجميلاً وسط هذه الآلام والمعاناة. كيف يجرؤ هؤلاء الناس على أن يسيروا في الشارع ويضحكوا ويبتسموا. كيف تجرؤ السماء على أن تكون بهذه الزرقة الرائعة.

عدت بنظري إلى طاولة المطبخ لتقع عيناها في الأسفل على صرصور كبير. ولم أدرك أنه ليس حقيقياً إلا بعد أن سحبت الكرسي إلى الخلف؛ كانت مجرد

قطعة زخرفية من الخزف. من هذا الذي يروقه أن يملك صرصورًا خزفيًا؟
فقلت جريتشن: "عذرًا، نحن نملكه منذ سنوات، إذ كانت جويل تحبه.
فهي..."، عادت جريتشن لتحقق ثانية في الفراغ.

فاستطردت: "عندما كانت طفلة، كانت تسمع أغنية "كوكارتشا" أي
الصرصور الإسباني، هل تعرفينها؟ كان مطلعها يقول لا كوكارتشا، لا
كوكارتشا".

فقلت بابتسامة: "أعرفها بالطبع".

"أوه، كانت قد سمعتها في الراديو ذات مرة عندما كانت صغيرة، لعلها
كانت في الثالثة أو الرابعة من عمرها. فبدأت بالرقص وطرقعة أصابعها تناغمًا
مع الموسيقى. وكان شعرها الأشقر المموج قليلاً يقفز في كل مكان". سمحت
جريتشن بأن تطفو ابتسامة على شفثتها عندما استرجعت تلك الذكرى. "بعد
ذلك، أصبح زوجي إيرل يناديها دائماً بـ "كوكارتشا الصغيرة". لم تكن تستطيع
نطق الكلمة عندما كانت صغيرة، فكانت تقول إنها كوكو-كلوكا الصغيرة".

عبس وجه جريتشن؛ حيث كانت تلك الذكرى تشعرها بالسلوى والألم في
آن واحد. وحاولت كبت ذكرياتي - فبعد ساعات من تلقي الأخبار، انتظرنا
أنا وأمي الطائرة المتجهة إلى مدينة فينيكس، وعندما تأخرت الطائرة ظلت
أمي تتناول كأساً تلو أخرى من الشراب في كافيتريا المطار. وفي أثناء ذلك،
تساءلت عما إذا كان هناك خطأ، فقد يكون هناك احتمال ضئيل بأن هناك سوء
تفاهم وأن أختي كانت مسافرة إلى مكان ما في الليلة الفائتة وأن أحدهم كان
يحرس منزلها، ومن ثم فإن هذا الجسد المحترق ليس لها، وأنا سنذهب إلى
منزلها في بيوريا في تلك الليلة وسنجد مارتا تستيقظ مرتدية الزي الرياضي
وحقيبة الظهر وتقول: "ماذا تفعلون هنا؟ هل حدث شيء؟".

تجمدت وبتُّ لا أجرؤ على الحركة؛ لم أكن أقدر على تحريك الثلج في كوب
عصير الليمون الذي كان أمامي، أو حتى على التنفس.

أغلقت جريتشن عينيها وهزت رأسها بهدوء. إنها الاستجابة المناسبة، كما
تعلمت أنا أيضاً، لمثل تلك الفجعية. فهي ثقيلة الوطأة وشديدة الغموض، حتى
إنك إذا حاولت استيعابها سيكون الأمر غير مجدٍ. فتجد نفسك تكتفي بالبكاء
وهز الرأس.

قالت: "حسنًا يا إيمي"، لم أر حتى شفيتها تتحركان. فأغلقت عيني أيضًا ودعوت ببعض الأدعية ثم وضعت ورقة العمل أمامها وأعطيتها قلمًا. وشكرتها بعناق طويل ودافئ تحول إلى بكاء من كل منا.

وعندما خرجت، أمسكت بهاتفي واتصلت بفيلر مساعد المدعي العام في مقاطعة دوبدج، والذي تواصلت معه قبل هذا اللقاء.

قلت له: "لقد وافقت والدة جويل سوانسون على استخراج الجثة"، وأثار جزعي بعض الشيء ذلك الحماس الذي تخلل صوتي. فقد ظللت أحاول إقناع هذا الرجل خلال اليومين الأخيرين بضرورة إجراء التشريح، وانتزعت منه أخيرًا، في نهاية يوم العمل بالأمس، هذا الوعد: إذا استطعت الحصول على موافقة الأم، سأجري تشريحًا للجثة.

وما إن أنهيت المكالمة، حتى أجريت مكالمة أخرى بأحد المدعين العموميين في مقاطعة شامبين، وهي سيدة تدعى لويس روز، التي لم تكن ترحب بمكالمتي.

فقلت لها: "ستستخرج مقاطعة دوبدج جثة جويل سوانسون من أجل تشريحها، وكورتس فالنتين لم يدفن بعد".

فقالت: "شكرًا لك يا إيمي". كانت عائلة فالنتين قد أقامت تأبينًا لكورتس في مدينة شامبين بالأمس - وكان التابوت مغلقًا - لكن بناء على طلبي، وافقوا على تأجيل الدفن الفعلي لبضعة أيام.

"بالله عليك يا لويس، إذا كانوا مقتنعين بما يكفي في مقاطعة دوبدج بإخراج الجثة، فلماذا لا يستطيعون نقل جثة من مكان الجنازة إلى المشرحة؟". صمت للحظة، إذ أثار جزعي إشارتي الفظة لكلمة جثة: فقد كانت أختي أيضًا جثة.

سمعت صوت زفيرها القوي قبل أن تقول: "هل سبق أن قال لك أحدهم إنك مزعجة؟".

"أجل، مرة أو مرتين".

"إذا وافقت على تشريح الجثة، ستوقفين عن الاتصال بي؟".

فضحكت، وعندما أنهيت المكالمة، توقفت عند سيارتي المستأجرة
وضغطت على قبضتي بقوة حتى خشيت أن أكسر عظام أصابعي.
وهمست قائلة: "أخيرًا".

أخيرًا سيجرى التشريح لجثتين حتى نستطيع الحصول على الدليل الذي
نحتاج لتقديمه إلى هؤلاء القابعين في مبنى هوفر كي يزودونا بفريق، بل بجيش
للقبض على هذا الوحش.

الفصل 33

"جلسة جراهام"
التسجيل # ٩
٥ سبتمبر، ٢٠١٢

حسنًا، لديّ شيء غاية في الأهمية أود مناقشته معكم الليلة. كنت أعتقد أنه يمكن تأجيله ولكنني اكتشفت أنه لا يحتمل التأجيل. إذن عندما كنا في زيارتنا الأخيرة مساء أمس، كنت في إحدى مقاهي جراند آيلاند وكانت تعرض مباراة كرة قدم جامعية على قناة أي إس بي إن كلاسيك كانت قد جرت منذ عامين مع فريق هيوستن. لعلكم تتذكرون أنني ذكرت رجلاً يدعى لوثر، لوثر فيجلي، كان يجلس على بُعد طاولتين مع تلك المرأة التي كان يحاول إثارة إعجابها، تلك المرأة التي كانت تجسد المعنى الحقيقي للجمال، وكانت تدعى تامي دوفي؟ على أية حال، بعد أن أنهيت جلستنا، بدأ لوثر يثرثر مع الحسناء تامي بشأن هذا الهجوم الرائع الذي قام به هيوستن، والذي يسمى هجوم الركض والتصويب. وكان لوثر، الذي كان يبدو بعض الشيء كأنه أستاذ أكاديمي مفوه يجسد المعرفة، يخبرها كيف يكون هناك أربعة مستقبلين في هذه الهجمة؛ حيث يقذف لاعب الوسط بالكرة لعشر ياردات عند كل محاولة للوصول إلى خط الهدف في منطقة الخصم.

يمكنكم أن تتخللوا كم أغضبني هذا. لم يقم هيوستن بهجوم الركض والتصويب، بل قام بالهجوم واسع الانتشار. وهناك فرق، بل العديد من الفروق. كان هجوم الركض والتصويب قد تطور لتعظيم خيارات لاعب الوسط، التي تتضمن الركض، وهكذا أصبح يسمى هجوم الركض والتصويب، حيث يلعب لاعب الوسط نصف لفة، أو يقفز خارج خط الملعب، مهاجماً الزاوية، ما يمكنه من الركض إذا لزم الأمر. وعادة ما يحدد المستقبلون مسارهم وفقاً للدفاع. إذن فهو هجوم ديناميكي للغاية مع قدر لا بأس به من الركض.

(ملحوظة عند تفرغ التسجيل: صوت مكتوم لرجل يبدو أنه مكتم، ويحاول التحدث بطريقة صوت عالية).

اصمت يا لوثر، إنني لا أتحدث إليك، هل يبدو أنني أتحدث إليك؟ إنني أتحدث عنك، وهذا يختلف عن التحدث إليك. هل تفهم أن هناك فرقاً؟ أعتذر عن ذلك؛ على صديقي أن يتعلم بعض الأخلاق. أما الهجوم واسع الانتشار، فلا يوجد به شيء سحري. فكل ما يحدث هو أن ينتشر المستقبلون في جميع أنحاء الملعب لنشر الدفاع وخلق مسارات تمرير أفضل. وهي طريقة لا تعتمد على الارتجال كسابقتها.

لذا حاولت أن أكون مهذباً حيال ذلك، وحاولت أن أشير إلى السيد لوثر فيجلي بأن هيوستن قام بتنفيذ الهجوم واسع الانتشار، لكن هذا الحاصل على منحة رودس هنا، هذا العضو المثقف في رابطة أهل الفكر، هذا الحكيم الموقر الذي يجوب الأرض ناشراً حكمته، قرر الحديث معي كما لو أنني كائن وحيد الخلية. هل تعرف ماذا كان خطوك يا لوثر؟ هل تعرف؟ إذا كان تخمينك صحيحاً، سأعيد إليك أسنانك، أو بعضاً من الأسنان العلوية على الأقل.

هيا، تشعر بالارتباك، أليس كذلك؟ كان خطوك هو إهانة شخص لا تعرفه. كنت أبدو رجلاً لطيفاً وعادياً وغير مؤذٍ، أليس كذلك؟

سأضطر إلى ترك المسجل - كلا، انتظروا، سأثبته في معطفي... حسناً، جيد، هل لا تزالون تستطيعون سماعي... تعالي إلى هنا يا حبيبتي...

(ملحوظة عند تفرغ التسجيل: أصوات صرخات مكتومة لامرأة ظلت مستمرة حتى نهاية هذا التسجيل).

إنك... أثقل مما... كنت أعتقد... أوف!

حسناً يا أنسة تامي دوفي، سنحظى ببعض المرح معاً. دعيني... أجعلك أولاً
تشرين براحة أكثر. هيا، لا تقاوميني... (مقطع غير مسموع) هيا لا تصعبي
الأمر...

يمكنني القول يا لوثر إنني لم أكن أتوقع هذا الانعطاف. فقد كنت أنوي
ليلة أمس تناول البرجر في المقهى ومشاهدة مباريات كرة القدم الكلاسيكية
والمضي في طريقي. لكنني غيرت رأبي لأنك شخص أحقق.

وسأعطيك خيارين أيها الأستاذ ذو الذهن العبقرى، إما أن أقتلك أولاً، وإما
تجلس في المقاعد الأمامية لمشاهدة ما أفعله مع تامي قبل أن يأتي دورك.

هل القرار صعب؟ حسناً، إذن ستجلس في المقاعد الأمامية من أجل
المشاهدة. أعتقد أنه أمر جيد من وجهة نظرك، فهو سيمنحك ثلاثين دقيقة
إضافية في حياتك. فهذا كل ما تتشبهون به، أليس كذلك؟ تتمسكون بكل نفس.

حسناً، عندما تنتهي من مشاهدة ما أفعله مع تامي، ستعيد التفكير في ذلك
القرار.

(النهاية)

الفصل 34

دفعت نفسي بعيداً عن الكمبيوتر، وحدثت في الساعة. لقد تجاوزت الخامسة، أين هم؟ كانت قدماي تطرقان الأرض في عصبية وعقلي مشتتاً. فمن المفترض أنني أسبح في بحر البيانات المخزنة على قاعدة البيانات الوطنية لتقارير الجرائم المتعلقة بالحرائق المتعمدة التي لم تحل بعد، أو الحرائق المشتبه بها، لكنني لا أستطيع التركيز، ليس عندما بتنا أقرب من فك الغموض؛ فقد أخذت وعداً بأن أتلقي نتائج تشريح الجثث من مقاطعتي شامبين ودوبدج بحلول الخامسة، وها هي قد تجاوزت الخامسة، فأين أنتم؟

ذهبت إلى مكتب بوكس، فوجدت صوفي تالاماس تجلس على الجانب الآخر من مكتبه، منحنية إلى الأمام حتى يستطيعا الحديث إلى بعضهما بهدوء ويستند كل منهما برسغه إلى المكتب، وتكاد تلتصق رأسهما ببعضهما. ثم ألفة بينهما تستشفها من لغة جسديهما التي تبوح بوجود حميمية في علاقتهما. لم أكن بحاجة إلى أن يضربنى أحد على رأسي كي أرى ذلك، فالأعمى بمقدوره أن يرى أن ثمّة انسجاماً بينهما.

عندما لاحظا وجودي، ابتعدا عن بعضهما واعتدل كل منهما في وضعيته مستنديين بظهريهما إلى الخلف، وعلى وجهيهما نظرة تقول إن مجيئي لم يكن متوقفاً. كنت أود لو أنني أستطيع مغادرة المكان، لكن ذلك كان سيجعل كل شيء يبدو أكثر غرابة.

سألني بوكس وهو يستعيد اتزانة: "هل تلقيت نتائج الطب الشرعي؟".
فهرزت رأسي ورفعت هاتفي قائلة: "أعتقد أنهم سيتصلون خلال دقائق".
"تعالى، فلتجلسى".

تراجعت صوفي بمقعدها، وأفسحت لي المجال للجلوس على المقعد
المجاور لها.

فسألتها: "هل اطلعت على الحرائق التي وقعت الليلة الماضية؟"، فقد
كلفتها بالمهمة التي كنت أتولاها على مدار العام الماضي من متابعة المواقع
والتسجيل في الحسابات الإلكترونية للأخبار العاجلة كي أطلع على كل الحرائق
التي تقع على مدار اليوم، بحثاً عن الضحية التالية لبطل قضيتنا.

فقلت: "أجل، لم يحدث شيء في البارحة أو الليلة الماضية".

فأومأت دون حماس، إذ إنني لم أكن على يقين بعد من أنها ماهرة في هذا
الأمر. ولو كان لدي متسع من الوقت لتحققت من عملها. لكننا أربعة أفراد نؤدي
عمل اثني عشر فرداً.

قال بوكس دون أن يحمله أحد على ذلك وكأنه قرأ تعبيرات وجهي: "كنت
أشرح لصوفي مشكلتنا المتعلقة بالاختصاص القضائي".

فأومأت كما لو أنني أصدقه. فالطريقة التي كانا يتحدثان بها مع بعضهما
وكيفية ابتعادهما عندما رأياني لا تتم على أن موضوع حديثهما كان الاختصاص
القضائي.

لا تملك المباحث الفيدرالية سلطة قضائية على هذه القضية طالما أنها لم
تعبّر حدود الولاية التي وقعت فيها، وحتى إذا ثبت وقوع جرائم قتل في مقاطعتي
شامبين وليسل بولاية إلينوي، فلا تزال القضية في حيز ولاية واحدة. لذا ما لم
تطلب السلطات المحلية مساعدتنا، فلن يكون الحظ حليفنا. قد يكون هذا الأمر
عقبة في طريقنا، ولكننا لم نواجه حتى الآن إلا العقبات، لذا علينا أن نرضى
بالأمر الواقع.

فقلت: "لم أقصد مقاطعتكما".

فقال بوكس بحماس شديد: "لا تكوني سخيفة، هياً".

أنقذني هاتفي عندما انطلق صوت إشعار رسائل البريد الإلكتروني، فنظرت
لأرى ماهية الرسالة.

فقلت: "نتائج تشريح جثة جويل سوانسون".

الفصل 35

فتحت الرسالة على جهاز الكمبيوتر حتى يسهل عليّ قراءة تقرير مكتب محقق الوفيات في مقاطعة دودج. لم أكن قد قرأت في حياتي إلا تقريراً واحداً للطب الشرعي، وكان من منطقة سلطة قضائية مختلفة، لذا لم أكن معتادة ذلك، لكن كما كان التقرير الأخير الذي قرأته - ولعله كما تكون جميع التقارير - كان هناك ملخص ختامي في النهاية يفيد، بلغة أقرب ما تكون إلى لغة الشخص غير المتخصص: بما انتهى إليه محقق الوفيات فيما يتعلق بوفاة جويل سوانسون التي وقعت في مدينة ليسل بولاية إلينوي. فقفزت بالصفحات إليه وحبست أنفاسي:

لم يعثر محققو الحرائق على أي دليل يثبت التعمد في إشعال الحريق، ما يعني أنه نشب نتيجة وجود شمعة مشتعلة في غرفة نوم المتوفاة امتد لهبها إلى الستائر، فانتشرت النيران في الطابق العلوي من المنزل.

فتمتت: "حسنًا"، هذا ما نعرفه، فهذا الشخص يجعل الحرائق تبدو عرضية، فلا مفاجأة في ذلك، والآن لنقرأ نتائج الطب الشرعي:

وتشير رواسب السخام الواضحة على الغشاء المخاطي للقصبية الهوائية والسطح العلوي للسان إلى أن المتوفاة كانت على قيد الحياة وقت اندلاع الحريق، وأنها استنشقت الدخان وغيره من المواد الكيميائية السامة. وقد

وُجد أن الأنسجة الرخوة والدم في الأعضاء التي لم تدمرها النيران قرمزية اللون، وهو عادة ما يكون واضحاً عندما تزيد مستويات الهيموجلوبين الكربونية على ٣٠ ٪، وبالتالي فهي تشير إلى استنشاق مستويات سامة من أول أكسيد الكربون والسيانيد.

فقلت: "من المستحيل أن يكون ذلك صحيحاً"، يقول التقرير إنها استنشقت الدخان، أكانت جويل حية عندما اندلع الحريق؟

وقد نُظر في تلك النتائج على ضوء انعدام الدليل على وجود إصابات في جثة المتوفاة نتجت عن رضوض حادة أو أي قوة خارجية أخرى بجانب الحرارة الناتجة عن الحريق.

ولم يعثر في الجثة على إصابات لطعنات أو طلقات رصاص أو أي شيء من هذا القبيل قد ينم عن تضرر الجثة من شيء غير النيران أو الحرارة الشديدة الناتجة عنها.
فقلت: "كلا".

وبناءً على النتائج المذكورة أعلاه، خلصنا إلى أن سبب الوفاة عرضي، وهو الاختناق نتيجة استنشاق الدخان في أثناء الحريق.

"كلا"، صرخت ضاربة لوحة المفاتيح على أحد جانبيها فطارت في الهواء وسقطت على جانب المكتب متدلية من سلكها.

أطل بوكس عند المدخل وقال: "هل هناك أخبار سيئة؟"
قلت: "هذا خطأ، من المستحيل أن يكون صحيحاً".

نهضت مترنحة من مقعدي، ثم أسندت رأسي إلى الحائط وحدثت في الأرضية. فسار بوكس إلى مكتبي وقرأ التقرير الموجود على الشاشة.
"أوه، أنا آسف يا إيمي".

عاد طنين هاتفي ثانية ليعلن عن مجيء رسالة أخرى، فظاللت متسمة في مكاني حيث أستند برأسي إلى الحائط وأثبت نظري على الأرضية.

وقلت: "لا بد أن هناك رسالة أخرى في صندوق الرسائل، أظن أنه تقرير محقق الوفيات في مقاطعة شامبين".

فقال بوكس: "انتظري"، وأتى بلوحة المفاتيح مرة أخرى وأمسك بالفأرة وأضاف: "أجل، إنه هنا".

"هلا قرأته لي يا بوكس"، فأغلقت عيني بينما كان الوقت يمر، وبينما كانت الذكريات تصفني على وجهي حينما كنت أتجادل مع أمي بعد وفاة مارتا. فقد قلت لها: "ثمة شيء غير صحيح، لا بد أن نجعلهم يجرون تشريحاً للجثة".

"لماذا يا إيمي؟ الأناك تعتقدين أن سريها كان في موضع مختلف عن ذلك الذي كان عليه منذ شهر عندما زرتها؟"

"لا أعتقد ذلك، لكن أياً ما كان يا أمي... فأنا مرتابة في الأمر. أعتقد أننا ينبغي..."

"أعتقدين أننا ينبغي أن نجعلهم يمزقون جثمان ابنتي ويخرجوا أحشاءها؟ ألا تعتقدين أنها عانت بما يكفي من الاحتراق؟ أتريدين منهم أن يقطعوها مثلما يحدث في التجارب العلمية؟ لن أفعل ذلك.

قال بوكس بهدوء: "اللعة، اللعة".

فقلت له: "لا تقل شيئاً".

"معذرة يا إيمي، لكنه تقريباً التقرير ذاته الخاص بمقاطعة دودج. لقد وجد محقق الوفيات في مقاطعة شامبين أن وفاة كورتنس فالنتين عرضية نتيجة استنشاق الدخان".

شعرت بيديه على كتفي.

فقلت له وأنا أبتعد عنه متجهة نحو الجانب الآخر من الحجرة: "لا، لا تلمسني، إنهم مخطئون، ألا ترى ذلك؟ إنهم مخطئون في كلا التقريرين".

أشاح بوكس بنظره عني ووضع يديه في جيب سروال حلتة؛ لم يكن يرى ذلك بالطبع، بل كان ما يراه هو امرأة تتشبث بحقيقة ليس واقعية على الإطلاق، وكأنها فتاة صغيرة تصر على أن جنية الأسنان حقيقية.

فقال مرة أخرى: "معذرة، معذرة حقاً".

الفصل 36

"جلسة جراهام"

التسجيل # ١٠

٧ سبتمبر، ٢٠١٢

إنني أنظر إلى هذا الصبي ذي العينين الزرقاوين والشعر الأشعث المتسخ الذي يرتدي بنطال جينز أزرق، فهو في الخامسة أو ربما في السادسة من عمره وحافي القدمين، ولكن جميع الأطفال هنا هكذا؛ فهذا ما ينبغي أن يكونوا عليه في منطقة اللعب التي يطلقون عليها متنزه روكي ماونت بلاري، داخل مركز التسوق؛ حيث يجلس الآباء والأمهات حول الحد الخارجي للمتنزه يتجادبون معاً أطراف الحديث، أو يرتشفون قهوة ستاربكس بالحليب، أو يصرخون في أطفالهم ليحسنوا اللعب، أو يبيطئوا من حركاتهم، أو يعتنوا بأخواتهم الصغيرات.

هناك تقريباً خمسون طفلاً يركضون على الأرضية المبطنة بالفوم؛ حيث يتسلقون القضبان أو يتزلقون على الزحلوقة، أو يمتطون القارب النهري مع القط سيلفستر والطائر تويتي. كان يبدو أن معظمهم لا يعرف بعضهم، لكنهم يتفاعلون معاً بصرف النظر عن ذلك بتلك الطريقة الخرقاء التي قد ينتهجها الأطفال، فأحياناً يكونون لطفاء، وأحياناً يكونوا غير مهذبين أو حتى عنيفين، وأحياناً يتطلب الأمر وجود حكم بينهم وفي أحيان أخرى يكونون ودودين. كان

بعضهم يشكل مجموعات ويتنقلون من محطة لعب إلى أخرى، بينما يتنقل الآخرون منفردين، وينضمون إلى أي شخص يجدونه في المكان الذي وصلوا إليه.

كل هذا باستثناء الفتى الذي يجلس على الأرض في إحدى الزوايا ولا يلعب مع أي شخص، بل يراقب الأطفال الآخرين وهم يسارعون إلى تجاوزه، متجاهلين إياه. قبل دقيقة واحدة، تدرجت إحدى كرات القوم نحوه وأعادها إلى إحدى الفتيات التي أخذتها دون أن تشكره.

أستطيع القول إنه يريد أن يكون جزءاً مما يفعلونه، إذ أرى الشوق في عينيه وهو يشاهد هؤلاء الأطفال اللاهثين وهم يركضون ويهتفون ويضحكون. إنه يريد أيضاً أن يركض ويصرخ ويضحك. ولكن ثمة شيئاً يمنعه ويبقيه متمسراً في الزاوية. كان يشعر كأنه لا ينتمي إليهم.

لكنه يريد حقاً أن ينتمي إليهم. ولو أنهم يعطونه الفرصة فحسب، لرأوا أنه مثلهم تماماً يريد أن يشعر بالأمان ويتألف مع مكانه، ويكون جزءاً من المجتمع. إنه يريد الأشياء ذاتها التي يريدونها، ويخشى الأشياء نفسها التي يخشونها. انهض أيها الصبي الصغير ولا تخف، فهم سيحبونك حقاً.

فليعطه أحدهم فرصة ويمد له يده أو يدعوه إلى الانضمام إليه. فلن يتكلف الكثير، بل مجرد فعل صغير من اللطف، وسيجده ينضم إليه بسعادة. أعدك بأنه لا يحتاج إلى الكثير - أعدك بذلك. إنه يحتاج فحسب إلى شخص واحد، شخص واحد فحسب ليريه أقل القليل من اللطف قبل أن يكون ذلك...

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صمت لمدة ١٧ ثانية).

انهض أيها الصبي الصغير، فلتنهض وتلعب.

(النهاية)

الفصل 37

أمسك بوكس بالباب ليبقيه مفتوحاً حتى أدخل، يا لنبل هذا الرجل! لذلك كنت أول من يرى العجرفة المرتسمة على وجه الرجل الذي كان يجلس على المقعد الجلدي، ومن سيكون سوى المدير المساعد يوليوس أ. ديكنسون. (حرف الألف يرمز إلى كلمة أحمق. وحتى والداه كانا يعلمان أنه سيكون أحمق).

"حسنًا ، حسنًا"، كان ديك يتمكن دائماً من فعل شيء آخر عندما تدخل إلى الغرفة التي يجلس بها، ولم يكن ما يفعله له أي غرض سوى التقليل من شأنك والرفع من شأنه. وهو اليوم يقرأ شيئاً، أظنه منشوراً أو كتيباً. "لا داعي لأن تجلسا، فالأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً"، قالها وهو يوقفني أنا وبوكس ليس ببعيد عن مكتبه.

وبعد أن جعلنا ننتظر في أثناء تصفحه المنشور الموجود أمامه، نظر إلينا من فوق نظارته وقال: "يبدو أن أسبوعكما كان مليئاً بالأحداث في شيكاغو، دعوني أر إذا ما كنت أفهم الأمر بصورة صحيحة: أكدت لنا إيمي هنا أن هناك قاتلاً يشن موجة جرائم عبر البلاد، وأنه يتفادى كشف جرائمه ببراعة من خلال مخطط ذكي لافتيال الحرائق. وعلى ما يبدو، فإن هذا المخطط يشمل إعادة ترتيب وضعية السرير في غرفة النوم لزيادة تدفق الأكسجين في الغرفة إلى الحد الأقصى، وبالتالي، استعمار النيران".

إنه يتلو حرفياً تقريباً ما جاء في التقرير الذي أصدرناه أمس، وهو التقرير الذي طلبه منا ذلك الأحمق؛ لقد قرأه على الأقل.

وواصل قائلاً: "وخلال أسبوعكم الحافل بالأحداث، تمكنتم من تحديد أنه من بين الحرائق الخمسة والخمسين التي تشكل ما يسمى بموجة الجرائم، هناك مسارح جريمة في حوالي نصف تلك الحرائق، حيث يوجد السرير على الجانب الآخر من باب مفتوح". ثم قلب صفحة مما كان يقرؤه وقال: "ولكنكم لا تعرفون إذا ما كانت وضعية تلك الأسرة هي الوضعية التي كانت عليها طوال الوقت، أم أن سفاحنا الوهمي قد نقلها من مكانها". وددت أن أقول إن ذلك باستثناء مارتا، فمن المؤكد أن سرير مارتا قد نقل.

"أما بالنسبة للنصف الآخر من الحرائق، فليست لديكم فكرة عن وضعية السرير، إذ لم تكن هناك معلومات كافية، أكل هذا صحيح؟" قال بوكس: "صحيح".

واستمر ديكنسون: "حسنًا، إذن فإن حوالي نصف تلك الأسرة كانت موضوعة مباشرة أمام باب مفتوح؟ كنت سأعتبر ذلك حقيقة مهمة للغاية..."

ونظر إليّ وعلى وجهه أثر ابتسامة.

ثم أضاف: "لو كنت رئيس تحرير مجلة تصميمات المنزل والحديقة، لكنني لست كذلك، فأنا المدير المساعد في المباحث الفيدرالية، وأجد أن هذه المعلومة ثانوية للغاية وغير ذات أهمية. ولكن هل تعرفون ما الذي أجده مهمًا للغاية؟"

عضضت على شفتي السفلى وأنا أستشيط غضبًا.

"ما أجده مهمًا للغاية هي نتائج تقريرين مستقلين للطب الشرعي درسا ضحيتين مختلفتين لحريقين شملهما الحرائق المعنية، واللذين خلاصا إلى أن تلك الوفيات كانت عرضية ولا يوجد بها شبهة جنائية". ثم أخذ هاتفه ورفع المنشور أمامه، وعندها أدركت أنها قائمة، فهذا الوغد كان يختار غداءه من قائمة طعام، فقال في الهاتف: "ليديا، أريد شطيرة لحم مشوي وسلطة بطاطس. وأريد اثنين من أطباق المقبلات، اثنين وليس واحدًا".

ثم وضع الأحمق الهاتف على صدره ونظر إلينا وقال: "هذا التحقيق أغلق الآن رسمياً، وقد ألغى تعيينك المؤقت يا بوكس ابتداءً من الآن".

بقي بوكس هادئاً واطعاً ذراعيه خلف ظهره.

وأضاف ديكنسون وقد تغيرت تعبيراته: "أما بالنسبة لك يا إيمي فلتعودي في الساعة السادسة من هذا المساء حتى تتمكن من مناقشة وقلقك عن العمل".
تسمرت في مكاني، لكن بوكس أمسك بذراعي وأخرجني، بينما أكمل ديك طلب الغداء.

الفصل 38

قلت لبوكس ونحن في المصعد: "كان من الممكن على الأقل أن تدافع عن موقفنا، إذ إنك تملك نفوذًا أكثر مني".

هز بوكس رأسه وقال: "ليس مع يوليوس، وربما ليس مع المدير أيضًا، ليس بعد الآن".

قلت: "لا يزال بإمكانك أن تناضل من أجل الصواب". فانقلب ضدي وقال: "حسنًا، وما الصواب؟ أخبريني من فضلك يا إيمي".

عندها فقط أدركت معنى صمت بوكس النسبي خلال الساعات الست والثلاثين الأخيرة، منذ أن حصلنا على تقرير التشریح. كنت أفترض أننا متفقان، وأن غضبي وشعوري بالإحباط و يقيني الشديد هي المشاعر ذاتها التي تنتاب بوكس.

قلت له: "إنك لم تعد تصدقني بعد الآن، ولا تعتقد أن هذه جرائم قتل". "حسنًا" - سعل وهو يرفع يديه - "هناك حقائق معينة علينا مواجهتها هنا يا إيمي".

ابتعدت عنه وقلت: "لا أصدق هذا"، فقال وهو يمسك بي: "حقًا". "لا تصرخ في وجهي يا بوكس، قل فحسب ما ستقوله". أخذ نفسًا وقال: "إنها ليست مسألة ما إذا كنت أصدقك أم لا يا إيمي، فأنت مثلي لا تملكين أدلة تثبت أن هذه جرائم قتل، بل مسألة تصديق البيانات. والبيانات تقول إنه لا توجد جرائم".

واجهته وقلت: "كلا، تقول البيانات إن بطل قضيتنا بارع في التغطية على جرائمه".

فرفع بوكس يديه غاضباً وقال: "أوه، عذراً لهذا صحيح. أولاً، غياب الدليل على التعمد في إشعال الحرائق يعني أنه مفتعل حرائق بارع. والآن، عدم توافر الدليل على وجود جريمة قتل يثبت أنه قاتل بارع أيضاً. ماذا بعد؟ عدم توافر الأدلة على أنه سفاح من كوكب المريخ يثبت أنه سفاح مريخي بارع. وغياب الدليل على أنه سوبرمان يبرهن على أن هذا السوبرمان هو أبرع قاتل مفتعل للحرائق شهده العالم على الإطلاق!".

صحت قائلة: "جيد، إنك مثل ديكسون، أتعرف ذلك؟ عذراً حقاً يا بوكس على أنني أهدرت وقتك".

ضرب بوكس لوحة مفاتيح المصعد بيده، صافعاً زر التوقف في حالات الطوارئ ليتوقف المصعد فجأة حتى إنني كدت أفقد توازني. كان الدم يتدفق في عنقه جاعلاً إياه يبدو قرمزياً داكناً وعضلات حاجبيه متشنجة.

وقال وهو يشير إلى وجهي بإصبعه: "لا تضعيني في الفئة نفسها مع يوليوس، لقد أحسنت الظن بك، وكنت أريد أن تكوني على حق، فأنا أعرف مدى أهمية هذا بالنسبة لك. لكنك لست على صواب يا إيمي وقد حان الوقت لأن تستفيقي. تذكري محاسن مارتا، وافعلي ما يفعله الآخرون عندما يفقدون شخصاً يحبونه وهو الحداد، ثم تغلبي على الأمر ببطء. فهذه الحملة الشرسة التي تقودينها تهدد سلامتك العقلية، وستكون نهاية حياتك المهنية هنا إذا لم تكوني حذرة".

ثم ضرب على الزر محرراً المصعد مرة أخرى ضاغطاً على زر الطابق التالي، على الرغم من أنه ليس الطابق الخاص بنا.

وقال: "من الأفضل أن تكوني لطيفة مع ديكسون في الساعة السادسة، وإلا لن عملي هنا مرة أخرى".

الفصل 39

ظللت أسير دون هدف لأضيع الوقت حتى يحين موعد اجتماعي المصيري مع ديك في الساعة السادسة. وفي طريق بنسلفانيا أفينيو الشمالي الغربي، مررت بمباني الأرشيف القومي. فتذكرت مجيئي إلى هنا في الإجازة الصيفية عندما كنت طفلة. كان والدي مولعاً بالتجول في مبنى المباحث الفيدرالية، حيث الأشياء المتعلقة برجال الشرطة واللصوص التي تعود إلى فترة طفولته، وبقايا قضايا مشهورة تتضمن "رشاش كيلى" و"الولد الوسيم فلويد ونيلسون ذا الوجه الطفولي" والمظلات التي تطلق النار، ومسدس جون ديلينجر، ورسائل الفدية العديدة المتعلقة باختطاف الطفل لينديبرج. أما مارتا ووالدتي فكانتا تتمتعان بالعروض العديدة لمتحف سميثسونيان؛ وكانتا تفضلان متحف الطيران والفضاء الوطني.

أما أنا، فإنني كنت أفضل الأرشيف؛ حيث السجلات التي يعود تاريخها إلى قرون، وفكرة إعادة بناء الماضي لفهم أفضل له، وحتى للتنبؤ بالمستقبل؛ حيث يكمن معنى التاريخ المتشابك الذي يجمع بين الحاضر والماضي. عندما كنت طفلة، كان والدي يتنبأ لي بأنني سأكون عالمة آثار، لكنني لم أكن أريد العودة بالزمن إلى هذا الحد. فلم أكن أبداً مهتمة بالهيروغليفية أو الأهرامات أو عظام الديناصورات، بل كانت الأرقام هي ولعي الوحيد. كنت أحب الأرقام والحقائق التي يسهل تصنيفها؛ حيث إجراء الحسابات والتنبؤ بالصيغة وتوقع النتيجة. فالرياضيات كانت حبي الأول؛ فقد اعتدت اللعب بالأرقام في عقلي،

إذ أخبرني أحد المعلمين ذات مرة بأنه في حالة جمع الأرقام المكونة لأي عدد وكان حاصل الجمع يقبل القسمة على ثلاثة، فإن العدد الأصلي قابل أيضاً للقسمة على ثلاثة. فأصبحت لا ألقى نظرة أبداً على عدد دون إجراء تلك المعادلة في رأسي. فالعنوان ١٥٣٥ لينسكوت سيصبح $١ + ٥ + ٣ + ٥ = ١٤$ ، وهو غير قابل للقسمة على ثلاثة، وبالتالي فإن الرقم ١٥٣٥ لا يقبل أيضاً القسمة على ثلاثة. وتصبح لوحة السيارة كيه إل تي ٤٢٨؛ $٤ + ٢ + ٨ = ١٥$ ، وهو الرقم الذي يقبل القسمة على ثلاثة، وهكذا يكون الرقم ٤٢٨.

اعتادت مارتا أن تقول لي - أنا شقيقتها التوأم التي تحب الكتب - إن الحياة ليست مجرد أرقام وصيغ، فعليك أن تعيشي يا إيمي وتقابلي الناس وتتفاعلي معهم.

حسناً، لقد فعلت ذلك مع بوكس وسمحت له بالدخول في حياتي، لكن هذا قد انتهى الآن، ولن يشتعل هذا الحريق مرة أخرى، ليس لافتقار الشرارة، بل لأنني لست قادرة على الحفاظ على هذه النيران إلى الأبد. كنت أعلم أنني سأخيب آماله إن عاجلاً أم آجلاً، فلم يكن هناك مفر من ذلك. كان سيبنى حياة معي لكنه كان سيدرك بعد ذلك أنني لم أكن الشخص الذي كان يتصوره ويريده. وكان سيمنعه نبهه من الاعتراف بذلك؛ لم يكن سيتركني، لكنه كان سيحكم عليه مدى الحياة بأن يعيش حياة سيئة تسجنه فيها زوجة صديقة ورفيقة أكثر منها حبيبة. لعله لن يدرك أبداً ما أنقذته منه، لعله لن يدرك أنه تفادى رصاصة كانت على وشك أن تخترق صدره. لن يفهم أبداً أنني قدمت له خدمة عندما أنهيت ما بيننا.

هل كان محقاً فيما قاله في المصعد؟ هل هذه مجرد حرب أشنها وأنا منفصلة عن الواقع؟ هل هذه هي الطريقة التي اخترتها للتعامل مع وفاة مارتا؟ هل يمكن لفتاة تربت على الولع بالإحصائيات والاعتماد عليها، أن تدير ظهرها فجأة لكل الحقائق، وتعتقد في وجود وحوش مخيفة في الخزانة؟ ربما حان الوقت لأن أنضح.

ربما حان الوقت لمحاولة إنقاذ حياتي المهنية مع المباحث الفيدرالية. تحققت من ساعتى فوجدتها الخامسة، وكان من الأفضل أن أعود لأنني لم أكن أريد التأخر عن اجتماعي.

حان الوقت للتنازل عن كبريائي، ومعرفة ما إذا كان بإمكانني الحفاظ على
وظيفتي أم لا.
ولكن قبل أن أصل إلى مبنى هوفر، رن هاتفني الخلوي، وكان المتصل هي
صوفي تالاماس.
فقلت لي لاهثة: "كنت على حق يا إيمي، كنت على حق تمامًا".

الفصل 40

وقفت في ضلال بعض الأشجار التي تصطف على جانبي المنطقة الشمالية الغربية لشارع بنسلفانيا؛ حيث كان النسيم يداعب شعري، والسائحون يجوبون الأرصفة في تمهل بينما يشق العمال بينهم طريقهم إلى منازلهم. ووضعت إصبعي في أذني اليمنى حتى أستمع بشكل أفضل بأذني اليسرى إلى كلمات صوفي تالاماس بينما كانت تسرع في سرد اكتشافها.

قالت: "لقد وقعت الحادثة يوم الجمعة، واسم الضحية هو تشارلز دالي. وهو بائع أحذية يعيش في ضاحية بمدينة دنفر تُدعى ليكوود. وقد عثر عليه ميتاً في غرفة نومه التي كانت نقطة نشوب الحريق. أعلم أنك ستسأليني عن وضعية السرير في الغرفة، لكنني لم أعرف تلك المعلومة بعد."

كنت أومئ بالموافقة بينما كانت تتحدث، رغم أنها لا تستطيع رؤيتي. فقلت: "يبدو أنه هدفنا، ولكن..."
"ولكن ماذا؟"

فاستطردت: "ولكنه عادة ما يقتل شخصين في كل مكان يسافر إليه. ألم تقع إلا تلك الحادثة في ضاحية ليكوود؟"

فقالت: "حسناً... إليك ما في الأمر، الإجابة القصيرة هي بلى، حتى الآن لم تقع إلا تلك الحادثة، لكنني كنت أتوقع أن أجد حريقاً ثانياً أيضاً، كما قلت، في المنطقة المحيطة. لذا وسعت دائرة بحثي قليلاً، وأعتقد أنني وجدت حريقاً آخر لكنه مختلف بعض الشيء."

"كيف؟"

فقال صوفي: "كانت هناك ضحيتان في الحريق، وليس ضحية واحدة، أما بقية الأشياء فهي متطابقة مع تلك المتعلقة بالحرائق الأخرى كنشوب الحريق في غرفة النوم، والترجيح بأن السبب عرضي، ولكن الحريق أسفر هذه المرة عن وقوع ضحيتين وهما لوثر فيجلي وتامي دوفي، إذ كانا يعيشان معاً في منزل في مدينة جراند آيلاند بولاية نبراسكا".

"نبراسكا؟ كم تبعد عن ضاحية ليكوود بولاية كولورادو؟"

"حوالي ستمائة وثلاثة وأربعين كيلو متراً، إذ تستغرق المسافة ست ساعات بالسيارة. ولكن هذا منطقي يا إيمي؛ فقد عثر على لوثر وتامي متوفيين في نبراسكا قبل يومين من جريمة القتل التي وقعت في مدينة دنفر يوم الأربعاء في الخامس من سبتمبر. فإذا كانت فرضيتك صحيحة بأن بطل قضيتنا يعيش في منطقة الغرب الأوسط، فإنه يمكن أن يكون قد سلك الطريق السريع ٨٠ الغربي إلى مدينة دنفر، بينما تقع مدينة جراند آيلاند بولاية نبراسكا على جانب هذا الطريق".

ففكرت في الأمر، وقلت: "لنقل إنه قاد سيارته من ولاية إلينوي أو حيثما يعيش، على طول ٨٠ السريع، وأنه توقف يوم الأربعاء عند مدينة جراند آيلاند بولاية نبراسكا وقتل هذين الشخصين، لوثر وتامي، وبذلك فقد كان أمامه ما يكفي من الوقت ليذهب إلى دنفر في يوم الجمعة ويقتل بائع الأحذية".

"بالضبط، كنت على حق يا إيمي، إنه يرتكب جرائمه بعد ذكرى يوم العمال. كنت على حق تماماً". ربما يكون الأمر كذلك، لكن لا أحد ممن يوجدون في موقع السلطة يصدقني. لقد قيل لي للتو من قبل طبيبين مستقلين من الأطباء الشرعيين ومن قبل المدير المساعد للمباحث الفيدرالية إنني مخطئة تماماً. فقد أغلق التحقيق تماماً وألغيت سلطتي.

انتزعتني من أفكارى وسألتني: "كيف سارت الأمور مع ديكنسون اليوم؟"

حاولت التفكير في الكلمات الصحيحة، وقلت: "لا يزال العمل جارياً".

"حسناً، لا يمكننا التوقف الآن يا إيمي، بل لا بد لنا أن نمسك بهذا الرجل".

فليستجيب لها الله أو ليستمع لها ديكنسون. إنها محقة بالطبع، فلا أستطيع التوقف الآن لأنه لن يتوقف عن ارتكاب جرائمه. لكن كيف لي أن أفعل ذلك؟ وكيف سأبقي هذا التحقيق مفتوحاً؟

الفصل 41

توجهت إلى مكتبي قبل أن أذهب إلى لقائي مع ديكنسون. فرأيت بوكس في المكتب القابع في نهاية الرواق، وهو المكتب الذي أعطوه إياه عندما عاد مؤقتاً إلى العمل. فهذا هو التسلسل الوظيفي الصارم للمباحث الفيدرالية، وهو أن يحصل رجل ليس موظفاً بدوام كامل على مكتب لمجرد أنه كان يحمل لقب "عميل خاص".

كانت الأشياء القليلة التي جلبها معه بوكس ليشعر كأنه في منزله - وهي صورة لوالديه وكرة قدم موقعة من فريق كانساس سيتي تشيفز لموسم عام ١٩٩٥، وشهادة حصل عليها من المباحث الفيدرالية - موضوعة في صندوق معد لنقله مرة أخرى إلى الإسكندرية. كان بوكس يبدو شاحباً ومنهكاً. وكان الإرهاق والحزن يظهران على عينيه. ولم تكن رابطة عنقه مربوطة. لعله سعيد بانتهاء تلك المهمة القصيرة؛ ولعله متحمس للعودة إلى مكتبته.

توجهت إلى مكتبه وقلت له: "لقد قسوت عليك قليلاً من قبل، أعلم أنك فعلت الكثير حتى تجعلني أصل إلى هذه المرحلة".

فابتسم نصف ابتسامة، وأشار بيده معلناً انتهاء الموضوع.

فقلت: "هناك جريمتا قتل أخريان، واحدة في ولاية نبراسكا، وأخرى في ولاية كولورادو، وقد وقعتا في غضون يومين. لقد بدأ موجته الإجرامية حيث تتوافر الأوصاف والأسلوب ذاته".

هز بوكس رأسه وقال: "أراهن أن نتائج التشريح ستكون النتائج السابقة نفسها، هذا لو وصل التحقيق إلى هذه المرحلة، وهي الموت نتيجة استنشاق الدخان الناتج عن الحريق العرضي".

ربما كان محقاً في ذلك، فليس باستطاعتك أن تفك غموض جريمة إذا لم يكن هناك أحد على استعداد لأن يقر بأنها جريمة في المقام الأول.

فأوماً لي وقال: "أتعرفين! يقولون إنك لا تصبحين مخضمة في عملك حتى تواجهي واحدة من تلك".

"واحدة من ماذا؟"

"واحدة من تلك القضايا التي لا تصلين فيها إلى حل".

هذا صحيح، لقد عمل بوكس في إحدى هذه القضايا. فقد اعتاد الحديث عنها طوال الوقت.

فقلت: "قاتل راعية البقر".

فزمت شفتيه وأوماً بالموافقة. كانت سبع جرائم قتل قد وقعت على مدى ست سنوات في منطقة الجنوب الغربي بولايات تكساس ونيومكسيكو وأريزونا. وكانت الضحايا نساء جذابات ينحدرن من عائلات تعمل في تربية الحيوانات. كان القاتل يقطع أذرعتهن وسيقانهن قبل الاعتداء عليهن. وقد نشرت كل التفاصيل المرعبة في جميع الصحف المحلية.

باستثناء هذه المعلومة؛ فقد كان يقطع أصابع أقدامهن ويضعها في أفواههن.

وكان بوكس قد انضم إلى التحقيق في مرحلة متأخرة، وكما قال لي، فقد أنهكته القضية، إذ عمل لسنوات دون الوصول إلى نتيجة. كان العاملون بالمباحث الفيدرالية - الذين يحبون إعطاء أسماء لعملياتهم - يطلق على القاتل اسم "قاتل راعية البقر". وقد وقعت آخر جريمة قبل حوالي خمس سنوات أو ما شابه. وظل بوكس يحبس أنفاسه منذ ذلك الحين.

قال بوكس: "تأملين أن يقبض عليه في جرائم أخرى، أو يموت، فكل يوم تسألين نفسك: ألا يزال على قيد الحياة وبصحة جيدة وحر في مواصلة جرائمه؟ هل سيقتل شخص آخر، هل سيموت شخص آخر لأنك لم تستطعي أن تؤدي وظيفتك على النحو المطلوب؟".

وهذا باختصار هو بالضبط ما لا أريده: فلا أريد أن تكون قضيتي مع هذا المجرم عبرة للآخرين، ولا أريده أن يصبح "قاتل راعية البقر". دفع بوكس نفسه من المقعد وسار نحوي وقال: "مهما حدث مع ديكنسون، حافظي على وظيفتك يا إيمي. سيهينك ويحط من قدرك، ولكن تعاملي مع الأمر فحسب، اتفقنا؟ تحلمي وضاعته إذا كان هذا هو ما يتطلبه الأمر للبقاء في عملك، لأنه يمكنك أن تكوني أكثر فعالية حينما تكونين داخل المكتب".

"أكثر فعالية..."

فوضع يده على كتفي وقال: "أكثر فعالية في العثور على القاتل مفتعل الحرائق يا صغيرتي. إذا كنت تعتقدين أن هذا الشخص موجود بالفعل، وأن هذه الأشياء تحدث، فلا تستمعي إلى ما يقوله أي شخص آخر. فلا تنصتي إليّ أو لديكنسون أو للطبيب الشرعي. وحتى لو اضطررت لفعل ذلك بنفسك، فلا تستسلمي".

التقت أعيننا للحظة واحدة صغيرة وذات معنى، قبل أن يشيح كل منا بنظره عن الآخر. كان على حق بالطبع. وكانت هذه دائماً هي خطتي، فلم تكن لدي أية نية على الإطلاق للتخلي عن هذا التحقيق.

السؤال الوحيد هو: ما الذي سيكون عليّ التضحية به من أجل الاستمرار.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل 42

قال ديكنسون: "ادخلي يا إيمي"، فمساعدته ليديا كانت قد أنهت ساعات عملها وغادرت المكان. وكان نصف هذا الطابق - حيث يعمل التنفيذيون - فارغًا ويسوده الهدوء الشديد. بدت لي الغرفة، حيث يوجد مكتب ديكنسون، أصغر حجمًا.

ولأول مرة لم يتظاهر ديكنسون بأنه يفعل شيئًا آخر حتى يجعلني أنتظر بينما يراجع أحد التقارير أو يفحص قائمة طعام الغداء أو يتجاذب أطراف الحديث على الهاتف للتقليل من أهمية وجودي، بل كان متحمسًا هذه المرة لرؤيتي متطلعًا إليّ وعلى وجهه تعبيرات وحشية، وكأنه حيوان مفترس يشتم رائحة الدم في الماء. فقد أصبحت في تلك اللحظة ملكًا له، وكان كلانا يعرف ذلك، إذ إنني خسرت المعركة وفاز هو بها.

اتجهت نحو المقعد المجاور لمكتبه ولكنني ظللت واقفة.

"يمكنك الجلوس إذا أردت".

"سأقف".

بدرت منه إيماءة استهجان، وقال: "إيمي، إيمي، إيمي، دائمًا ما تختارين المسار الأصعب بينما يكون متاحًا أمامك مسار أسهل".

كان كلانا يعرف ما يعنيه بالمسار الأسهل، بل إنني كنت أعرف ذلك منذ أكثر من عام في المرة الأولى التي وضع فيها يده على كتفي وكأننا حبيبان، وكيف كان يأتي من خلفي وينحنني فوق كتفي بحجة مراجعة شيء على شاشة

الكمبيوتر، ثم التلميح لي بطريقة غير مباشرة لدعوتي لتناول مشروب أو عشاء بعد العمل، وأخيراً ذلك اليوم الذي طلب مني فيه أن أذهب معه لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في مانهاتن. أتذكر أنني لم أفهم الأمر في البداية - فقد كنت أبعد ما يكون عن التفكير في إقامة علاقة مع هذا الرجل الذي لم يخطر ببالي أنه كان يتحدث عن رغبة معجب في قضاء وقت ممتع مع من يعجب بها؛ بل كنت أفترض أن الأمر يتعلق بالعمل. فسألته حينها: "ولم سنذهب إلى مانهاتن؟". فغمز بعينه مرتين، وحدثني كما لو كانت الإجابة واضحة وقال: "لننعم ببعض الخصوصية".

فضحكت؛ لم تكن إلا ضحكة مكتومة تشبه الفواق، ولكنها كانت كافية أن تخبره بأن مجرد التفكير في أننا يمكن أن نكون معاً يثير الضحك.

شعرت وقتها بنذير شؤم من هذا الموقف. وكنت أنوي مناقشته مع بوكس في صباح اليوم التالي، لكن الأمر لم يصل إلى هذا الحد، إذ إنني بلغت في صباح اليوم التالي بأن المدير المساعد يوليوس ديكنسون كتب ضدي تقريراً يتهمني فيه بالتحرش وسوء السلوك.

سألته: "وما المسار الأسهل؟".

فغمز لي ديكنسون؛ ما أشعرتني بتشنجات في معدتي، ثم نهض من مقعده وأتى إلى جانبي وأظهر لي جهازاً صغيراً محمولاً يبدو كأنه جهاز لاسلكي قديم بأضواء وهوائي صغير.

وقال: "هذا ما يمكن أن تسميه كاشف أجهزة التنصت"، ثم ضغط على أحد الأزرار، فأصدر الجهاز طنيناً، وتحولت إضاءته إلى اللون البرتقالي، وظهر على شاشته الصغيرة خط يتحرك صعوداً وهبوطاً بطريقة متعرجة يقيس موجات تردد الراديو مثل جهاز مراقبة القلب. وأضاف: "سيكشف أي نوع من أجهزة التنصت سواء أكان التنصت على المكالمات الهاتفية أم جهاز إرسال محددًا للمواقع أو كاميرا تجسس"، ولوح به من فوقني وسار خلفي. لم تخفت حدة الطنين، ولكنها ظلت مستقرة دون ارتفاع أو انخفاض.

"لا توجد أجهزة تسجيل"، قالها وأنفاسه تدغدغ أذني، مشعرة إياي بقشعريرة في عنقي، ثم أضاف: "والآن لا بد أن أفحصك، ارفعي ذراعيك".

"لماذا؟".

"نظراً لأن جهازني الصغير لن يكشف عن وجود المسجلات القديمة، أو ربما لأنني أريد ذلك".

رفعت ذراعي، ففتشني بتمهل تفتيشاً دقيقاً، فاحصاً أجزاء جسدي المختلفة بشكل كامل حتى إنه عرف نوع الملابس التي أرتديها. وبعد فحصه كل ذرة في جسدي، أخذ هاتفني الذكي - الآيفون - وفحصه قبل إعادته لي. قال وهو يطمئني كاشف أجهزة التنصت ليتوقف طنينه فجأة: "جيد جداً". سألته: "لماذا هذه الطريقة البوليسية؟".

أتكأ على المكتب مثبتاً نظره عليّ وقال: "لماذا؟ لأنني أريد التحدث معك يا إيمي، ولا أريد أن يسمع أحد غيرنا هذا الحديث".

القصة

43

عقد ديكنسون ذراعيه بينما ظل متكئاً على المكتب يهز رأسه أمام وجهي كما لو أن هناك طفلاً وقحاً يقف أمامه.

"محادثة خاصة، هل ستشرح لي المسار الأسهل الذي ينبغي أن أتبعه؟".
 "إنك تعرفين ماهية المسار السهل"، ثم فتح يديه، وأضاف: "هل سيكون الأمر سيئاً يا إيمي؟".

هل سيكون من السيئ أن أوافقه على ما يريد؟ إنني أفضل أن أزيل سنناً من أسناني بالكماشة دون مخدر أو أن استحم في الحمام البركانية على أفعل ذلك معه.

رن هاتفي الخلوي، فنظرت إلى الشاشة ووجدت أن المتصل هي "أمي".
 فقال ديكنسون وهو يلقي نظرة خاطفة على هاتفي: "أوه، والدتك تتصل".
 كان هذا هو الوقت الذي تحب أمي أن تتصل فيه، بعد انتهائها من عشاها وشرابها حتى تُفرق ابنتها الوحيدة المتبقية بكلمات حب طائشة، إذ يفجر الليل والوحدة والشراب المشاعر التي لا يمكن لأي شيء آخر أن يفجرها، إنها تلك المشاعر التي ظلت حبيسة صدرها على مر السنين، والتي تتدفق في صورة تعابير من الحب والندم، ثم تنحسر إلى مكنونها عندما تستفيق.

قلت: "لن أجيئها"، وبضغطين توقف الرنين، ثم وضعت الهاتف على المقعد المجاور لي. قال ديكنسون وقد ظهرت ابتسامة على إحدى زاويتي فمه: "لنكمل حديثنا". قلت: "أنا لست منجذبة إليك، ولا إهانة في ذلك".

صدرت منه ضحكة صغيرة وقال: "لا أشعر بالإهانة يا إيمي، لا أشعر بالإهانة"، ونظر إليّ ومال برأسه على كتفه، وأضاف: "لم تفهمي الأمر، أليس كذلك؟ هذا سيجعله أكثر متعة بالنسبة لي". كنت أشعر كأن هناك مكعب تلج أسفل مؤخرة عنقي. إنه كل ما يمكنني فعله للبقاء في تلك الغرفة. سيكون الأمر في الواقع أكثر إثارة له إذا أقمت معه علاقة ضد إرادتي، إذ سيشتعل شعوري بالاشمئزاز منه رغباته. ما الشيء الذي قد أرغب في التضحية به؟

نصحتني بوكس بأن أحافظ على وظيفتي لأنني قد أكون أكثر فعالية وأنا أعمل داخل المباحث الفيدرالية.

فسألته وقد أدت رأسي غير قادرة على التواصل البصري معه: "و... إذا قبلت؟".

"إذا قبلت يا إيمي ستستعدين وظيفتك ابتداءً من الآن".

فأغلقت عيني وقلت: "ماذا عن فريق العمل؟ هل يمكننا الاستمرار في التحقيق في هذه الحرائق؟".

صمت ديكنسون وهام بعيني وبلسانك، فأدركت أنه يتخيل المشهد - يتخيلنا ونحن معاً الآن.

اجتاحني شعور مريب بالغثيان، وحجبت عن ذهني أية صورة لهذا الرجل القصير البدين ذي البشرة البرونزية المصطنعة وتسريحة الشعر السيئة وهو عار وأنا معه.

قلت: "إذن، ماذا لو تناولنا العشاء وقضينا الليل معاً...".

قاطعني: "أو أي شيء آخر أريده منك، فأنا رجل متعدد الأذواق".

فأمسكت بقصبة أنفي وسمحت للصمت بأن يسود بيننا، ثم رفعت نظري وقلت: "كلا، لا أستطيع فعل ذلك".

حاول ديكنسون، وهو الذي يتلذذ بأن له اليد العليا دومًا، ألا يمنحني متعة رؤية خيبة أمله. فاكتمت بهز كتفيه في لا مبالاة وقال: "إذن فإن هذا هو آخر يوم عمل لك هنا".

لا يمكنك أن تفصلني من العمل لأنني لن أسمح لك بالاقتراب مني".

"الأمر ليس كذلك، إنني أفصلك من العمل لأنني لا أزال أعتبر أنك غير مستقرة عقلياً. ما هذا الذي تقولينه بشأن مطالبتي بممارسة العلاقة الحميمة

معك؟ ثم مال نحوي وأضاف: "هذا يبدو كأنه سيكون بمثابة شهادتك ضد شهادتي، أليس كذلك يا إيمي؟".

فقلت: "ربما، وربما لا".

"أعتقد أنني سمعت ذلك بالطريقة ذاتها التي سمعتها بها إيمي"، صدح صوت بوكس عبر مكبر الصوت في الهاتف.

فانتفض ديكنسون من مكانه، والشحوب يعلو وجهه كما لو أنه رأى فأراً يسير على الأرض. "ما... ما هذا؟".

فقلت هذا بوكس، أعتقد أنه بدلاً من أن أطفئ هاتفي، أجبته عليه. لا بد أنه كان يستمع إلى حديثنا طوال الوقت".

وبينما كانت الصدمة لا تزال تسيطر عليه جراء هذا التحول في الأحداث، والشحوب يعلو وجهه (وأفترض أن بقية أعضائه كانت كذلك أيضاً)، قال ديكنسون: "المكالمة التي كانت من... أمك؟".

أوه، ربما غيرت اسم بوكس على هاتفي ليصبح "أمي". قد يكون حدث هذا، لنقل، في آخر ثلاثين دقيقة أو نحو ذلك، قبل أن آتي إلى هنا.

قلت: "إنك لا تبدو على ما يرام يا يوليوس، ربما ينبغي عليك أن تجلس".

ترنح ديكنسون إلى الخلف مبتعداً عني وعن الهاتف حتى اصطدم بالحائط. كان عقله شاردًا، يحاول إعادة الحديث الذي دار بيننا مستدعيًا ما قاله وقد يكون بوكس سمعه، ومتأملًا ما إذا كان يستطيع تغيير ما قاله بطريقة معينة أو الإفلات منه بالإنكار الصريح.

وأخيرًا، وقد تهدلت كتفاه، بدا أنه أدرك خسارة هذه الجولة، إذ كان قد قال كثيرًا مما يدينه. وبينما كان بإمكانه الإفلات من الأمر بالإنكار عندما كانت الحال هي شهادته ضد شهادة محللة أبحاث متواضعة، أصبح الآن يعرف أن هذا غير مرجح لأن بوكس لديه الأفضلية لدى المدير. ونظرًا لكل هذه الأمور، بدا أنه قرر أنها ليست المعركة التي تستحق العناء.

فتمتم قائلًا: "لا يمكنك فعل ذلك"، لكنه بدا أنه ليس على يقين من ذلك.

فقلت: "لقد فعلناها بالفعل، اجلس الآن يا يوليوس بينما أشرح لك ما

سيحدث بعد ذلك".

الفصل 44

غادرت أنا وبوكس مبنى هوفر معاً، بينما كان المطر يبللنا برداً ذاه الخفيف وتوجهنا إلى سيارته في صمت، ولا يزال الحماس يملؤنا جراء مغامراتنا الصغيرة. لم يكن بوكس يشعر بالارتياح إزاء ذلك، وهو التنصت السري على محادثة للمدير المساعد، لكنني أقتنعت بأنه إذا كان ديكنسون ينوي التحرش بي - وكنت على يقين من أنه سيفعل ذلك بعد أن دعاني لاجتماع بعد انتهاء ساعات العمل - فإن الملاذ الوحيد هو محاربة النار بالنار (وعذراً على تلاعبني بالألفاظ).

قال بوكس بمجرد أن ابتعدنا عن المبنى: "يا له من أحمق، أعني أنني كنت أعرف أنه غبي، لكن... واو".

"ربما كان علينا أن نطلب المزيد، فعلننا كنا حصلنا عليه".

دلفنا إلى مرآب السيارات في شارع تينث ستريت شمال شرق المبنى والسعادة تتناوبنا؛ لأننا احتمينا من المطر الذي تحول رذاذه إلى زخات. كان بوكس يكره المطر ولا يحبه على الإطلاق. إنه لا يجد مشكلة في الثلوج، ويمكنه التعايش مع الحرارة الحارقة أو اصطكاك الأسنان من البرودة، لكنه يكره التعرض للمطر؛ فهو يكره الملابس المبللة والشعر الرطب والفوضى التي تترتب على كل ذلك. أما أنا فأحب رائحة المطر وملامسة قطراته لوجهي والرائحة العتيقة التي تعقبه والشعور بالحشائش الزلقة بين أصابع قدمي. ربما كانت الطبيعة الأم تحاول إخبارنا بشيء عن توافقنا.

قال بوكس: "تذكري أننا الأختيار، فما طلبناه هو ما نستحقه في هذه المرحلة وليس أكثر. فأنا أكثر رغبة من ديكنسون في ألا أضيع موارد المباحث الفيدرالية يا إيمي. لا بد أن يسير التحقيق على النحو المطلوب، وإذا لم يكن ذلك ممكناً، فلن نستطيع إجبار ديكنسون على مواصلة دعمه".

كان على حق، ومع ذلك... كان من الممتع وضع المشنقة حول عنق ديكنسون ومشاهدته وهو يتلوى. كان هناك جزء مني يريد أن يطلب منه كل الأشياء بما في ذلك مكتب جديد وراتب أعلى وإعانة - لكن كان هناك بوكس الذي يمثل صوت العقل ليخفف من تجاوزاتي.

وذكرت نفسي أنه يفعل ذلك دائماً، فدائماً ما يروض طباعك الفضة، ويكون لك المرساة في الماء بينما تتلاطم حولك الأمواج.

"ربما تكون فرصتك الأخيرة، لذلك دعينا نأمل أن تكون ناجحة".

وصلنا إلى سيارته الهوندا السيدان الجديدة، وتوجهنا إلى مطار ريجان الوطني للحاق بطائرتنا العائدة إلى شيكاغو.

الفصل 45

"جلسة جراهام"

التسجيل # ١١

١٠ سبتمبر، ٢٠١٢

أقود السيارة الآن في طريق عودتي إلى المنزل. إنها رحلة طويلة تشعرك بالوحدة بينما تقود وسط مسافات لا نهائية من الفراغ على طريق سريع إضاءته جيدة، ولكنك لا تجد على جانبه إلا الظلام الحالك، الذي يمكن أن يفعل بعقلك الأفاعيل، ويمكنني أن أؤكد لك ذلك.

هل تعلمون... هل تعلمون لماذا أفعل هذا؟ لماذا أسجل لكم تلك الأفكار؟ لأنكم تعتقدون أنكم تعرفونني، لكنكم في الحقيقة لا تعرفونني، بل لا تعرفون أي شخص على الإطلاق. ويمكنني أن أثبت لكم ذلك.

فليستخدم كل منكم نفسه كمثال. إنك تحمل أفكارًا لا أحد آخر يعرف عنها شيئًا، أليس كذلك؟ أفكارًا لا تتشاركها مع أي كائن حي، سواء أكان صديقك المفضل أم شقيقك - لا تتشاركها مع أحد مطلقًا. وفي بعض الأحيان تتحول من مجرد أفكار إلى أفعال، أشياء فعلتها.

قد تكون أكثر الآباء سخاءً ووداً، وأكثرهم فعلاً للخير، لكن لو علم رفاقك بأمر الصور الخادشة التي تضعها على جهاز الكمبيوتر، لأصبح ذلك عالماً بأذهانهم عنك أكثر من أي شيء آخر - ولو صممت على الانحراف أولاً وقبل كل شيء - لذلك تبقي الأمر سرّاً. وقد تكونين زوجة مخلصه لم تخن زوجها على الإطلاق، لكنه لو علم أنك تراودك بعض الأحلام عن مدير المدرسة أو بعض نجوم السينما، سيتغير رأيه فيك، لذلك تخفين الأمر.

إنك تخفين تلك الأفكار عن الآخرين، لأنك تخشين أن ترسم عنك تلك الانحرافات صورة معينة في أذهانهم، سينسى هؤلاء الأشخاص كل شيء آخر يعرفونه عنك، وسينسون تلك الصورة التي شحذتها بدقة لتمثلك، وسيبتذكرون فقط تلك الأشياء الصغيرة، لذلك تخفينها وراء القناع الذي ترتدينه. لكن ألا ترين؟ لا يستطيع أحد أن يعرفك على حقيقتك إلا إذا عرف انحرافاتك. فإذا كان كل ما يعرفه هو المظهر الخارجي اللطيف لشخصيتك وليس الجوانب المشوهة لها، فهو لا يرى صورة مكتملة، بل مجرد لقطات فوتوغرافية.

هل تعتقد أنك فريد من نوعك؟ هل تعتقد أنك الشخص الوحيد الذي يخفي أشياء عن نفسه؟ بالطبع لا، فهذه حال الجميع. فكل شخص حولك لديه نزعة مسيطرة أو انحراف إلى المغريات يدفنه في أعماق نفسه، ويخفيه خلف حلته الفاخرة أو مستحضرات التجميل الرائعة أو الابتسامات الدافئة أو الضحكات المهدبة. إنك لا تعرف أي شخص في هذا العالم باستثناء، ربما، نفسك.

لذا أخبركم بكل شيء عن نفسي، لأنني أريدكم أن تعرفوني، وتعرفوا كل شيء عني. لأنكم تعرفون قطعاً انحرافاتي، أليس كذلك؟ وتعرفون أسراري. هل ينبغي لهذا أن يرسم صورة معينة عني؟ سيحدث ذلك ولكن لم يكن ينبغي له أن يحدث، إنني أكثر من مجرد تلك الأشياء التي تعرفونها عني. فهذا ليس كل شيء عني.

على سبيل المثال، هل تعرفون أنني لم ولن أوذي حيواناً قط؟ هل تعرفون أنني أتولى رعاية أحد هؤلاء الأطفال الذين يعيشون في دول العالم الثالث بالتبرع له بثلاثين دولاراً في الشهر؟ هل تعرفون أنني تحملت ذات مرة تكاليف جنازة أحد جيراني ودفنته لأن زوجته لم تكن تستطيع أن تتحمل هذه التكلفة؟ أجل، هذا يشعركم بالارتباك، أليس كذلك؟ إنكم تريدونني أن أكون شخصاً شريفاً لأن ذلك أسهل عليكم في استيعابه. وترفض عقولكم أن تعرف أنني يمكن

أن أكون كريماً ورحيماً، إذ لا يتناسب هذا مع الصورة الذهنية التي تستسهلون وترسمونها عني لأنه غير منطقي بالنسبة لكم، لأنكم ترسمونني بفرشاة واحدة ولون واحد، وليست هناك مساحة لأي شيء آخر في لوحة ألوانكم العقلية. لا أعتقد أن ذلك عدل، هذا كل ما في الأمر. لا أنتظر أن يمجدني أحدهم، لكن على الأقل لا بد أن يدرك أنني شخصية معقدة مثل أي شخص آخر. أعني أنني على الأقل خلعت قناعي أمامكم. هذا أكثر بكثير مما يمكنكم قوله، أليس كذلك؟

(النهاية)

الفصل 46

كان مكتب الطبيب الشرعي في مقاطعة كوك بناية إسمنتية كبيرة لونها بيج تتناثر في واجهتها نوافذ حاول المصمم أن يضيف إليها لمسة جمالية بإضافة بعض التمرجات عند الحواف. كان تيار الهواء البارد الذي يهب علينا بينما كنا ندخل البناية منعشاً ولطيفاً. لم أكن أتوقع أن أكون بهذه السعادة حين أصل إلى مشرحة؛ فطوال رحلتنا القصيرة من المباحث الفيدرالية في شيكاغو، كان يهب علينا نحن الأربعة من مكيف هواء السيارة المستأجرة هواء دافئ. وبينما كانت صوفي تالاماس مبتلة قليلاً ووردية الوجنتين، كانت بشرتي أنا وديني ساسر وبوكس شديدة الاحمرار كما لو كنا نعاني حساسية.

قادنا موظف الاستقبال الذي كان يبدو عليه الإنهاك إلى غرفة مؤتمرات صغيرة بلا نوافذ. فغاص كل منا في مقعد بال ومهترئ بعض الشيء، فتناولت مجلة فوج، كأنه من الممكن أن أقرأها.

قال بوكس: "إذن فقد قتل شخصين في نبراسكا، ثم بائع الأحذية في دنفر".

"صحيح".

"إلى أين سيذهب هذا الأسبوع يا إيمي؟"

كما أعرف، فقد يذهب إلى مدينة سياتل، ومدينة أوستن بولاية تكساس، ومدينة برلينجتون بولاية فيرمونت.

دخلت أخيراً الطيبية أولمبيا يانوس حجرة المؤتمرات. كانت امرأة جميلة مشوقة القوام وحسنة المظهر ذات شعر أسود قصير، يتخلله بعض الخصلات الرمادية وترتدي نظارة طبية بسيطة سوداء مستديرة معلقة في سلسلة من الخرز حول رقبتها، وحذاءً مريحاً وعملياً - أعتقد أنه من دانسكو - وسروالاً كلاسيكياً رقيقاً مع قميص قطني أزرق.

بوكس: "مرحباً يا ليا"، ووقف أيضاً ديني ساسر لتحياتها.
"سعدت برؤيتكما".

وبدأ التعارف بيننا، مصافحين إياها. الطيبية أولمبيا يانوس هي عميلة خاصة بالمباحث الفيدرالية وطبيبة شرعية. لا يتولى عادة أمور المكتب عمليات التشريح المنتميات إليه، لكن عندما يحدث ذلك فعادة ما تتولاها ليا يانوس. فقد كانت من بين فريق المحققين في انهيار مركز التجارة العالمي، وحصار واكوروبو ريدج - فهي تحضر في كل مكان يهتم المباحث الفيدرالية. كانت هذه هي فرصتي الأخيرة، والامتياز الذي حصلت عليه من ديكنسون - وهو أنه سيسمح للييا يانوس بتشريح ضحيتي ولاية إلينوي؛ جويل سوانسون وكورتس فالنتين. فقد قلت لديكنسون إنه إذا قالت إنه لا توجد شبهة جنائية بالحادثتين، سأتحى في هدوء.

تسارعت ضربات قلبي بينما كانت تتخذ مكانها على رأس الطاولة وتضع ملفين سميكين للقضيتين في منتصف الطاولة. كانت مباشرة ومحترفة وحذرة ولكنها لم تكن عدوانية.

قالت: "أقدر كل المعلومات الأساسية التي أعطيتموني إياها يا ديني فيما يتعلق بالضحيتين، فقد كانت مجدية".

"لهذا أنا هنا". كان ديني يتولى العمل الميداني، جامعاً أية معلومة يستطيع الوصول إليها عن كورتس فالنتين وجويل سوانسون، بينما يتجنب التعامل مع السلطات المحلية.

مسحت ليا يانوس الغرفة بنظرها، وأطلقت تنهيدة قوية ثم قالت: "حسناً، لقد أفسدتم الأمور على بعض الأطباء الشرعيين الأكفاء".

أهذا جيد أم سيئ؟ يبدو جيداً... صحيح؟

فقال: "لقد توليت أكثر من ألف عملية تشريح خلال حياتي المهنية، ورأيت أشخاصاً مشوهين ومذبوحين ومعذبين ومسحوقين ومضروبين ومقطعين ومحروقين. لقد رأيت كل شيء. فمن المستحيل أن يدهشني شيء".
و... و... و...

واستطردت: "ولكن بعد فحص جثتي جويل سوانسون وكورتس فالنتين، أعترف بأنني كنت مخطئة في ذلك".

فلم أستطع أن أتمالك نفسي وقلت: "لم يموتا بسبب استنشاق الدخان؟".
فقال: "بل كان ذلك هو سبب الوفاة".
كان هذا هو آخر شيء أريد سماعه بالطبع، لكنّ ثمة شيئاً كان في نبرتها،
ثمة شيئاً كان يومض في عينيها، ويقول لي إنني لا أزال في اللعبة.
فقال: "لكن الوفاة لم تكن عرضية، بل جنائية. وكانت هاتان الجريمتان
هما أكثر جرائم القتل التي رأيتها منفذة ببراعة ودقة ودم بارد".

الفصل 47

أضافت: "يمكنني القول إنني لو كنت تسلمت هاتين الجثتين بطريقة روتينية دون التحدث معكم أولاً عنهما، لكان من المرجح أن أنتهي إلى النتيجة ذاتها التي توصل إليها الطبيبان الشرعيان - وهي أن الوفاة عرضية".

وفتحت الملف الأول، ومررت علينا نسخاً من صور وبيانات واستطردت: "لدينا هنا كورتين فالنتين الذي كان يقطن في مدينة شامبين بولاية إلينوي ويبلغ من العمر تسعة وثلاثين عاماً، وجويل سوانسون المقيمة بمدينة ليسل بالولاية ذاتها وتبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً"، واصلت الطبيبة أولمبيا يانوس حديثها بصوت جاف وفظ كما لو أنها تقرأ شيئاً قد قرأته ألف مرة من قبل: "في كل جثة، هناك رواسب سخام واضحة على الغشاء المخاطي للقصبة الهوائية والسطح العلوي للسان، كما أن لون الأنسجة الرخوية والدم في الأعضاء كان قرمزيًا، وهو عادة ما يكون واضحًا عندما تزيد مستويات الهيموجلوبين الكربونية على ٣٠٪، ومن ثم فهي تشير إلى استنشاق مستويات سامة من أول أكسيد الكربون والسيانيد.

وكما تعرفون فإن كل هذه الأدلة تشير إلى أن الضحيتين كانتا على قيد الحياة في أثناء الحريق، وأنهما استنشقتا الدخان والمواد الكيميائية السامة الأخرى - وهو بالضبط ما وصل إليه الطبيبان الشرعيان في مقاطعتي شامبين ودوبدج".

أومأنا جميعاً بالموافقة.

صمتت محدقة في كل منا لفترة كان من شأنها أن تثير القلق بطول مدتها، مع أنه من الصعب للغاية أن يسري في نفوسنا القلق بعد الأسبوع الذي قضيناه. وبدا الأمر كما لو أنها كانت تقيمنا.

وأخيراً استطردت: "لكنكم طالبتموني بتدقيق الفحص، لذا فعلت أشياء لا يجريها الأطباء الشرعيون عادة. فعلى سبيل المثال، فحصت فحصاً دقيقاً السخام المترسب في فميهما وحلقيهما ورئتيهما. وحللت الغازات السامة التي كانت بالطبع أول أكسيد الكربون وسيانيد الهيدروجين. وعادة ما يكون هذان الغازان هما المسببان الرئيسيين للوفاة، ومن الصعب تمييز أي ضرر ناتج عن غازات أخرى، فهذا هو الافتراض المنطقي. لكن عندما دقت الفحص أكثر، حزروا ماذا وجدت؟"

"ماذا؟"، سألتها كما لو أنني طالبة متلهفة أريد معرفة التفاصيل الدامية لتبرير فرضيتي الأصلية - لكنني لا أريد معرفتها في الوقت ذاته لإدراكي أن أختي كانت إحدى هؤلاء الضحايا. فلا أعرف أية مشاعر تسببت لي في هذا الطنين الذي أصاب رأسي، والارتجاف الذي أصاب أطرافي.

"لم تكن نسبة البقايا الكيميائية المترسبة في الرئة والحلق هي النسبة المتوقعة في جسم شخص كان يستلقي في سرير، محاطاً بالأقمشة والبولي يوريثين الذي يدخل في صناعة حاشية السرير والسجاد والكتب. فما وجدته كانت نسبة عالية على غير العادة من ثاني أكسيد الكبريت، وهي نسبة أكبر من المتوقع في حريق منزلي عادي". وضحكت كما لو أنها تعتذر وأضافت: "كأنه... حسناً".

فسألتها: "كأنه ماذا؟".

فهزت رأسها وقالت: "كما لو أنهما استنشقتا دخاناً منبعثاً من إطار مطاطي محروق".

فكررت ما قالتها: "إطار محروق؟".

فابتسمت لي ابتسامة متجهمة وقالت: "صحيح، ولم أر أي شيء في التقارير أو المعلومات الأساسية تشير إلى وجود مطاط محترق في مسرح الجريمة".

فقال ديني ساسر: "كلا، بالطبع لا".

فقال أولمبيا: "وهذا ليس كل شيء، فلا يوجد دليل على استنشاقهما لشيء مشتعل داخل القصبه الهوائية والرئتين. فالدخان الذي استنشاقه لم يكن ساخناً"، ونقرت على المنضدة بظفرها المشذب وأضافت: "لو كانا قد استنشقا دخاناً من الحريق، لكان قد أحرق القصبه الهوائية والرئتين". فسألها بوكس: "إذن... ما قولك؟".

فهزت الطبيبة أولمبيا كتفيها وقالت: "بصفة غير رسمية، سأقول إن ثمة شخصاً صنع هذا النوع من الدخان وأجبرهما على استنشاقه، ليبدو الأمر كأنهما كانا على قيد الحياة في أثناء الحريق، وذلك حتى ينتهي الطبيب الشرعي إلى أن استنشاق الدخان تسبب في وفاتهما. لكن هاتين الضحيتين لم تستشقا الدخان من حريق منزليهما، بل جاء الدخان من مصدر مختلف. وبينما كان منزلهما يحترق، كانتا قد ماتتا بالفعل".

بدا الأمر كما لو أن الغرفة بأكملها لم يكن بها إلا نسمات بسيطة من الهواء. فمكونات الدخان والافتقار إلى الحرارة يقضيان على أي احتمال بأن كورتس فالنتين وجويل سوانسون تنفسا دخان الحريق. وهذا، وحده، يدحض نتائج الطب الشرعي في شامبين ودوبدج.

لاحظت لأول مرة نقر أصابعي على سطح الطاولة، لم يكن نقرًا ينم عن توتر، بل تشنجات وارتجاف. فحذرت نفسي قائلة اصمدي، عليك أن تسمعي هذا. لا تفكري فيها، الأمر لا يتعلق بمارتا، بل بملاحقة القاتل. قال بوكس: "أفترض أن هذا ليس كل ما عليك أن تخبرينا به".

ضحكت أولمبيا ضحكة خافتة وقالت: "كلا، هذا ليس كل شيء، لو كان هذا كل شيء، لما عانيت الليلة الماضية من كوابيس تتعلق بعلمي لأول مرة منذ عشرين عامًا".

الفصل 48

كنا نستمع بترقب إلى الجزء الثاني من النتائج التي توصلت إليها الطبيبة أولمبيا يانوس. لكن من المؤكد أننا أحرزنا بالفعل نصرًا كبيرًا؛ إذ إن الاستنتاجات التي توصل إليها الأطباء الشرعيون المحليون باتت حبرًا على ورق.

إذن لماذا لا أشعر بالفرحة؟ ربما لأن الطبيبة أولمبيا كانت على وشك أن تسرد لنا بعض التفاصيل الدقيقة للغاية حول كيفية وفاة كورتس فالنتين وجويل سوانسون، وبالتالي سأعرف أيضًا الطريقة التي قتلت بها أختي.

كان ينتاب كل عضو من الأعضاء الأربعة لفريقنا المشاعر ذاتها نحو ما تقوله الطبيبة، لكن كل واحد كان يعبر عن ذلك بطريقة الخاصة؛ فهناك من كان يخفض نظره، ومن يضم كتفيه، ومن ينقر بقدميه على الأرض؛ وذلك دون أن تربطهم مثلي علاقة شخصية بالأمر. كنا نعرف بالفعل مدى عبقرية المجرم، لكننا سنتعمق الآن في تفاصيل أفعاله الدنيئة.

مررت علينا أولمبيا صورًا فوتوغرافية لامعة كانت، كما قالت لنا، صورًا قريبة للجزء العلوي لفخذ كورتس فالنتين والمناطق المحيطة مباشرة بمرفقي وركبتي جويل سوانسون.

وقالت: "انظروا هنا إلى تلك التمزقات الموجودة في الأنسجة، حدوث التمزق في حد ذاته أمر طبيعي في وفاة كهذه. فحرارة الحريق ستؤدي إلى

حدوث تشققات في الجلد، إذ إن أسنة اللهب ستحرق الطبقات الخارجية له وتجعله يتقشر. وبعد ذلك ستبدأ الطبقة الجلدية الأكثر سُمكاً في الجفاف والتقلص والتشقق. ولكن اتجاه هذه التشققات مواز لاتجاه الألياف العضلية، هل ترون ذلك؟".

أظن أنني أراه، فمن الصعب على شخص مثلي أن يحلل تلك الصور، ولكن يبدو أن الجلد شق عمودياً في الاتجاه ذاته للعضلات، مثلما تنزع القشرة الخارجية للذرة.

فاستطردت أولمبيا: "هذا هو مفتاح اللغز، في حال كانت التشققات الجلدية ناتجة عن حرارة الحريق فإنها ستكون موازية لاتجاه الألياف العضلية. ولكن عندما تكون تلك التشققات ناتجة عن قطع - أي جرح قطعي بسكين أو ما شابه - فعادة ما تكون أفقية في الاتجاه المعاكس للألياف العضلية. وهذه هي الطريقة الأساسية التي سيكشف بها تشريح الجثة أن هناك شبهة جنائية، وذلك بمقارنة اتجاه القطع باتجاه الألياف العضلية، هل تستوعبون ذلك؟".

فقال بوكس: "أجل، إذن فإن هذه التشققات الجلدية موازية لاتجاه العضلات، ومن ثم تبدو كأنها نتجت بشكل طبيعي عن حرارة الحريق". "صحيح، لكن عند الفحص الدقيق، ستجد أن هذا القطع دقيق للغاية. وأعني بالدقة البراعة في إحداثه، إذ ستجد كل قطع مساوياً للآخر ومماثلاً له. فدقته تجعلنا نستبعد احتمالية أن يكون طبيعياً".

وأضافت: "وقد كان المجرم ماهراً في اختياره للأماكن التي أحدث بها تلك الجروح؛ حيث نجدها في المناطق التي قضت عليها النيران تقريباً بالكامل ولم تترك سوى طبقة دهنية من اللحم فوق عظم متفحم، أو في المناطق المليئة بالتشققات الطبيعية في الجلد. من فعل هذا يملك معرفة طبية قوية ويداً ثابتة. لقد شرح القاتل هذه المناطق، حيث يعلم أننا لن نكتشف فعلته".

لاحظت ارتجاف يدي مرة أخرى فشَبَّكت أصابعي معاً لتهدئتهما. وبدأ الطنين البطيء الواصل بين أذني والهمهمة الخفيفة التي أسمعها يرتفعان كالشحنة في بطارية عالية الجهد. فقالت الطبيبة أولمبيا: "أنا متأكدة من أنكم سمعتم بالوضعية التي تتخذها الأجسام عندما تحترق، أليس كذلك؟"، فعاد عقلي إلى مارتا التي احترق جسدها، متخذاً هذه الوضعية التي تشبه وضعية

الملاكم عند الدفاع، حيث تنتهي الركبتان والذراعان، فأغلقت عينيَّ وأخذت أنفاسًا عميقة.

أضافت الطبيبة: "في حالات الوفاة المرتبطة بالحرائق، يؤدي هذا الانكماش الناجم عن الحرارة إلى تكشف المفاصل الطرفية مثل الرسغين والمرفقين والركبتين، وغالبًا ما يتفحم السطح المفصلي للعظام. والحالة المزرية التي وصلت إليها العظام هنا طبيعية. لكن انظروا هنا"، ثم أشارت إلى مفصل مرفق جويل سوانسون وأضافت: "لقد وجدت أن هناك جزءًا من العظم مفقود، في حين أن عمق التفحم متناسق مع المنطقة المحيطة، كما لو أن بعضًا من العظام أزيل قبل الحريق. الأنسجة المحيطة في تلك المنطقة محترقة للغاية، لكنها تشير إلى تشققات جلدية يصل عمقها إلى العظام".

قال بوكس: "الترجمة من فضلك".

"عذرًا، ما أقصده هو أن القاتل مزق جلديهما وأزاح أنسجتهما العضلية جانبًا أو مزقها بقطوع رأسية منهجية، وأزال جزءًا من العظام قبل وفاتهما. في الواقع، لقد مزق مرفقيهما ورسغيهما وركبتيهما حيث شق الجلد وأزال العظام. تخيل أن شخصًا يجري لك عملية جراحية في ركبتك دون تخدير، بينما تكون مستيقظًا، وستصبح لديك فكرة عما مر به هؤلاء الأشخاص. لكنه لم يكتف بإحدى الركبتين أو أحد الرسغين أو المرفقين بل فعل ذلك بكليهما - لذلك اضربوا التجربة في ستة".

فهمس ديني ساسر: "يا إلهي".

"وكان يعلم أنه من شبه المستحيل اكتشاف ذلك، لأن هذه المناطق من الجسم هي بعض من الأجزاء الأكثر تعرضًا للنيران".

على نحو ما، انفصلت يداي مجددًا، واستأنفتا تشنجاتهما المرتجفة، وبدأت ألحظ أن الإضاءة في الغرفة قد تحولت إلى لون أبيض قوي يعمي الأبصار، وتطور الطنين في رأسي إلى دوار، وتحولت رائحة الهواء إلى رائحة كريهة وعفنة...

فسمعت الطبيبة أولمبيا تقول لي على ما يبدو: "هل أنت بخير؟".

كان وجهي ساخنًا ومعدتي مهتاجة...

بوكس: "إيمي".

أولمبيا: "لقد نسيت أنه تربطك بالأمر علاقة شخصية..."

فسمعت نفسي أقول: "كلا، استم... استمري... هناك المزيد... أليس

كذلك؟"

فقال أولمبيا: "هناك المزيد في الواقع، وهنا يكمن الاختلاف بين حالتي

الوفاة، فالقادم أسوأ، سواء صدقتم أم لا".

الفصل 49

سألها ديني ساسر: "إذن فهو لم يفعل الشيء ذاته مع الضحيتين؟".
 أجابت أولمبيا يانوس: "حسناً، ليس تماماً، فكل منهما استنشقت ذلك
 الدخان الذي صنعه، أيًا كانت الطريقة التي فعل بها ذلك، وتعرض إلى عملية
 التمزيق المؤلم للجلد وإزالة العظام من مفاصل الأطراف، لكن أجل، في هذه
 المرحلة، اختلفت نتائج الفحص للجثتين. لنبدأ بكورتس فالنتين".
 وأخرجت من ملفها مجموعتين من الصور واستطردت: "لقد وجدت أدلة
 على وجود إصابات في العظام الصدغية للجمجمة. ها نحن نرى أن هناك
 كسرين في الجمجمة هنا وهنا"، وأشارت إلى جانبي الجمجمة خلف الصدغ،
 ثم أضافت: "أمكننا أن نعتبر ذلك شيئاً غريباً؟ على الإطلاق، الأمر طبيعي
 كون الجسد احترق في النيران. فالكسور الناجمة عن التعرض للحرارة المحرقة
 عادة ما تحدث في العظام الصدغية خلف الصدغ أو أسفله. وهي عادة ما تكون
 متعرجة ومتفرعة من نقطة مركزية، وقد تتجاوز تجاوبف الجمجمة. وفي
 جميع النواحي، يبدو هذان الكسران كأنهما ناتجان عن التعرض للحرارة بعد
 الوفاة - فكل منهما متعرج ومتفرع من نقطة مركزية".
 وأضافت متتبعه خط الكسرين بممحاة قلمها الرصاص: "ولكن انظروا إلى
 النقطتين المركزيتين لكل من هذين الكسرين، فهما متطابقان في القطر. فما
 احتمالات تماثل قطر كسرين ناجمين عن تعرض الشخص للحرارة؟ إنه قطر
 مماثل لذلك الذي يحدثه معول الثلج".

فقال بوكس: "إنك تظنين أنه ثقب جمجمة كورتس فالنتين مرتين بمعول ثلج في أماكن سيرجع فيها الطبيب الشرعي الكسور إلى الحرارة الناتجة عن النيران".

"بالضبط، بل وفي مكان ستتوقع فيه العثور أيضًا على تشققات جلدية - وتماً كما فعل مع الركبتين والمرفقين والمعصمين، أبقى الشقوق هنا في الطبقة الجلدية للجمجمة موازية للأنسجة العضلية، لذا فإنها ستكون مماثلة للتشققات الناتجة عن التعرض للحرارة".

ساد الهدوء الغرفة للحظة، إذ كان الجميع يحاول متابعة ما تقوله طبيبتنا، واستيعاب هذه المعلومات دون التقيؤ.

قلت بصوت فاتر: "لقد سلخ المجرم فروة رأس كورتس فالنتين".

ردت: "بالضبط، لقد ثقب المجرم جمجمة السيد فالنتين في مكانين يستطيع منهما أن يمسك بالجلد الذي يغطيها ليمزقه بعد ذلك إلى رقع، مثلما تقشر البرتقالة. وترك السدائل الجلدية معلقة بالجمجمة لتتزع بعد الاحتراق، حتى بات من السهل الخلط بين ذلك وبين الضرر الطبيعي الناتج عن النيران".

"حسنًا"، قلتها لكي أطمئن نفسي حتى أحتفظ بتركيزي على التفاصيل التشريحية، ولا أفكر في أختي رغم أنني لست متأكدة ما إذا كنت أقول ذلك لنفسي أم لا، وأردفت: "وهل... عندما حدث هذا... هل كان كورتس... هل كان..."

فقلت أولمبيا: "كان على قيد الحياة في أثناء كل ذلك، فقد شهد تمزيق جلده في المرفقين والركبتين والمعصمين وقطع عظامه وسلخ فروة رأسه - هناك أدلة في تحليل الأنسجة تشير إلى وجود تورم في تلك المناطق؛ وهو ما يحدث فقط إذا كان الإنسان على قيد الحياة".

لا تفكري في ذلك، لا تفكري فيها، بل فكري في القضية، فكري في اللفز وحله. هذا الأمر ليس شخصيًا، ولا يتعلق بمارتا...

مارتا. أوه، عزيزتي مارتا المسكينة...

قال ديني ساسر: "إن ما تصفينه تعذيب".

فقلت أولمبيا: "إن التعذيب ليست كلمة قوية بما يكفي لوصف ذلك، هل أنت بخير يا إيمي؟"

فتحت عيني فرأيت يدي؛ لم أكن أدرك أنني كنت أغطي وجهي بها، فنظرت بنصف عين إلى ضوء الغرفة.
 "إيمي؟"

فلوحت بسبابتي في الهواء على أمل أن تفهم أنني أريدها أن تواصل حديثها، لأنني لست متأكدة مما إذا كان صوتي سيخرج بعد الآن.
 سألها بوكس: "ماذا عن جويل سوانسون؟ ألم يسلمخ فروة رأسها؟"
 فتهدت أولمبيا وقالت: "كلا، لقد طلبت أيضاً تحليلاً موسعاً لأنسجة عينات جلدها التي لا تزال تصلح للخضوع للاختبار. فقد تأكل جلدها وأنسجتها العضلية بالكامل تقريباً بفعل الحرارة المرتفعة للنيران، لكن هناك أجزاء قليلة من الأنسجة الأعمق في فخذها تشير إلى وجود حروق من الدرجة الثانية حدثت قبل وفاتها بوقت كافٍ، وأدت إلى حدوث ردة فعل للأنسجة الحيوية، بما في ذلك الاستسقاء والتورم والالتهاب والنزيف. هذه الحروق الأولية، في رأيي، تتسق مع الضرر الذي ينجم عن الحرق بسائل مغلي".

فسألها ديني ساسر: "حرق؟ بسائل مغلي؟"
 فتحنجت الطبيبة وقالت: "صحيح، فقد أحرقها مراراً وتكراراً، ولكن لإحداث حرق من الدرجة الثانية فحسب".
 "لماذا اكتفى بحرق من الدرجة الثانية؟"

فابتسمت ابتسامة حزينة وقالت: "لو كان حرقاً من الدرجة الثالثة، فإن جميع الخلايا العصبية ستموت، ولن يكون هناك أي شعور بالألم. وعلى الجانب الآخر، فإن إصابة المرء بحروق كثيرة من الدرجة الثانية تمثل له مصدرًا دائمًا للعذاب. هل سبق لكم أن ذهبتم إلى قسم الحروق بالمستشفيات؟ فهذا النوع من الألم يختبر سلامتك العقلية وإرادتك للبقاء على قيد الحياة". ثم هزت رأسها وأردفت: "كان يعرف بالضبط كيف يزيد من ألمها".

فتحنج بوكس وقال: "وبالتالي... كان يسكب الماء المغلي فوقها، ويقطع مفاصل أطرافها، ويملاً رثتها بدخان المطاط المحترق لخنقها ثم حرقها في النيران".

ليست مارتا... ليست مارتا... هذه الأشياء لم تحدث لها...

فقال أولمبيا: "هذا ما حدث، إنني لست متأكدة من أنكم تفهمون ما أقوله عن الخصائص الموحدة لهذه الإصابات. بادئ ذي بدء، كل إصابة من الإصابات التي أحدثها - كل إصابة على حدة - يمكن تفسيرها بأنها ناجمة عن حرارة حريق عرضي. هل يمكننا إدانته في المحكمة بناءً على ما أخبرتكم به اليوم؟ كلا، فهناك الكثير من الثغرات. إنني أو من إيماناً راسخاً بما أخبرتكم به، لكن يمكن لأحد محامي الدفاع الماهرين أن يقيم عليّ الحجة لأنني لم أستطع مطلقاً أن أدحض تماماً إمكانية الموت العرضي".

واستطردت: "ولكن الأهم من ذلك هو أن كلاً من تلك الأفعال... كلاً من تلك الإصابات اختيرت بنية إلحاق ألم مبرح بالضحايا دون التسبب في الموت. فقد قطع جسديهما بمهارة لا يملكها إلا جراح، ولم يلحق الضرر بأي شريان رئيسي، ولم يجعلهما ينزقان لأنه لم يرد لهما ذلك".

ثم نظرت إلى كل منا وقالت: "لا أعرف كيف اكتشفتم هذا الوحش، أو ربطتم هاتين الجريمتين ببعضهما. ولكن أيا كان ما فعلتموه، فإنني أثني على عملكم الرائع، لأن هاتين هما أقرب جريمتين رأيتهما في حياتي لوصف الجريمة الكاملة. ولا بد لي أن أقول إنهما أيضاً من بين الأشياء الأكثر بشاعة التي قابلتها. فقد اقترف المجرم أعمال تعذيب شنيعة وتمكن من إخفائها تماماً".

ضربت الطليبية أولمبيا الطاولة بيديها ونهضت.

وقالت: "أتمنى أن تقبضوا عليه قبل أن يفعل ذلك ثانية".

قال ديني: "اليوم هو، ماذا، الأربعاء الثاني عشر؟ إنه في منتصف الأسبوع الثاني من سلسلة جرائمه".

قال بوكس: "صحيح، وهو ما يعني أنه ربما يتربص بضحيته التالية بينما نتحدث".

الفصل 50

"جلسة جراهام"

التسجيل #١٢

١٢ سبتمبر، ٢٠١٢

مرحباً؟ أهلاً، كيف حالكم؟ إنني بخير، إنني بخير.

حسناً، إنني أستخدم خدعة الهاتف الخليوي مرة أخرى؛ لأنني في الكافيتريا أمارس الشيء المفضل عندي وهو مراقبة الناس. هل تحبون فعل ذلك؟ أعتقد أن الجميع يفضل هذا، أليس كذلك؟ أليس من الغريب أن يبدو الجميع تقريباً غرباء بالنسبة لك؟ لكن تخيل لو تبدلت الأدوار، هل ستبدو عادياً لهؤلاء الأشخاص؟

على أية حال، سأسافر في الغد مرة أخرى، لذا ليس لديّ عمل الليلة، لكنني سأريكم مثلاً للطريقة التي أفعل بها ما أفعله، وهو جذب الناس وكسب ثقتهم، لأنني...

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صوت امرأة) "هل أنت كاتب؟".

معذرة، أيمكنك الانتظار لحظة؟ هناك أحد يتحدث إليّ، انتظر لحظة.
عذراً، ماذا قلت؟

(المرأة): "قلت، هل أنت كاتب؟".

هل أنا كاتب؟ لماذا تسأليني هذا السؤال؟

(المرأة): "لأنك تبدو كأنك تراقب الأشخاص وتدوّن الملاحظات، رغم

أنك تتظاهر بالحديث في الهاتف".

أنا لا أظاهر بالحديث في الهاتف، بل لديّ مكالمة هاتفية بالفعل.

(المرأة): "حسنًا، عذرًا على إزعاجك".

أيمكنني معاودة الاتصال بك؟ حسنًا... حسنًا، شكرًا... وداعًا.

(المرأة): "عذرًا، كانت تلك وقاحة مني".

ألا تعتقدين أنني أتحدث في الهاتف؟

(المرأة): "إن الهاتف يبدو غريبًا، لكن تلك الأيام، لا أستطيع أن أحدد

حقًا... كل ما هناك... لا بأس، عليّ أن أهتم بشئوني".

كلا، لا بأس، لا بأس. اسمي جراهام بالمناسبة.

(المرأة): "وأنا ماري".

ماري، ماري، لكنها تبدو امرأة لعوبًا.

(المرأة): "ربما. ما معنى "جراهام"، أهو اسم إنجليزي؟".

أجل، ماذا تحتسين يا ماري؟

(المرأة): "صودا. إذن... هل أنت كاتب؟".

كلا، لست كذلك. هل تريدين تخمين شيء آخر؟

(المرأة): "هل أنت شرطي؟".

كلا، لماذا، هل يبدو أنني شرطي؟

(المرأة): "ليس تمامًا، لكن الطريقة التي تراقب بها الأشخاص... كنت

أعتقد أنك متخفّ، وكأنك تتبع شخصًا ما".

ربما أتتبعك أنت يا ماري. هل ارتكبت شيئًا خاطئًا ينبغي أن أعرفه؟

(المرأة ضاحكة): "هذا سؤال مثير للاهتمام".

أوه، حسنًا، لقد أثرت حماستي، أخبريني.

(المرأة): "كنت أمزح".

ماذا لديك لتخسريه يا ماري؟ إنك لا تعرفيني، فأنا مجرد رجل يجلس في

كافيتريا. وقد أكون كذلك رجل دين يرشدك إلى الطريق الصحيح، احكي لي

عن خطاياك.

(المرأة): "لا يمكن أن أكون شاهدة على نفسي كما يقول الدستور، إذا كنت لا تمانع في ذلك".

أوه، إنك لا تحبين المرح. هل سيساعدك إذا اعترفت أنا أولاً بخطاياي؟
(المرأة): "بالتأكيد".

إنني سفاح وأسجل أفكار في هاتفي المزيف من أجل الأجيال القادمة، حتى يمكنهم تدريس حالاتي ذات يوم في المباحث الفيدرالية.

(المرأة): "كم عدد الأشخاص الذين قتلتهم؟"
مئات يا ماري.

(المرأة): "إممم... هذا الدور لا يناسبك، فأنت لا تبدو مؤذياً".

لذلك أنا ماهر فيما أفعله، إنني أجدب الأشخاص مثلك على سبيل المثال.
(المرأة): "إذن؛ أتلاعب بي؟ أتحاول كسب ثقتي؟"
بالضبط.

(المرأة): "وهل خطر ببالك أنني سفاحة تتلاعب بك؟"

أظن أنه من الأفضل أن أتوخى الحذر. أخبريني يا ماري، ماذا تفعلين هنا؟
(المرأة مقهقهة): "ماذا تعتقد لفتاة جميلة مثلي أن تفعل في مكان كهذا؟"
هذا بالضبط ما أقصده، أجل.

(المرأة): "حسنًا... أتريد أن تعرف؟ كان لديّ موعد رتبته لي أحد أصدقائي، وقابلت هذا الشخص هنا لأنني أعمل في هذا المكان، لذا بدا لي مكانًا ملائمًا لمقابلته، واحتسينا مشروبًا ثم غادر".

ألم يسر اللقاء جيدًا؟

(المرأة): "أوه، بل كان على ما يرام. فقد كان رجلًا لطيفًا".

إنك تقولين ذلك كما لو أنك تشعرين بالإحباط يا ماري.

(المرأة): "ربما قليلًا، لكن من المفترض أن يكون ذلك ما أبحث عنه، أليس كذلك؟ من المفترض أن أرغب في الارتباط برجل لطيف. هذا ما يقوله لي الجميع على أية حال".

لكنك لا تبحثين عن ذلك؟

(المرأة): "حسنًا، أريده أن يكون لطيفًا، لكن الشيء الرئيسي بالنسبة لي هو أن يكون... حسنًا، ستكون الكلمة المناسبة إلى حد ما هي مثير للاهتمام، أقصد ألا يكون عاديًا جدًا، بل ربما غامضًا بعض الشيء، مثيرًا بعض الشيء".

أتبحثين عن رجل عطوف؟

(المرأة): "لم أقل ذلك".

لكنك لا تبحثين عن رجل غير مؤذٍ مثلي.

(المرأة): "إنك غير مؤذٍ، لكنك لا تزال مثيراً للاهتمام".

حسناً، إذن، ما الشيء المثير للاهتمام فيّ؟

(المرأة): "دعنا... ننس الأمر".

إن الفضول يقتلني، لماذا ترينني مثيراً للاهتمام؟ هذا لا يعني أنني

أستميلك، فأنا لا أفعل. دعينا نتفق على أنه لن تكون هناك استمالة، لكني

أعترف أنني أود سماع هذا.

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صمت لمدة سبع وعشرين ثانية).

إذن ستركبني متحيراً هكذا؟ ستفادين دون...

(المرأة): "أنا... يجب أن أستيقظ مبكراً في الغد. لكن كان من الرائع

للاغاية الحديث معك يا جراهام. حظاً موفقاً في كتاباتك... أو استكمال سلسلة

قتلاك".

ماري، ماري، لكنك تبدين حقاً امرأة لعوباً.

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صمت لمدة إحدى عشرة ثانية).

(المرأة): "حسناً، أتريد حقاً معرفة ما أجده مثيراً للاهتمام فيك؟"

كلي شوق لمعرفة ذلك.

(المرأة): "لن يعجبك".

سأتمالك نفسي.

(المرأة): "حسناً... أظن أن ثمة شيئاً في عينيك، وكأنك تصبو إلى شيء

لا تملكه. إنك تبدو... تبدو غير متزن. أتمنى أن أكون مخطئة، لكن عليّ حقاً أن

أنصرف. سعدت بلقائك يا جراهام".

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: "صمت لمدة واحد وأربعين ثانية).

ماري، ماري، ماري، ماري.

أوه.

(النهاية)

الفصل 51

هذا شيء جيد... هذا شيء جيد.

ظل بوكس يقول تلك الكلمات في أذني بطريقة ناعمة أقرب ما تكون إلى الطريقة التي تهدئ بها طفلاً، بينما كنت أترنح في أثناء خروجي من مكتب الطب الشرعي لمقاطعة كوك دون أن أنطق ببنت شفة، وبوكس يمسك بأعلى ذراعي ليقيني واقفة ويحول دون سقوطي. وعندما وصلنا إلى سيارتنا، هرعت أمام السيارة وتقيأت في الشجيرات - كان التقيؤ شديداً؛ إذ كنت أقبض على ركبتي بيدي لاهثة، وكلما كنت أستقيم واقفة، كنت أجبر على الانحناء مرة أخرى لأستأنف التقيؤ.

أعطاني بوكس بعض المناديل الورقية عندما انتهيت من التقيؤ، ونظفت نفسي قبل أن يساعدي على الجلوس في المقعد الخلفي للسيارة. "أنا... آسفة"، كانت تلك هي الكلمة الوحيدة التي تمكنت من النطق بها في أثناء عودتنا إلى الفندق، بينما كان بوكس وديني وصوفي يطمئنونني بأنه لا مشكلة فيما حدث. لكنني كنت أعرف أن الأمر ليس كذلك. لقد تغير كل شيء؛ فقد تغيرت أنا شخصياً؛ لأنني رأيت عن قرب ما يفعله، ورأيت ما فعله بمارتا.

تبعني بوكس إلى غرفتي ودخل معي دون أن ينطق بكلمة ليضعني بعدها في الفراش، ويجلس بجواري وهو يضع قدماً على الأرض وأخرى على السرير

مستنداً بيده إلى ذراعي قبل أن يسألني: "أتريدين شيئاً؟ هل تريدن بعض الماء؟".

لم أجه، بل كنت أهدق في ورق الجدران الرديء وتأوهت ثم همست بصوت فاتر: "فلتقلها".

"لن أقول شيئاً"، قالها وهو يذهب نحو الحوض ليملاً كويماً من الماء واضعاً ياه على المنضدة المجاورة لي، ثم أضاف: "على الأقل ليس قبل الغد".
لذلك لا يسمح لك بالعمل في القضايا الشخصية؛ لقد حذرني من ذلك، وكان على حق.

"عليك أن تبقي تحت الغطاء يا إيمي، إنك ترتجفين".
"لا أرتجف لأنني أشعر بالبرد".

"أعلم، أعلم"، وظل يمسح بيده على ذراعي بطريقة لا ترقى إلى العنان أو الحميمية. كم مرة دللني فيما مضى ولكن بوتيرة أبطأ وأكثر إثارة من ذلك.
قال مكرراً مرة أخرى: "هذا شيء جيد، فلتتذكري ذلك".

أغلقت عيني اعترافاً مني بالأمر، فما حدث مع أولمبيا يانوس لا يمثل خسارة لي، بل إنه يعني أن التحقيق الذي نود أن نجريه قد حصل على ختم الموافقة.

"ما قالته أولمبيا كان صحيحاً يا إيمي. فالعمل الذي أديته لتزيحي الستار عن تلك الجرائم أقل ما يوصف بأنه رائع. لقد فعلت كل ذلك بنفسك وحاربت ضد التيار، بل ضد المحيط بأكمله. فحتى أنا لم أكن أصدقك. لكنك كنت على حق طوال هذا الوقت. وعلى إثر ذلك بتنا قادرين الآن على المطالبة بتزويدنا بكامل الإمكانيات لنقبض على هذا الرجل. سنقبض عليه يا إيمي".

نهضت جالسة في الفراش بينما ينتابني شعور بالتشوش وعدم التوازن وقلت: "أين اللاب توب؟".

فرغ يده وقال: "ليس الليلة يا إيمي، إنك تحتاجين إلى الراحة".
"كلا..."

"أنصتي لي يا إيمي، إنك إنسانة، وقد ظللت لأسابيع، بل لعلها شهور، لا تحظين ليلاً إلا بساعات قليلة من النوم، ومررت اليوم بصدمة حقيقية، لذا أعط نفسك قسطاً من الراحة. فلتعمي بالنوم الليلة لمصلحة التحقيق، فتحن سنستقبل في الغد عدداً كبيراً من العملاء، إذا زدونا مكتب التحقيقات

الفيديرالي بكل ما نحتاج إليه من إمكانيات. فإذا كنت تريدين حقًا أن نقبض على هذا المجرم، فعليك أن تعتني بنفسك أولاً".

وكالعادة، كان بوكس يفهمني أفضل من نفسي. فهبطت برأسي ثانية على الوسادة محدقة إلى السقف.

وأظلم بوكس الغرفة وقال لي: "سأنام هنا على هذا المقعد وسأظل هنا طوال الليل".
"شكرًا".

لم يُجب عليّ في الحال. وشعرت بروحي تهيم وعيني تسبحان أسفل جفني الثقيلين. كنت أعرف أن نومي الليلة سيكون متقطعًا وكنت أعلم ما سأحلم به. "سنقبض عليه يا إيمي، تذكري ذلك فحسب".

وها هي مارتا تعود ثانية بتلك الصور التي ناضلت لمحوها من ذهني منذ أن أمدتنا أولمبيا بتلك التفاصيل، تلك الصور التي لن أقدر على تجنبها عندما أستسلم إلى النوم. ها هو السكين المغروز في رضفة ركبتها، ومعول الثلج المثبت في جمجمتها، والماء المغلي الذي يصب عليها...
فتمتت: "لا أريد... لا أريد أن أقبض عليه، بل أن أقتله".

الفصل 52

كانت هناك تسعة عشر زوجًا من الأعين - اثنا عشر عميلاً وسبعة محلي أبحاث - تتابعني بينما كنت أكمل العرض التقديمي الذي يشمل خريطة ذات النجوم الزرقاء والحمراء، وأوجز النمط الذي يتبعه القاتل في ارتكاب جرائمه - جريمتي قتل أسبوعياً وكل أسبوع بدءاً من ذكرى يوم العمال وحتى بداية العام تقريباً، ثم يتباطأ نشاطه الإجرامي خلال شهور الربيع والصيف. وفي النهاية سألتهم: "هل هناك أية أسئلة أو تعليقات؟".

ثم جيت بنظري أنحاء الغرفة. لم أكن أعرف إلا القليل من هؤلاء العملاء الذي كان البعض منهم يأتي من مكتب هوفر، والبعض الآخر من مكتب شيكاغو. فحتى بوكس لم يكن يعرفهم جميعاً، رغم أنه ظل في الخدمة لأكثر من عقد. كان بوكس بصفته رئيساً للتحقيق قد قسّم العملاء إلى فرق، ووضع قائداً لكل فريق مهمته إفادة بوكس بالمستجدات كل ليلة. فهناك فريق للحوادث الجديدة والاستجابة السريعة، ومهمته تولى أمر الحرائق الجديدة التي نكتشفها، بناء على فرضية أنه كلما انتشرنا أسرع في مسرح الجريمة، سيكون التحقيق أكثر فعالية (بما في ذلك الفرضية الخيالية بأننا قد ننتشر بسرعة قصوى تمكننا من القبض على المجرم قبل أن يترك المدينة). وسيتولى فريق آخر الحرائق القديمة ليتفحص جرائم القتل التي ارتكبت بالفعل، ويجري مقابلات شخصية في محاولة للبحث عن المشتبه بهم.

وسيكون هناك أيضاً فريقان مخصصان لتولي أمر الحرائق الأخيرة التي نشبت، حيث لا تزال الجثث دافئة، إذا جاز التعبير، ولم يمر على الأدلة وقت طويل. فريق نبراسكا/ كولورادو سيتولى الجريمة المزدوجة التي راح ضحيتها الأسبوع الماضي لوثر فيجلي وتامي دوفي في مدينة جراند آيلاند بولاية نبراسكا، وجريمة قتل تشارلز دالي التي وقعت قبل يومين في مدينة ليكوود بولاية كولورادو.

وفريق ولاية إلينوي سيحقق في جريمة قتل كورتس فالنتين في مدينة شامبين وجويل سوانسون في مدينة ليسل. وسيشمل هذا الفريق بوكس وديني يوصفي وأنا - إلى جانب أشخاص آخرين.

رفعت إحدى الأيدي في الجزء الخلفي من الحجرة، وكانت لرجل ذي شعر أصفر بلون الرمال يرتدي حلة رمادية قاتمة. وبينما كنت ألتفت بنظري إليه، قطبت جبيني نتيجة الألم الذي شعرت به. فإما أنه كانت هناك أقزام صغيرة تدق بمطرقة خلف عيني أو كان ينتابني أسوأ ألم رأس شعرت به في حياتي. فقد كنت أعاني دواراً بعد ليلة من النوم المتقطع والكوابيس المفزعة والغثيان الدائم.

"إذن، نحن نفترض أنه يعيش في منطقة الغرب الأوسط وأنه يسافر في فصل الخريف".

"هذا صحيح".

"ما نوع الوظيفة التي تسمح له بالبقاء في المنزل في فصلي الربيع والصيف، لكنها تتطلب منه السفر إلى مكان مختلف كل أسبوع في أثناء الخريف؟".

فهزرت كتفي وقلت: "لست مقتنعة بأنه يسافر بسبب العمل، فلا أعتقد ذلك".

فأجابني العميل متحدياً إياي: "ولمَ لا؟ هذا هو الافتراض الأكثر منطقية. فقد يكون سائق شاحنة أو مندوب مبيعات متنقلاً أو شيئاً من هذا القبيل. فلا بد أن لديه سبباً مقنعاً للسفر عبر البلاد. لمَ لا تكون هذه الفرضية هي الأكثر منطقية؟ هذا ما كنت سأفعله لو أنني مكانه حتى إن استجوبتني الشرطة نستطيع إثبات أن لدي سبباً وجيهاً لوجودي في تلك الأماكن".

فقلت: "لن يفعل ذلك".

فزم العميل شفتيه، كما لو أنه يخفي ابتسامته ونظر حوله قائلاً: "أوه، حقاً، لن يفعل ذلك، ولماذا تعتقد ذلك تحديداً؟". إنه تبجح العملاء الخاصين التقليديين - انظر إلى محللة الأبحاث الصغيرة هذه وهي تحاول أن تؤدي دور العميل الخاص. استمري يا سيدتي الصغيرة وانقلي لنا كل حكمتك!

فأجبتة: "فكر في مدى دقة هذا المجرم، واطلع على الأدلة الطبية التي قدمتها أولمبيا، والتفاصيل الجراحية التي نفذ بها تعذيبه حتى لا يشك أحد في أنها جريمة قتل. هذا ليس رجلاً يريد أن يقيد نفسه بأوراق ثبوتية حيث تستطيع أن تتبع تحركاته أسبوعاً بأسبوع بمجرد الاطلاع على طلبات العمل أو تقارير توزيع المهام".

وهزرت رأسي وبدأت أسير ببطء بينما أوصل حديثي: "نحن نعلم من بيانات العام الماضي - نتيجة فحص الأنماط التي ارتكبت بها جرائم القتل بدءاً من يوم العمال عام ٢٠١١ حتى نهاية العام - أنه يسافر كل أسبوع إلى منطقة يقتل فيها شخصين، ثم يعود إلى نقطته الأصلية في مكان ما في الغرب الأوسط قبل أن يسافر مرة أخرى في الأسبوع التالي. ومن الواضح أنه يسافر بالسيارة، وهذا منطقي لأنه لن يرغب في أن يترك وراءه أثراً بشراء تذكرة طيران مثلاً. يمكنه أن يستقل القطار، لكنه سيكون أبطأ وأقل دقة وسيترك أيضاً وراءه أثراً. وأنا أراهن أنه يقود سيارته الخاصة وليس سيارة مستأجرة - ليتجنب مرة ثانية تقفي أثره. وسأذهب لحد الظن أنه عندما يسافر يدفع نقداً ثمن السلعة أو الخدمة التي يحصل عليها - سواء أكان البنزين أو الطعام أو حتى الفندق. فالرجل الذي يصل إلى حد تعذيب الأشخاص دون أن يجعله يبدو تعذيباً - بأن يملأ رئاتهم بدخان المطاط المحترق على سبيل المثال، أو يسبب لهم ألماً مبرحاً بطريقة تجعل الإصابات تبدو كأنها ناجمة عن حريق - لن يقع في فخ تقييد نفسه بوظيفة، كلا"، ثم تهتدت وأضفت: "حتى إذا وجدنا هذا المجرم فأنا أراهن أننا لن نقدر على إثبات وجوده في أي من تلك المدن في الوقت المعني أو أنه حتى غادر المنزل على الإطلاق".

توقف العميل عن التظاهر بالابتسام، لكنه لم يكن أيضاً مستعداً للاستسلام فقال: "أتقصد أننا لا ينبغي حتى متابعة وجهة النظر هذه؟".

"كلا، تابعها، لكني أقول لك فحسب ما أفكر فيه".

فانضم بوكس إلى الحديث: "لكن دعنا نبدأ بفرضية إيمي، وهي أن المجرم يتوخى أقصى درجات الحذر كي يتجنب تقفي أثره عن طريق الأوراق الثبوتية، فهو لا يستخدم بطاقات ائتمانية أو سيارات مستأجرة وما إلى ذلك"، ثم نظر بوكس في أرجاء الغرفة وأضاف: "وهذا لا يعني أنه لم يترك أثراً وراءه، صحيح؟ فيما يتعلق بالجرائم التي وقعت في الخريف الماضي أسبوعياً حيث المناطق التي زارها وارتكب بها جريمتين، افحصوا كل الفنادق المحيطة التي أقام بها أشخاص سدّدوا تكلفة إقامتهم نقدًا خلال تلك الفترة، إذ لا بد أنهم أظهروا بطاقة تحقيق الهوية لإدارة الفندق، أليس كذلك؟ وافحصوا كذلك تذاكر وقوف السيارات التي دخلت الولاية خلال تلك الفترة القصيرة، والتي تحمل لوحات تابعة لولايات أخرى، ولا بد أنه يضطر إلى حمل كمية كبيرة من المبالغ النقدية، لذلك فإنه قبل أن يترك المدينة كل أسبوع، ربما يسحب مبلغًا كبيرًا من البنك أو ماكينّة الصراف الآلي، فدعونا نفحص هذا الأمر في كل أسبوع من أسابيع فصل الخريف الماضي، وبالتحديد السحب نصف الأسبوعي للكُميات التي تفوق على الأرجح ألف دولار".

شعرت بموجة من الزخم، فكل ما يحدث كان جيدًا، إذ بات هناك كثير من الأشخاص الأذكياء والموهوبين الذين يفكرون معًا، ومن ثم من المؤكد أننا نستطيع أن نصل إلى شيء.

لم نعد أخيرًا نقضي وقتنا في النظر إلى الوراء، محاولين إثبات أن هناك جريمة قد ارتكبت، بل نمضي قدمًا في محاولة فك غموضها.

استطرد بوكس: "نأمل أن يكون لدينا قريبًا تحليل واضح للأمر، وحتى ذلك الحين... في كل ليلة، سنجتمع أيها القادة عن طريق الفيديو في الساعة السادسة بالتوقيت المركزي". ثم صفق بيديه وقال: "هيا لنقبض على ذلك الوغد".

الفصل 53

قبل الرابعة بثلاث دقائق كانت ثلاثة أرباع الكافتيريا ممتلئة؛ حيث توجد منضدة في أحد الأركان وهي تشبه القوس المنحني، ثم منطقة مفتوحة تضم في المنتصف بعض طاوولات الكوكيتل وطاوولات عشاء على الجانب الآخر منها. كان الزحام مزيجًا من الشباب بلغ الكثير منهم لتوه الواحد والعشرين عامًا، وهو ما يسمح لهم قانونًا بتناول ما يحلو لهم، وهناك آخرون أكبر منهم قليلًا، ربما في سن ما بعد التخرج في الجامعة. وكان المضيفون يشقون طريقهم وسط الزحام، حاملين أطباق التقديم الموضوع عليها كؤوس الشراب. ربما كانت هناك موسيقى صاخبة ومبهجة، لكننا لم نكن نسمعها، بل كنا نشاهد مجرد نسخة من مقطع فيديو مشوش بالأبيض والأسود لكاميرا المراقبة المعلقة في الزاوية، تعرضه صوفي على اللاب توب الخاص بها من خلال أسطوانة مدمجة. كنا نحن الأربعة - بوكس وديني وصوفي وأنا - ملتفين حول شاشة الحاسوب. وأشار ديني ساسر بقلمه على الشاشة إلى رجل يسير بين الزحام نحو طاوولات العشاء. كانت الكاميرا الثابتة المعلقة في أعلى الجزء الخلفي من الكافتيريا تظهر الرجل وهو يسير في المنتصف نحو أسفل يمين الشاشة. كان الرجل قصيرًا وممتلئًا ويرتدي قميصًا وسروال جينز أسود، ويربط شعره من الخلف كعجائز الهيبز.

فقال ديني: "هذا هو كورتس فالنتين".

فخفق قلبي؛ فثمة شيء مثير كنت أشعر به بينما أشاهد هذا الرجل وهو يتحرك بهذه الأريحية والعفوية قابضاً على كأسه ومتجهاً نحو إحدى الطاوات، غير مدرك أن حياته لم يبقَ بها إلا ساعات من العذاب والألم.

كانت تلك اللقطات مأخوذة من مقهى بيني في مدينة أوربانا بولاية إلينوي في يوم التاسع والعشرين من أغسطس، وهو اليوم الذي قتل فيه كورتس فالنتين. استمر فالنتين في السير نحو أسفل يمين الشاشة حتى اختفى بعيداً عن نطاق الكاميرا. كان متوجهاً نحو منضدة في الزاوية وهو ما يعد منطقياً لشخص أتى لمقابلة أحد الأشخاص. لسوء الحظ، لم تكن كاميرا المراقبة تركز على تلك الزاوية؛ بل على الجزء الأمامي من الكافتيريا والذي يضم المدخل ومنضدة المشروبات حيث يجلس الصراف. كان أصحاب الكافتيريا يريدون مراقبة المضيفين، والأهم، الأموال. فقال ديني بينما كان كورتس يختفي من محيط الرؤية: "وداعاً يا سيد كورتس، قدمي المقطع حتى الرابعة وأربع دقائق عصرًا يا صوفي".

فسرعت صوفي مقطع الفيديو لسبع دقائق أو عندما أصبحت الساعة الرابعة وأربع دقائق.

قال دينس مشيرًا إلى أعلى يسار الشاشة: "راقبي المدخل".

فساد الهدوء الغرفة وتحنج بوكس.

فقال ديني عندما فتح باب الكافتيريا: "هنا".

دخل رجل يواجه جانبه الأيمن الشاشة ويحجب وجهه جزئيًا هاتف يضعه على أذنه اليمنى. كان يرتدي قبعة بيسبول تلقي بمزيد من الظلال على ملامحه ونظارة طبية تزيد من إخفاء صورته. لم يساعدنا أيضًا الفيديو المشوش على استيضاح ملامحه، لكننا كنا لا نزال نستطيع رؤية القليل من الأشياء: فقد كان رجلًا أبيض البشرة، متوسط الطول وأصلع على الأرجح، ويرتدي سترة زرقاء قصيرة يظهر منها على ما يبدو أنه كرش.

فقال ديني: "هذا هو القاتل".

لم ينطق أحد ببنت شفه، لكن الأجواء توترت. فهذا هو الرجل الذي نبحث عنه. هذا هو الرجل الذي ظللت أطارده لشهور بشحمة ولحمه على مقربة منا، لدرجة تضطرنني إلى كبح نفسي من مد يدي ولمس الشاشة.

هذا هو الرجل الذي يتمادى في جرائمه ويفلت من العقاب. هذا هو الرجل الذي اقترف ألواناً شنيعة من التعذيب تجعل لجنة الأمم المتحدة المسؤولة عن انتهاكات حقوق الإنسان تستحي من وحشيتها.
هذا هو الرجل الذي قتل أختي.

الفصل 54

"مرحباً أيها الحثالة"، قالها بوكس لشاشة الكمبيوتر. كانت هذه هي الكلمة التي عادة ما يستخدمها بوكس لوصف المجرم الذي يطارده، سواء أكان لص بنوك أو خاطفًا أو سفايحًا، فهي كلمة تعبر عن العداوة، وبدقة أكثر، الازدراء - حيث يفرس في أذهان فريقه أنه لا يخشى هذا الرجل، ومن ثم ينبغي لهم أيضًا ألا يخشوه.

وعلى الشاشة، ظل الرجل - هدفنا، القاتل، وربما الشخص الأكثر شرًا على وجه الأرض - يمسك بالهاتف، منزويًا بوجهه قليلًا إلى الأسفل بينما كان يتحدث وينصت واضعًا يده اليسرى على أذنه من حين لآخر. فقالت صوفي: "يا لسوء حظنا! إنه يتحدث في الهاتف".

فقال بوكس: "إنه ليس الحظ، فهو يعرف مكان كاميرا المراقبة، ويخفي نفسه بقدر ما يستطيع دون أن يظهر ذلك للعيان".

سار المجرم بين الزحام، وظل جانبه الأيمن لفترة مواجهًا لنا. كان يخفي عن أعيننا من حين لآخر لبضع لحظات بينما كان يمر بين الناس، لكنه استدار بعد ذلك وبات وجهه بالكامل تقريبًا مواجهًا للكاميرا للحظة بينما كان يتوجه إلى مؤخرة الكافتيريا في أسفل الشاشة.

"توقفي هنا"، قلتهما بينما كانت صوفي بالفعل في طريقها لفعل ذلك.

ثبتت الصورة التي كانت ترتعش من حين لآخر. وكانت هذه هي اللقطة المثلى التي حصلنا عليها له، لكنها لم تكن تظهر ملامحه بوضوح. كان وجهه مواجهاً للكاميرا مباشرة لكنه كان لا يزال منحنيًا برأسه للأسفل قليلاً وهو كان يتحدث (أو يتظاهر بأنه يتحدث) في الهاتف، بينما يخفي عينيه بطرف قبعته ليظهر من وجهه أنفه وفمه وذقنه فحسب.

قال بوكس مرة أخرى: "أجل، إنه يعرف مكان الكاميرا، أعيدي تشغيل الفيديو يا صوفي".

صوفي؛ لاحظت ذلك... سريعاً. لم يقل صوفي. عندما دار الفيديو مرة أخرى، ظل المجرم يميل برأسه إلى الأسفل متجهًا نحو المكان الذي يجلس فيه كورتس فالتين. وللمرة الأولى، استطعنا أن نرى بوضوح حقيبة كان يحملها المجرم على كتفه اليسرى، ولا شك في أنها كانت تحمل أدواته - فالتفسير المنطقي يقول إنها ستضم معول الثلج والأدوات الجراحية وعلبة البنزين وقناع الغاز وربما صاعقًا كهربائيًا وسلاح نارياً.

ما إن وصل المجرم إلى الزاوية اليمنى من الشاشة حتى رفع يده، وبقدر ما كنت أستطيع أن أرى، أنهى مكالمته الهاتفية وبدأ التحدث إلى كورتس.

لكنه بعد ذلك خرج من محيط الكاميرا.
فقلت: "اللعنة".

ديني: "يمكنك أن تستمري في المشاهدة إذا أردت، لكنه لن يظهر مرة أخرى حتى يغادر في الساعة الخامسة وثلاث دقائق، ولكن لا تبني آمالاً كثيرة على ذلك".

سرعت صوفي الفيديو حتى وصلت إلى ذلك الوقت. وعندما غادر كورتس فالتين مع المجرم، كانت كورتس في الناحية اليمنى، وكان المجرم يسير بعيداً عن الكاميرا، ولمزيد من الحذر، استدار نحو اليمين ليتحدث مع كورتس - ليصبح ما نراه هو مؤخرة رأسه وقبعة البيسبول والسترة الواقية. وبينما كانا يتحركان عبر المقهى ناحية الباب الأمامي - أعلى يسار الشاشة - تمكن المجرم من إبعاد وجهه عن الكاميرا، وكان يبدو طبيعياً للغاية وهو يفعل ذلك. بوكس: "إنه مجرم بارع".

"كنا نعرف ذلك بالفعل، هل يمكن يا صوفي أن تعودى بالفيديو إلى اللقطة الذي كان وجهه فيها مواجهًا للكاميرا؟".

تشوشت الشاشة وبدأ الجميع يرجع للخلف بسرعة جنونية. أيقظ ذلك ذكرياتي مع لقطات فيديو قديم لفترة طفولتي عندما كان أبي يعلمني أنا ومارتا السير حين كان عمرانا لا يتجاوزان العام، ولم نشاهد الفيديو إلا بعد عشر سنوات في ذكرى مولدنا. كان أبي يمكس فيه بأيدينا قبل أن يفلتها ليتركنا نسير وحدنا بخطوات ثقيلة وحمقاء، كأننا بحارين مبتدئين يترنحان من دوار البحر، قبل أن تسقط كل منا إلى الخلف على مؤخرتها. أتذكر أنني شاهدت كل هذا مع أبي وأمي ومارتا وكان أبي يعيد تشغيل الشريط مرة تلو الأخرى بسرعة كبيرة، لنرى نفسينا نسير مترنحتين إلى الأمام ثم نسقط ثم ننهض ونسير للخلف عائدتين إلى يدي أبنينا. كنا نصيح بينما كان أبي يقدم هذا الشريط، ويعود به إلى الخلف مرارًا وتكرارًا، إذ كان يعرف كيف يضغط على نقاط ضعفنا. أتذكر الضوء الخافت في الغرفة بينما كنت أرتشف البيض المخفوق، (كانت مارتا تكره البيض المخفوق لكنني كنت أحبه)، ودفء النيران المشتعلة، وجوارب يوم مولدنا ذاتها التي ظلت معنا طوال فترة طفولتنا معلقة في المدخنة بعناية. بوكس: "هناك".

ثبتت الصورة وأصدرت طنينًا. حاولت صوفي أن تكبر حجم الصورة لكن بسبب جودتها السيئة باتت ضبابية. فضلت تتقدم بالفيديو حتى وجدت اللقطة المثلى للمجرم.

كان من المستحيل رؤية عينيه بأية طريقة. لكن الأمر لم يكن سيئًا لتلك الدرجة، فقد استطعنا أن نرى انحناء وجهه وأنفه الممدود الصغير. وحتى مع السترة التي كان يرتديها، كانت تظهر ملامح من بنيته؛ حيث كانت كتفاه متهدلتين وجسده ضئيلاً، وهي أوصاف لا بأس بها. كان كل منا يكون له صورة في ذهنه من خلال تلك الأوصاف، متسائلين إذا ما كنا نستطيع على التعرف على هذا الرجل إذا رأيناه شخصياً.

فقلت لنفسى أجل، لكنني لم أكن أنا التي أتحدث بل كان إصراري على القبض عليه. من يعرف إن كان المجرم أصلع حقاً؟ من يعرف إن كان لديه حقاً كرش؟ فمن معرفتنا بهذا الرجل، لا بد أنه قد غير في هيئته ولو قليلاً. وقد

يرتدي شعراً أشقر مستعاراً وبذلة ورابطة عنق ورداءً يخفي بروز بطنه ويتخلى عن نظارته الطبية، ولعله قد يمر بجوارنا دون أن نتعرف عليه.

تباً - إنه قد يمر بنا بينما دون أن نشك فيه وهو يرتدي الملابس ذاتها التي يرتديها في هذا الفيديو، لأنه يبدو بالضبط كما يريد: رجلاً عادياً في الثلاثينيات من عمره تقريباً. إنه يبدو رجلاً عادياً.

رجلاً عادياً وغير مؤذ.

الفصل 55

دفع بوكس نفسه بعيداً عن المكتب؛ حيث يوجد الكمبيوتر وعلامات الإحباط بادية على وجهه. كان ديني قد حذرنا من أنه لا يوجد الكثير في هذا الفيديو، لكن لم نستطع أن نكبح الأمل من الاشتعال داخل أنفسنا؛ بينما تسنح لنا الفرصة للمرة الأولى بأن نرى المجرم شخصياً. لكن بدأ الأدرينالين ينخفض ببطء معبراً عن خيبة أملنا.

بوكس: "سنجلب التقنيين ليعملوا على هذا الأمر الآن، لنرى إذا ما كنا نستطيع تحسين جودة الصورة أم لا"، وأضاف متنهذاً ليهدئ من روعي: "لكني لا أعتقد أن هذا سيكون مجدياً بما يكفي للتعرف على ملامح وجهه".

كان على حق. لم تكن لدي معرفة كبيرة بتكنولوجيا التعرف على الوجوه - فمحللو المعلومات الذين يتولون الأمن الداخلي هم الأكثر خبرة في ذلك - لكنني عملت بما يكفي في هذا الأمر لأعرف حدوده. فاللقطة الجانبية لن تساعدنا كثيراً، وحتى مع هذه الصورة الأمامية لا نستطيع أن نرى قزحية العين ولا نمتلك لقطات كاملة للكثير من ملامحه الأساسية الأخرى كالعينين والمظهر الكامل للأنف وعظام الوجنتين. كما لا يسعنا أن نعرف لون بشرته أهى بيضاء أم ضاربة إلى الحمرة.

فهو لم يسمح للكاميرا بأن تلتقط له صورة جيدة بما يكفي. فحك بوكس وجهه بيديه وقال: "لقد استخرجنا هذا الصباح مذكرات تفتيش لأجهزة الكمبيوتر الخاصة بكورتس فالتنتين، ومن المفترض أن تكون الأجهزة لدينا

في نهاية اليوم. لذا سرعان ما سنعرف اسم الشخص الذي خطط كورتس لمقابلته، أي الاسم الذي يستخدمه المجرم. إننا نحرز تقدماً يا رفاق".

أعربت عن تدمري واستخفافي بما قاله. لكن بوكس كان على حق - فلم يمر إلا يومان فحسب على تعامل المباحث الفيدرالية رسمياً مع هذه الحرائق باعتبارها جرائم قتل، وأجل، حتى بدأنا الآن نحصل على بعض النتائج.

أتمنى لو كنا تحركنا أسرع من ذلك، كان هذا ما أقوله لنفسي، ولم تكن المرة الأولى أو حتى العاشرة. إنها الفكرة المعتادة التي تجول بذهني - لقد أدى كل هذا التأخير إلى المزيد والمزيد من الوفيات.

نظرت مرة أخرى إلى اللقطة المثبتة على الشاشة التي يظهر فيها المجرم في صورة مشوشة بالأبيض والأسود. كان يبدو أنه يهزأ بنا عندما اقترب للغاية من نطاق الكاميرا دون أن يسمح لها بأن تسجل له لقطة أمامية جيدة، لأنه كان يعرف بالضبط زاوية...

انتظروا لحظة.

فقلت: "لقد أتى إلى الكافتيريا من قبل، إنك قتلها بنفسك يا بوكس - لقد كان يعرف مكان الكاميرا في اللحظة التي دخل فيها المكان".

فقال ديني: "لم يكن هناك في وقت سابق من ذلك اليوم، لقد أطلعنا على لقطات الفيديو التي سجلت طوال اليوم".

فقلت: "لعله ذهب في اليوم السابق لذلك".

فقال بوكس وهو يوميئ ببطء: "قد يكون فعل ذلك، أجل، قد يكون فعل ذلك". فقفزت من مقعدي واتجهت نحو المساحة الخالية من الغرفة. عادة ما أجد نفسي أفعل ذلك حينما ينتابني الحماس، كما لو أن عقلي لا يستطيع المضي قدماً إلا إذا فعلت قدمي الشيء ذاته.

"لقد ذهب إلى المكان وفحصه بدقة، وربما جلس إلى المشرب في الجهة الأمامية ليحظى برؤية بانورامية جيدة، ولعله كان يرتدي ملابس مختلفة تماماً".

نظر بوكس إلى ديني.

ديني: "سأتولى الأمر، لا أعرف ما إذا كانوا يحتفظون بشريط مسجل عليه لقطات لتلك الفترة البعيدة أم لا، لقد كنا محظوظين للغاية أننا وجدناهم

يحتفظون بملقطات فيديو ليوم التاسع والعشرين من أغسطس، لكنني سأفحص هذا الأمر في الحال".

فتح ديني هاتفه الخليوي وخرج من الغرفة، لأجد بوكس بعد ذلك يومئ لي سريعاً معرباً عن استحسانه.

وقال: "نحن نحرز تقدماً، إنها مسألة وقت وسنكتشف الأمر".

فقلت: "هذا جيد، لأنها مسألة وقت قبل أن يقتل مرة أخرى، ربما اليوم أو غداً".

الفصل 56

"جلسة جراهام"

التسجيل # ١٣

١٤ سبتمبر، ٢٠١٢

يا نانسي، قولها لكل أصدقائي كي يسمعوها.

(ملحوظة عند تفرغ التسجيل: صوت امرأة يصعب سماعه).

لقد صدقتني، لقد صدقت بالفعل أنني أبيع كعك فتيات الكشافة عندما أتيت إلى باب منزلك. فإذا لم يكن ذلك دليلاً على براعتي، فلا أعرف ماذا سيكون! حسنًا، لأكون منصفًا فقد تظاهرت بأنني أشعر بالخجل، وقلت إن ابنتي بالمنزل مصابة بالإنفلونزا وإن اليوم هو آخر موعد لها لإنجاز حصة مبيعاتها، وهناك مشكلة إذا بعثها بالإنبابة عنها؟ وكان معي صندوق يحوي كعكًا بنهكة النعناع.

آه، يا له من يوم رائع! الشمس مشرقة والعصافير تغرد وأوراق الشجر أخذت في الاصفرار والهواء نقي ومنعش، وأنا ونانسي نتعرف على بعضًا بشكل جيد. فكيف لي أن أكون غير سعيد؟ إنني سعيد بالطبع.

أين ذهبت ماري، ماري التي كانت تقول لي إنني أبدو مضطربًا؟ إنها لا تعرف أي شيء عني. فقد كانت تقول لي ثمة شيء في عينيك، وكأنك ترغب في

شيء لا تملكه. ما الشيء الذي قد أكون راغباً فيه ولا أملكه بالفعل؟ إنني أتمتع بصحة جيدة، حمداً لله عليها، وأحب ما أفعله، بل وبارع فيه، فما الذي يبهج في الحياة غير ذلك؟

هل لديك أية أفكار بشأن ذلك يا نانسي؟ ربما من الصعب التحدث بينما ترتدين قناع الغاز. حسناً، لا تقلقي، لقد أوشك الأمر على الانتهاء بالنسبة لك. بقي القليل فحسب...

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صوت صغير).

أوه، هل سمعت ذلك الصوت يا نانسي؟ لا تذهبي بعيداً، فأنا سأعود في الحال!

نانسي هذه امرأة لطيفة وجذابة للغاية. لقد أنجبت في سن صغيرة، إذ إن ابنها يدرس في الجامعة رغم أنها تتجاوز الأربعين بقليل. وهي مطلقة وليست لديها أية علاقة؛ فقد أصبحت عانساً. ألا يزال الناس يستخدمون كلمة عانس؟ إن أكبر مخاوف نانسي في الحياة هو ألا يجد ابنها جوزيف امرأة مميزة يرتبط بها. فهي تقول إن لديه مشكلة مع العلاقات العاطفية، إذ مر بأوقات عصبية في أثناء المرحلة الثانوية، على ما يبدو، لأنه كان مدمناً وقبض عليه مرتين لسرقته سلعاً من المتاجر. وكان زوجها السابق جزءاً من المشكلة لأنه لم يكن يؤدي مهمته في دعم الطفل ولا يقضي الكثير من الوقت معه. لكن أوضاع جوزيف تتحسن، ويأمل في أن يصبح ذات يوم مستشاراً لإعادة تأهيل المدمنين.

بالمناسبة، وإن كنت لا أريد أن أبدو لحوحاً، لكن إن كان هناك شخص مضطرب، فإنه ماري، ماري. عندما قابلتها، كانت قد انتهت للتو من موعد رومانسي مدبر؛ إنها امرأة وحيدة للغاية حتى إنها مستعدة للجلوس مع شخص لم تلتق به من قبل ثم تقول عني إنني مضطرب؟ أنا لست مضطرباً.

هيا، أكاد أسمعك تقولينها. إنه يجسد أحزانه؛ فهو يحسن من شعوره بإيذاء الآخرين إذ يكمن دواؤه في الآمهم.

معدرة، كلا، لكن شكراً لمشاركتك! ماذا لدينا للخاسرين يا جوني؟ أولاً، نسخة من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية كهدية من

الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين. وتذكر أن شعارهم هناك: إذا كنت تعاني مشكلة، فسنخترع مصطلحاً لها.

هذا ليس كل شيء! وبعد ذلك، سيستلم الخاسرون نسخة من كتاب تفسير الأحلام للطبيب سيجموند فرويد، يضم تأويلات خيالية تتعلق باللاوعي والرغبات والفرائز وعقدة أوديب. دع الطبيب فرويد يحل مشكلتك اليوم! وإذا لم يستطع، فلا تقلق! فهو سيلقي باللوم على مشاعرك العاطفية المضطربة تجاه والدتك.

نانسي، نانسي، لقد عدت. هل تتذكرين صديقتنا الغالية؟ والآن ابقِ هادئة يا عزيزتي، لأن ذلك سيكون مؤلماً.

(النهاية)

الفصل 57

كنت أسمع صوت الكتابة على لوحة المفاتيح على الجانب الآخر من المكالمة الهاتفية، قبل أن يقول لي الرقيب روجر بورتروز من قسم شرطة نيوبريتن: "حسنًا يا آنسة دوكري، لقد اطلعت على صلاحياتك، إذن أخبريني ثانية ماذا تريدين؟".

"الحريق الذي نشب الليلة في المدينة".

"أجل، ماذا عنه؟".

"أريدك أن ترسل أحدهم إلى مسرح...."

"لقد أرسلنا بعض الضباط بالفعل".

"حسنًا، جيد، اجعلهم يستفسرون من رجال الإطفاء عن عدد الضحايا في المنزل ومكانهم داخله".

ساد الصمت - لم أكن أعرف إذا ما كان يدون ما قلته أم أنه يعبر عن ضجره مني.

"واطلب منهم استجواب الجيران للتأكد من عدد الأشخاص الذين يعيشون في ذلك المنزل".

"حسنًا يا آنسة دوكري، سنفعل ذلك".

"أريد المعلومات بمجرد أن تحصل عليها".

"مفهوم".

إنها المكاملة الثالثة التي أجريها هذه الليلة بعد سماع أخبار عن حرائق منزلية في تشبهات الأخبار العاجلة أو مواقع الاستجابات الأولى. نحن نعلم أن المجرم يشعل حريقين أسبوعياً في المنطقة التي يزورها في أثناء "جولة الخريف". ونريد تحليل ذلك الحريق الأول في أسرع وقت ممكن، حتى نكون مستعدين عندما يحدث الحريق الثاني. وسواء أكان هناك أي شيء مفيد سينتج عن ذلك أم لا، فهذه مسألة أخرى، لكن الأمر يستحق المحاولة.

لذلك أحاول تحديد ماهية هذه الحرائق في حينها. عندما كنت أعمل بمفردي في الماضي، كنت أتصل بأقسام الشرطة في اليوم التالي للحادث، أو في بعض الأحيان بعد عدة أيام. أما الآن، فأنا أفعل ذلك بمجرد أن ينمو إلى علمي أن هناك حريقاً قد وقع. لقد أوشك الليل على الانتصاف، ولم يتبق في يوم الجمعة إلا دقائق. شعرت بأن قدرتي على التركيز قد ضعفت، وأن عيني ثقلتا بالنعاس، وأن الألم بدأ يتسلل إلى جسدي. فقد تخطيت مرحلة الحرمان من النوم بثلاثة مستويات تقريباً، لأصبح في مكان ما بين المشلول والزومبي. ولكن يجب أن أكون يقظة، لأن الليلة لا بد أنها الليلة الموعودة، لا بد أن تكون كذلك، إذ إنه لا يرتكب جرائمه في يوم الأحد، كما نعرف، وعادة ما يرتكب جريمته الثانية في الأسبوع في يوم السبت، وهو ما يعني أنه يرتكب الجريمة الأولى في وقت سابق من الأسبوع، والذي يكون عادة يوم الخميس، وأحياناً الأربعاء (مثل لوثر فيجلي وتامي دافي في نبراسكا)، ولكن في موعد لا يتجاوز يوم الجمعة؛ لذلك يجب أن تكون الليلة هي الليلة الموعودة.

دفعت نفسي بعيداً عن المكتب القابع في الطابق الثامن من مكتب المباحث الفيدرالية الميداني في شيكاغو. ومددت ظهري ويدي.

في المكتب المجاور لي، كان بوكس قد عاد لتوه من المنزل السابق لجويل سوانسون في ضاحية ليسل، فسألته: "هل هناك أخبار جيدة؟"

فهز كتفيه وقال: "لا توجد أدلة على دخول المجرم عنوة في المنزل، لذلك ربما يكون قد وجد حيلة لدخول منزلها كما فعل مع كورتس فالنتين. لا بد أن هذا الرجل ساحر".

ارتعدت من الفكرة، لكن ربما يكون بوكس على حق.

رن هاتفي الخليوي، لكن الرقم كان محجوباً، وهو ما يعني أن المتصل من أحد أقسام الشرطة، لذا كان عليّ أن أخمن إلى أي ولاية قضائية تنتمي هذه

الجهة: فقد اتصلت، حتى هذه الليلة، بأقسام الشرطة في مدينة نيوبريتن بولاية كونيتيكت؛ ومدينة فيرجوس فولز بولاية مينيسوتا؛ ومدينة كامبريا بولاية كاليفورنيا.

"الآنسة دوكري، إنني الرقيب روجر بورتروز من قسم شرطة نيوبريتن".

حسناً، لقد عاود الاتصال بسرعة. "أجل أيها الرقيب؟".

"تبين أن رجال الشرطة في موقع الحادث كانوا يعرفون بالفعل المعلومات. هل أنت مستعدة؟".

فاقتربت من المكتب مرة أخرى ووضعت يدي على لوحة المفاتيح وقلت: "أنا مستعدة".

"اسمها نانسي ماكنيلي، وهي مطلقة، وتعيش بمفردها، ولديها ابن يدعى جوزيف يدرس في جامعة هارتفورد".

حبست أنفاسي وقلت: "حسناً...".

فقال: "لقد ماتت، كانت الأمور قد انتهت عندما وصل رجال الإطفاء وقد تفحم جسدها".

ها قد اقتربنا...

"عشر عليها مية في غرفة نومها".

لقد أوشكنا. فسألته: "على فراشها؟".

"على... حسناً، دعيني أسأل". كنت أسمع في الخلفية الرقيب روجر وهو يتحدث مع الضباط الموجودين في موقع الحادث عبر اللاسلكي. وكنت أستطيع أن أسمع الإجابة الصادرة منه بصوت حاد؛ ثم عاد الرقيب إلى الهاتف وأكد لي ما قلته.

وقال: "كانت مستلقية في فراشها".

فسألته: "وماذا عن مكان نشوب الحريق؟".

قال: "حسناً، يقولون إن المعلومات لا تزال أولية في هذا الشأن، فالنيران لا تزال مستعرة. لكنهم يعتقدون أن الحريق شبَّ في الفراش".

أبعدت الهاتف عن فمي وصححت ملتفتة إلى بوكس: "بوكس!".

ثم قربت الهاتف من فمي مرة أخرى وقلت: "أريدك أن تسمعي بعناية أيها الرقيب".

الفصل 58

قال الرقيب روجر بورتروز عبر مكبر الصوت: "معدرة، نحن نعاني من نقص في الموظفين في الأيام العادية. وقد تجاوزت الساعة الآن منتصف الليل، ولا أستطيع على الأرجح استدعاء المزيد من الرجال في أي وقت قريب". نظرنا أنا وبوكس إلى بعضنا، فهذا ما حسبناه.

ثم قال الرقيب مقترحًا: "عليكم بشرطة الولاية؛ فعادة ما يكونون هم المسئولين عن وضع نقاط التفتيش على الطرق".

هز بوكس رأسه وقال: "لا نستطيع أن نفعل ذلك بالسرعة الكافية، ولا نعرف إلى أين سيذهب بعد ذلك، لا بأس، أنصت أيها الرقيب، هل يمكن أن تجعلنا نتحدث مع الضباط الموجودين في موقع الحادث؟".

"نعم، يمكنني فعل ذلك، أعطني رقمك".

وبعد ثلاث دقائق، رن الخط المباشر في هاتف مكتبي، فضغطت على زر مكبر الصوت وأجبت.

وجاء الصوت عبر مكبر الصوت في الهاتف: "أنا الشرطة جانبيت داولينج".

"أنا العميل الخاص هاريسون بوكمان أيتها الشرطة، ومعني إيمي دوكري

المحللة التابعة للمباحث الفيدرالية. هل تسمعينني جيدًا؟".

"أنا داخل سيارة الدورية الآن، أجل".

"هل هناك زحام في موقع الحادث أيتها الشرطة؟".

"ليس بالقدر الذي كان موجودًا عندما كان الحريق مشتعلًا. لكن أجل، هناك زحام. على الأرجح عشرات الأشخاص".

"هل يمكن أن تعطيني رقم هاتفك الخلوي، إذ أريد أن أرسل لك شيئاً".
قبل عشر سنوات، كانت فكرة إرسال صورة عبر الهاتف مستحيلة، ولكنك الآن تشعر بالملل إذا أخذت العملية أكثر من عشر ثوانٍ.
"حسنًا، لقد وصلتني، لكنها غير واضحة".

"هذا لأنها لقطة مأخوذة من كاميرا مراقبة، وهي أفضل ما لدينا. فهذا الشخص أبيض البشرة يبلغ طوله أقل بقليل من ١٨٠ سنتيمترًا، وهو أصلع على الأرجح في هذه الصورة على الأقل، وبنيته متوسطة وربما في أوائل أو منتصف الثلاثينيات من العمر".
"حسنًا".

"ألقي نظرة على الزحام أيتها الشرطة. وهل يمكن لأحد أن يلتقط صورة للزحام؟".
"أجل، يمكننا ذلك. إذن فإنك تعتقد أنه موجود في المكان يراقب تبعات ما فعله؟".

نظر بوكس إليّ وقال: "هذا محتمل"، لم يكن كلانا يعتقد حقًا أن المجرم موجود هناك، لكن من يعرف، وربما يكون هذا صحيحًا.
"لقد صرح رئيس الإطفاء أيها العميل بأن الحريق لا يبدو متعمدًا - أعني أنه لم يفتح تحقيقًا بعد، لكنه يمارس هذا العمل منذ وقت طويل وحده جيد".
لاحظ بوكس النظرة التي كانت على وجهي وفهمها، فلم يصب العديد من رجال الإطفاء ومحققى الحرائق المتعمدة كبد الحقيقة حتى الآن.

قلت: "نحن نعتقد أنه حريق مفتعل، وأن المجرم ماهر للغاية في إخفاء الأدلة على ذلك".
"جيد للغاية".

فقال بوكس: "استجوبي جميع من في المكان أيتها الشرطة وتعاملي مع الأمر على أنه مسرح جريمة".
"سأفعل ذلك".

بوكس: "لكن حاولي ألا تلفتي الأنظار، فالمجرم لا يعتقد أننا نلاحقه حتى الآن، ولا يوجد سبب يجعلنا نسمح له بمعرفة ذلك - ليس بعد".

أنهينا المكالمة الهاتفية، وفحص بوكس هاتفه فوجد رسالة نصية. "حسناً، فريق الاستجابة السريعة في طريقه إلى الطائرة. من الأفضل أن أذهب". كنت على وشك أن أقول شيئاً لكنني توقفت. ونظرت في زاوية الغرفة إلى حقيبتي القماشية التي كنت قد أعدتها ووضعت فيها ملابس ولوازم استحمام تكفي لي لثلاثة أيام، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

بوكس: "من الأفضل أن تبقي هنا، فلديك عمل كثير لتنجزه". إذا صممت حقاً على رغبتني في الذهاب مع بوكس، فإنه سيدعني لي، لكنه على حق، وقد ناقشنا هذا بالفعل. فقد تلقينا للتوملاً تفصيلاً من قسمي شرطة ليسل وشامبين، مليئاً بالمعلومات عن جويل سوانسون وكورتس فالنتين. وهذا ما يفعله المحللون، أليس كذلك؟ نحن نفرز البيانات بينما يذهب العملاء إلى مغامراتهم.

سادت لحظة من الارتباك، فلا العناق ولا حتى المصافحة قد تعني أي شيء.

قلت له: "اعتنِ بنفسك، وكن على اتصال بي".

الفصل 59

ظهرت صورة بوكس على اللاب توب، وكانت حركة شفطيه تسبق وصول كلماته، قال: "الصوت والصورة جيدان؟".

فقلت بينما كانت صوفي وديني يجلسان بجواري: "أجل".

بوكس: "ليس هناك للأسف شيء مهم لأبلغكم به، فمدينة نيوبريتن صغيرة وهادئة. والضحية نانسي ماكنيلي تعمل محاسبة في هارتفورد، وقد غادرت العمل في الساعة الخامسة والربع، وتوقفت عند متجر للخضراوات خارج مدينة نيوبريتن، ثم ذهبت إلى المنزل. هذه هي آخر معلومات يعرفها الجميع عنها".
ديني: "لم نصل إلى شيء من كاميرا متجر الخضراوات، لم نجد شيئاً، لكننا نواصل الفحص".

قلت: "إنه ليس أحرق كي يستخدم بطاقة ائتمانه في المتجر، لعله لم يدخل المتجر من الأساس، واكتفى بانتظارها حتى تخرج منه".

بوكس: "لقد قال ابنها جوزيف إنها لم تكن تخرج مع أي شخص، ولم يكن لديها خطط لعطلة نهاية هذا الأسبوع، لذا لعل المجرم رن جرس منزلها ودخل بطريقة ما".

التفتُ إلى صوفي، فمهمتها هي فحص رسائل البريد الإلكتروني وأي موقع من مواقع التواصل الاجتماعي التي كانت الضحية قد استخدمته ومن شأنه أن يخبرنا بأية معلومة.

قالت: "لا أزال أفحص ذلك، لكن حتى الآن لا يوجد شيء".

بوكس: "شرطة الولاية في حالة تأهب في ولاية رود آيلاند وكونيتيكت وماساتشوستس ونيويورك، حسناً، إذن أخبروني بما وصلتكم إليه".
ألقيت نظرة سريعة على ملاحظاتي، والتي كانت ملخصاً لعمل العديد من الأشخاص في فريقنا.

قلت: "في اليوم الذي مات فيه كورتس فالنتين، كان لديه موعد في مفكرته في الرابعة مساءً لمقابلة رجل يدعى "جويل سوانسون" من مدينة ليسل بولاية إلينوي".

"إنك تمزحين".

لا أمزح، فقد استخدم المجرم نسخة ذكورية من اسم جويل سوانسون ليرتب موعداً مع ضحيته التالية وهو كورتس فالنتين. "لقد تتبعنا مكالمات هاتفية - صدرت بالطبع من هاتف دون بيانات لا يمكن تتبعه - من مدينة ليسل بولاية إلينوي إلى هاتف مكتب كورتس فالنتين في الثاني والعشرين من شهر أغسطس، وهذا هو اليوم ذاته الذي قتلت فيه جويل سوانسون".

"إذن فقد قتل جويل سوانسون في ليسل، وبينما كان هناك، استعد لجريمته التالية التي وقعت بعد أسبوع".

قلت وأنا أنظر إلى ملاحظاتي: "أجل، من الواضح أن المدعو "جويل سوانسون" قال إنه ينشئ شركة جديدة دون أن يفصح عن نشاطها وأنه تعرض للاحتيال على يد أحد مصممي المواقع، لذلك أراد أن يقابل كورتس وجهاً لوجه".

بوكس: "ذكي، ذكي للغاية. لعل كورتس دعاه إلى منزله ليريه معداته. وماذا عن جويل سوانسون؟".

"لا شيء، لم يكن لديها شيء على حاسبها الشخصي ولم نسمع شيئاً يشير إلى أنها كانت تخطط لمقابلة أي شخص".

لم يجب بوكس على ذلك. لم يكن من الصعب أن نرى كيف يدبر المجرم طريقة وصوله إلى الضحايا، فهو لا يجد غضاضة في مواجهة النساء في منازلهن، ولكنه يكون أكثر حذراً عند مقابلة الرجال. ومن هنا يمكننا القول إنه دخل بطريقة أو بأخرى إلى منازل جويل سوانسون ونانسي ماكنيلي لكنه حدد موعداً مع كورتس فالنتين حتى يدعوه إلى منزله.

هل هذا ما حدث مع مارتا؟ هل أجابت على الباب فحسب ظنًا منها أن المجرم مندوب مبيعات متجول، أو رجل يبحث عن اتجاهات الطريق، أو قارئ العداد من شركة الكهرباء؟ لا بد أنها فعلت ذلك. فمارتا كانت تفتح الباب لأي شخص؛ إذ لم تكن ترى الجانب المظلم من أي شيء، بل الجانب المضيء فحسب.

بوكس: "حسنًا"، وعلى الشاشة كان ينظر إلى ساعته. كانت تجاوزت الرابعة بالتوقيت المركزي المتقدم بساعة عن توقيت ولاية كونيتيكت حيث يقبع بوكس. كنا في يوم السبت، وهذا يعني أن اليوم سيكون موعد جريمة القتل الثانية، والحريق الثاني. أوه، لو أننا كنا نستطيع إصدار تحذير، لكن ماذا يمكننا أن نقول للناس؟ فكل ما لدينا هي صورة غامضة لا يوجد اسم مرتبط بها، وليس هناك منطقة خطر محددة نحذر منها، أو حتى نمط معين نشير إليه؟ مرحبًا لكل من يعيش في شمال شرق الولايات المتحدة، نحن نبحث عن رجل أبيض متوسط الطول قد يشق طريقه إلى منزلك ويعذبك ويحرق بيتك.

بوكس: "لقد أرسلنا نشرة إلى كل الولايات القضائية المحلية في رود آيلاند وكونيتيكت وماساتشوستس ونيويورك لينبهونا في الحال عند وقوع حرائق سكنية أيًا كان حجمها، وإذا حالفنا الحظ، سنحصل الليلة على معلومات عن الحريق بعد أقل من ساعة من حدوثه".

"سنكون مستعدين هنا"، قلت ذلك محاولة تجنب إحياء الآمال لكن دون أن أغفل أننا بتنا يقظين الآن، وأن الليلة ربما تكون الفرصة التي نتظرها.

الفصل 60

"جلسة جراهام"

التسجيل # ١٤

١٥ سبتمبر، ٢٠١٢

سأوجه حديثي هذا لسكان الجزء الشمالي الشرقي من البلاد: من المؤكد أنكم تستمتعون هنا بمشاهد تغير المواسم، فلا شيء يضاهي عظمة تغير أوراق الشجر في هذه المنطقة. لا شك في أننا مازلنا في البدايات، لذا سيكون لزاماً عليّ أن أعود في أكتوبر لأرى المظاهر الكاملة للخريف، لكن يمكنكم أن تروا نفحات منه الآن، وكأنه صبية جميلة تكتمل أنوثتها لتنبض بالحياة والحيوية، حيث توحى لك بالغموض، وتبعث في نفسك النشاط، فتمشي منتشياً من السعادة، أليس كذلك؟

حسنًا، يأتيني هذا الشعور في بعض الأحيان بعد أن أكون قد انتهيت من إحدى الجلسات؛ إنه شعور وجداني ممزوج بالإثارة وبالنشوة أيضاً، قد أقر بذلك. فأنا مفرم بما أفعله، ولا سيما الطرق التي أنفذه بها في الوقت الحاضر. هل ترون ما أراه من جمال، ومن صدق حقيقي؟

هناك مقولة قديمة مفادها أن الناس يتحلون بأعلى درجات الصدق عند الولادة والموت. هل تعرفون من قال ذلك؟ أنا، ربما ظننتم أنني سأقول روبرت فروست، أو فيليب روث، ولكنني أنا حقاً من قالها. هل قرأتم من قبل تلك الأقوال الشهيرة على شبكة الإنترنت أو في بعض الكتب التي تضم اقتباسات شهيرة وقلتم لأنفسكم يا إلهي، كنت أتمنى لو كانت إحدى تلك المقولات منسوبة لي؟ من المؤكد أن روجرز له ما لا يقل عن عشر مقولات، وأن هناك عشرات المقولات المنسوبة لونستون تشرشل، كما هي الحال مع العديد من رؤسائنا المشهورين. إنني أريد مقولة واحدة فحسب، هذا كل شيء، مجرد مقولة واحدة بارزة لحقيقة مميزة حتى تلتصق بك إلى الأبد.

"تكون الانتقادات مؤلمة بما يتناسب مع صدقها".

"الشيء الوحيد الذي يجب أن نخافه هو الخوف نفسه".

"يمكن للكذبة أن تجوب العالم، بينما لا تزال الحقيقة ترتدي ملابسها".

"يتحلى الناس بأعلى درجات الصدق عند الولادة والموت".

أجل، أجل، بالفعل! أظن أن مقولتي ستأخذ مكانتها بين تلك المقولات.

لكن الأمر لا يتعلق بي يا جمهوري العزيز، بل بكم. فما رأيكم في براعتي؟

هذا يكفي، لقد أمضيت وقتي هذا المساء مع هذا الرجل اللطيف، الدكتور

بادمانابهان، وأتقدم بخالص اعتذاراتي إذا كنت قد أخطأت في نطق اسمه.

رغم أنني أفترض أنكم لو سألتموه، سيقول إنه لم يكن أسوأ شيء حدث له

الليلة.

والآن، حان الوقت لكي أحصل على إجازتي. ولكن قبل أن أفعل ذلك، أود

فقط أن أسألكم، هل أبدو شخصاً مضطرباً؟ بالطبع لا. فأنا في أوج مجدي،

ولا أزال أستمتع بما أفعله. ما الذي يمكن لتلك المرأة التي تسمى ماري أن تكون

قد فكرت فيه؟

سأعود لأتحدث معكم غداً. فالمرجح أن حركة المرور في طريق أي-٩٥

أصبحت انسيابية الآن، لذا فمن الأفضل أن أتابع طريقي.

(النهاية)

الفصل 61

قال الشرطي: "يقول الجيران إن الطبيب بادمانابهان كان يعيش بمفرده".
"شكرًا أيها الشرطي، انتظر على الخط من فضلك"، ثم أغلقت الخط
وضغطت على زر جهاز اللاسلكي لأتحدث مع بوكس وقلت: "هل تسمعني يا
بوكس؟".

"أسمعك يا إيمي".

"السيناريو الثاني، السيناريو الثاني. مكالمة آتية من مدينة بروفيدينس؛ رود
آيلاند".

"السيناريو الثاني، علم. أجر المكالمة".

بعد ثلاثين ثانية، كنت أنا وبوكس في اجتماع عبر الهاتف مع مراقب
شرطة ولاية رود آيلاند وقائد شرطة ولاية كونيتيكت، اللذين كانا على أهبة
الاستعدادات لمكالمتي.

"هذا هو السيناريو الثاني، ولايتي رود آيلاند وكونيتيكت".

قال المراقب آدم فيرنون: "رود آيلاند، علم، قواتنا في المكان".

وقال القائد إنجريد شويجل: "ولاية كونيتيكت، علم، قواتنا في المكان
أيضًا".

"هل نحن متأكدون من أن المجرم سيمر من طريق آي-٩٥". طرحت هذا
السؤال لأهدئ من روعي فحسب؛ إذ كان ذلك بالفعل موضوع المناقشة.

قال فيرنون مخطئاً في لقبى الوظيفي: "إذا عاد المشتبه به إلى منطقة الغرب الأوسط أيتها العميلة، فلا بد أنه سيمر عبر ولاية كونيتيكت، ولذلك فإن الطريق السريع الوحيد الذي سيسلكه هو آي-٩٥. ورغم أن المسافة التي سيقطعها تبلغ ستة وستين كيلو متراً من الحدود، ولكن طالما أنه لا يتوقع أن يكون أحد في انتظاره، فسيكون أحق لو لم يسلك طريق آي-٩٥".

"جيد للغاية، جاءت الإخبارية منذ أربع عشرة دقيقة، وتأكدت للتو من أن هذا هو الحريق الذي نستهدفه. تشير خريطتي إلى أن الحريق يقع إلى الشمال مباشرة من مستشفى ميريام في مدينة بروفيدنس، ما يعني أنه سيضطر إلى السفر لمسافة أربعة وستين كيلو متراً على طريق آي-٩٥، ليصل إلى الحدود الفاصلة بين ولايتي رود آيلاند وكونيتيكت".

فيرنون: "وحتى إن انطلق مبكراً، فمن المؤكد أنه لم يصل إلى الحدود بعد. لكنني أصدرت الأوامر بالفعل أيتها العميلة، وبينما نحن نتحدث، فإن القوات تنشر المشاعل الضوئية على الطريق".

"العميل بوكمان يتحدث إليكما، إنني في الطائرة حالياً، ومن المفترض أن أصل إلى الحدود في غضون خمس عشرة دقيقة. سأكون العميل المسئول عن هذا الأمر، ولكن سينضم إليكما على الأرض عملاء آخرون بعد قليل. دعونا نوضح التوجيهات: نريد أرقام اللوحات والرقم التعريفي لأية سيارة يقودها رجل قد تتماشى أوصافه مع أوصاف الهدف، ومن المسموح إجراء تفتيش في هذه الحالة على أقل تقدير. وإذا كان هناك أي شيء يثير الشكوك - أي شيء على الإطلاق - سيكون على قواتك الاتصال مباشرة بي".

"ولاية كونيتيكت، علم".

فيرنون: "ولاية رود آيلاند، علم، إذا كان على الطريق الليلة، فسنقبض عليه".

الفصل 62

وصلني الإرسال من مروحية المباحث الفيدرالية على اللاب توب بوضوح مذهل، إذ كنت أرى منظرًا علويًا للطريق السريع آي. ٩٥ بينما يتجه نحو الجنوب الغربي من ولاية رود آيلاند إلى مدينة نورث ستونينجتون بولاية كونيتيكت. وهو طريق سريع مكون من مستويين ومنقسم إلى حارتين تتجهان نحو المنطقة الجنوبية الغربية، بالإضافة إلى ممر للطوارئ.

على الحدود، تحت اللافتات المكتوب عليها ولاية كونيتيكت ترحب بكم ونورث ستونينجتون، حدود المدينة، وضعت مركبات شرطة الولايتين حاجزًا أمام السيارات متعامدًا مع حركة السير. وكانت المشاعل الضوئية تسبق الحواجز بقدر ما تسمح لي الشاشة برؤيتها - بـ ٨٠٠ متر على الأقل، أو أيًا كان البروتوكول الخاص بحواجز الطرق.

كان الطريق مكتظًا بالسيارات المنتظرة في الصف، والتي ما إن كانت تصل إلى نقطة التفتيش، حتى كان الضباط وعناصر مكتب المباحث الفيدرالية يوجهون ضوء كشافاتهم داخلها في كل من المقاعد الأمامية والخلفية، وأحيانًا كانوا يفتحون صندوق السيارة ويفحصونه، وفي أحيان أخرى كانوا يطالبون السيارة بالوقوف بجانب ممر الطوارئ لتفتيشها تفتيشًا شاملاً، ودائمًا ما كانوا يسجلون أرقام اللوحات والرقم التعريفي الموجود داخل الباب الأمامي لها. وبمجرد السماح للسيارات بالرحيل، يكون عليها أن تعطف منعطفًا صعبًا حول

سيارات الدورية، ثم إلى ممر الطوارئ، قبل أن تنطلق إلى ولاية كونيكتيكت، وهو "الترحيب" الذي لم تكن تتوقعه من ولاية صياغة الدستور.

كان الطريق السريع يعاني ازدحاماً مرورياً بقدر ما أستطيع أن أرى، حتى في وقت متأخر كهذا؛ حيث قارب الليل على الانتصاف بتوقيت الساحل الشرقي. لا شك في أن السائقين سيفترضون أن هذا هو اختبار فحص الكحول الذي تجريه الشرطة ليلة السبت، وأعتقد أنه تحول إلى ذلك بالنسبة لبعض السائقين غير المحظوظين الذين انتهى بهم المطاف إلى مصادرة سياراتهم والذهاب إلى سجن مدينة نورث ستونينجتون.

كانت المروحية تتحرك على طول الطريق السريع لمراقبة أية سيارة تحاول الاستدارة والعودة مرة أخرى، ورأيت للمرة الأولى أن هناك مروحية ثانية تفعل الشيء ذاته.

كان بوكس يملي عليّ أسماء وأرقام لوحات السيارات والأرقام التعريفية لها بينما كنا نمضي قدماً حتى أفحصها للكشف عن خلفياتها الجنائية وضبط السيارات المسروقة. لم أكن أعتقد أن المجرم يقود سيارة مسروقة، ومن الصعب الافتراض أن السيارة لها خلفية جنائية. لن أتفاجأ إن كانت لديه سوابق جنائية، لكن لسبب ما أظن أن سجله الجنائي نظيف. فهو يتسم بالدقة الشديدة.

كانت هذه مجرد توقعات، لكن لا بد للحقيقة أن تنجلي، فلدينا فرصة حقيقية الليلة. ومع كل سيارة تدفع بفريقنا إلى إلقاء نظرة ثانية عليها أو فتح صندوقها أو حتى مطالبتها بالوقوف بجانب ممر الطوارئ، كنت أشعر بقشعريرة.

وكان هذا يمرن كثيراً شعيرات جسدي، لأن معظم السيارات كانت تحتاج لفحص طويل من الفريق الذي يضم شرطة الولايتين وعملاء مكتب المباحث الفيدرالية؛ إذ كان معظم السائقين رجالاً، وغالبيتهم ذوي بشرة بيضاء، ونحن لم نكن نقصر دائرة الاشتباه على هذه الأوصاف فحسب، بل كانت تشمل وصف "متوسط الطول"، "متوسط البنية"، ومن يدري بأمر لون شعره.

ولكن في النهاية، كان يُسمح لكل من تلك السيارات بالمرور. أنا لست مخطئة بشأن ذلك. فهو يقود سيارته إلى جزء جديد من البلاد، ويرتكب جريمتي قتل، ويعود إلى المنزل، فالبيانات لا تكذب. ولا بد أنه يعيش في

منطقة الغرب الأوسط، لا بد أن يكون ذلك صحيحًا. ويمكن ربط أنماط سفره بالطرق الرئيسية السريعة.

أنا لست مخطئة: فهو يستخدم السيارة في التنقل، وسيقودها عائداً بها إلى الغرب الأوسط.

كان بإمكانه أن يسلك طريقًا مختلفًا، فكما قال مراقب الشرطة، المسافة التي سيقطعها تبلغ ستة وستين كيلومترًا من الحدود، لكنه لا يتوقع أننا ننتظره، ولماذا لا يسلك الطريق السريع أي . ٩٥ بين الولايات؟ بالطبع سيفعل ذلك. مرت أول تسعين دقيقة ببطء دون أن تسفر عن شيء، وبعد ذلك بدأ الوقت يمر سريعًا، لأن عدد السيارات انخفض، حيث قلت السيارات العابرة إلى ولاية كونيتيكت حينما اقتربت الساعة من الثانية صباحًا.

بعد مرور سيارة دودج صغيرة عبر الحواجز، لم تعد هناك سيارات على امتداد الطريق السريع بالاتجاه الجنوبي الغربي. وأصبح الطريق السريع أي . ٩٥ خاليًا. فقال بوكس ساخطًا: "أين هو بحق الجحيم؟ لا بد أنه سلك هذا الطريق".

فقلت متفقة معه في الرأي: "أعلم ذلك، ألا يمكن أن يكون قد استدار وغَيَّر مساره عندما رأى الحواجز؟".

"هذا مستحيل، فهناك قوات في المقدمة عند أول مشعل ضوئي تقف إلى جانب ممر الطوارئ. فلو كانت أي سيارة قد حاولت الاستدارة وعبور المنطقة الفاصلة بين الحارتين، لكانوا رأوها. لقد غطينا هذه المنطقة، اللعنة!".

"ربما قرر أخذ قسط من الراحة أولاً، ليستأنف رحلته في الصباح الباكر من الغد".

لم يجبني بوكس على الفور ربما لشعوره بالإحباط أو لتركيزه الشديد، ولعل الافتراض الأخير هو الصحيح، إذ إن بوكس لا يسمح لعواطفه بالتغلب عليه كثيرًا. فهو دائمًا ما يتسم بالعقلانية على العكس مني.

قلت: "أعتقد أنه ربما كان في إحدى تلك السيارات، فلتتذكر من نتعامل معه".

"ربما، ربما، رغم أنه لم يكن هناك الكثير من السيارات التابعة لمنطقة الغرب الأوسط".

هذا صحيح، لكن ذلك لن يمنعني من إنشاء قاعدة بيانات ووضع كل هذه الأسماء وأرقام اللوحات بها.

فقال بوكس: "سنبقي على نقطة التفتيش هذه حتى مطلع الفجر على الأقل، فلا يمكننا أن نقف هنا إلى الأبد. ولكن دعينا نبقَ حتى شروق الشمس ثم نقيمها في وقت لاحق، هل هذا يبدو جيداً؟"

فقلت متظاهرة بالشجاعة: "لن أذهب إلى أي مكان". لكن في مكان ما بداخلي كنت أشعر بالإحباط لأننا لم نعثر عليه. لقد أقمنا شبكة عنكبوتية ليعلق في خيوطها، لكنه هرب منها بطريقة ما. لا يمكن للتحليل الذي خلصت إليه أن يكون خاطئاً، إنني على يقين بأنه كان سيتصرف وفقاً للنموذج الذي أنشأته من البيانات.

ونظراً لأنني لم أعثر عليه، ففي الأسبوع المقبل، سيفعل ذلك مرة أخرى، في جزء آخر من البلاد، مع ضحيتين أخريين مسكينتين.

مكتبة

t.me/t_pdf

الفصل 63

بينما كنت أجلس متسمرًا أمام شاشة الكمبيوتر لأدقق البيانات، شعرت بأن قدراتي الذهنية بدأت تضعف وعينيَّ قد باتتا ثقيلتين، والآلام قد استفحلت في ظهري ورقبتي. رفضت أن أنظر إلى ساعة الحائط، مدركة أن العقرب الصغير على وشك أن يصل إلى الرقم ثمانية، والعقرب الكبير إلى الرقم اثني عشر، وأنه مر أكثر من عشر ساعات على إقامة نقطة التفتيش.

فقلت لبوكس عبر سماعة الرأس: "ساعة أخرى".

فأجابني قائلاً: "هذا ما قلته قبل ساعة".

"ساعة أخرى".

كنا قد خططنا من البداية أن نزيل الحواجز في الساعة الثامنة صباحًا بالتوقيت الشرقي، أو في الساعة السابعة بتوقيت شيكاغو. فطلبت تأجيل ذلك لساعة أخرى لتُزال في الساعة التاسعة بتوقيت شرق الولايات المتحدة، وهو ما تعلنه الساعة الآن.

فقلت مجادلة إياه: "إنه لا يوجد حتى ازدحام مروري كبير"، كانت مجرد مجموعة صغيرة من السيارات المصطفة عند مشارف ولاية كونيتيكت، لكن لم يكن هناك اختناق مروري كبير. فاستطردت: "إنه صباح يوم الأحد، ولا يبدو أننا نسبب مشكلة كبيرة للمسافرين".

"لا يمكننا أن نبقي نقطة التفتيش هذه إلى الأبد يا إيمي".

"كلا، بل يمكننا ذلك؛ لأننا المباحث الفيدرالية".

ساد الصمت لبرهة، لعلني فزت بساعة أخرى. كنت أقول لنفسى، لا بد له أن يمر بهذه الحواجز إن آجلاً أو عاجلاً، لا بد له أن يفعل ذلك، رغم أن جزءاً آخر مني كان يقر بأنني أخطأت التقدير بطريقة ما.

فقال بوكس وكأنه يعلن توقيت وفاة: "كلا، إنني أعلن إزالة نقطة التفتيش".
"كلا من فضلك... ساعة أخرى فحسب..."

ثم صرخت وقلت: "بوكس!"، لكنني لم أتلق أية ردة فعل، إذ كان بوكس قد فصل الخط. فقد كان يعرف ما يصبح عليه الأمر عندما نتجادل معاً، ولذلك قرر أنه من الأفضل أن يقطع حديثه معي.

فقلت: "اللعة"، ونزعت سماعة الرأس وألقيت بها أسفل المكتب، ثم نهضت لأجد ألمًا حادًا وقاتلاً ينتاب ظهري، بينما كانت رؤيتي قد باتت ضبابية من كثرة التحديق في شاشة الكمبيوتر طوال الليل وأصبح عقلي عاجزاً عن التفكير.

فخرجت إلى الردهة لأتوجه إلى "غرفة الحرب" التي كانت في الأصل حجرة اجتماعات أزيلت منها الطاولة الطويلة لتصبح مقراً لمحلي أبحاث ثمانية يعملون على قضيتنا. كانوا قد جاءوا في الساعة السابعة من هذا الصباح ليحللوا بيانات الأشخاص الذين أوقفناهم في نقطة التفتيش، وهم ما يصل مجموعهم إلى أكثر من ٥٠٠ رجل أبيض.

كنت مشوشة الذهن، وسمعت بينما أتوجه للغرفة مناقشة حيوية ثم ضحكاً - ضحك - فأسرعت الخطى نحو مصدره.

وفي الداخل، وجدت أحد المحللين الرجال يقف مقلداً إحدى حركات الرقص الخرقاء أو ما شابه. وعندما رأني وانتهى جميع من في الحجرة إلى وجودي، توقفوا عن الابتسام وخيم الصمت المشوب بالارتباك. فنظرت إلى كل من هؤلاء المحللين السبعة الجدد الذين كانت قد انضمت إليهم صوفي تالاماس. وشعرت كأنني أم ثقيلة الظل تفسد حفلاً ساهراً بين الأصدقاء، أو معلمة تدخل فصلاً دراسياً مشاغباً، وكنت أكره ذلك، لكنه لم يمنعني من توبيخهم.

فقلت ببطء وصوت مرتجف: "الرجل الذي نطارده يسلخ ضحاياه وهم أحياء. أتفهمون ذلك؟ إنه يحرق أجسادهم وهم أحياء. قاطعوني عندما أقول شيئاً مرحاً!".

فخفض الجميع نظره وقالت صوفي: "كنا نمرح قليلاً يا إيمي لنخفف عن أنفسنا وطأة العمل، فالجميع يعمل بكد".

فقلت لها: "لا يعمل الجميع بالكد الكافي، إنه هنا"، وأشارت إلى أحد أجهزة الكمبيوتر، "في مكان ما في كل هذه البيانات، في بعض الإحالات المرجعية التي لم نفحصها بعد، في إحدى قواعد البيانات، في بعض المدونات أو مواقع التواصل الاجتماعي. الأمر يعود لنا إذا كنا نريد أن نعثر عليه. فلينصت لي جميع من في الغرفة: إنه لن يترك بصمة إصبع لأحد عملائنا الخاصين الخارقين كي يجدها، ولن يسقط محفظته في مسرح الجريمة أو يتعثر ويكسر ساقه بينما يخرج من المنزل الذي أشعل فيه النيران، ولن يمسك به أحد الجيران الفضوليين. فمن سيعثر عليه ليس العملاء الميدانيين، بل محللو الأبحاث الموجودون في هذه الغرفة. لذلك اقدحوا زناد أذهانكم وأعطوني أفضل ما لديكم، لأن هذا الأحمق سيفلت منا لمدة أسبوع آخر!".

واندفعت خارج الحجرة متوجهة نحو المصعد، إذ كنت في حاجة إلى الاستحمام وتناول بعض الطعام قبل أن أستأنف العمل. لكنني لم أدرك أنني نسيت مفاتيح سيارتي في المكتب إلا بعد أن خرجت في الهواء المنعش.

الفصل 64

عندما عدت إلى مكتبي، وجدت صوفي تالاماس تمسك بمفاتيحي وتقول:
"أعتقد أنك نسيت هذه".

انتزعتها من يدها.

"لم يكن لديك الحق في أن تقولي ذلك لنا يا إيمي. فهؤلاء الأشخاص يقتلون أنفسهم من أجلك، ويتقاضون أقل الرواتب في المباحث الفيدرالية بأكملها، ومع ذلك يعملون خمس عشرة ساعة في اليوم، وقد جاءوا إلى هنا في السابعة صباحًا يوم أحد..."

رفعت يدي وقلت: "كفى، أتعرفين يا صوفي؟ إذا كنت تريدين وظيفة بساعات عمل محددة، فلتذهبي إلى العمل في متجر سفن إيفن، أو أي مكان آخر. إننا نحاول الإمساك بوحش، وهذا يتطلب في بعض الأحيان القليل من المجهود الإضافي".

"أعتقد أننا نعرف ذلك جيدًا".

توجهت إلى الباب وقلت: "حقًا؟ هذا رائع".

قالت صوفي: "إننا لم ننته بعد".

توقفت والتفت لها: "ماذا قلت؟".

كان الغضب قد سيطر على صوفي ذات الشعر الحريري المرفوع بطريقة عصرية، والسروال الجينز الضيق والسترة المحبوكة والملامح الدقيقة

المنحوتة. عندما يغضب شخص بهذه الجاذبية، لا يبدو وجهه قبيحًا على الإطلاق، بل تبرز ملامحه ويزيد لمعان عينيه وتتوهج وجنتاه. قالت: "نحن لدينا مشكلة، أليس كذلك يا إيمي؟ أنت وأنا".

أخذت نفسًا ومددت يدي وقلت: "أدِّي وظيفتك فحسب يا صوفي، و...".
 "إنني أؤدِّي وظيفتي وأعمل بالقدر ذاته من الكد الذي يعمل به الآخرون، لكن ما مشكلتنا؟ فمنذ أن وصلت إلى هنا وأنت لا تتوقفين عن ملاحظتي بنظرات سيئة".

"أريد منك أن تركزي، أريدك أن تركزي على هذه القضية وليس شيئًا آخر".

"أنا لم أقرب منه يا إيمي".

تراجعت في ذهول من كلماتها. وعقدت صوفي ذراعها دون أن تتطرق ببنت شفهِ، لتترك وقع تلك الكلمات يستمر أثره قليلًا بيننا؛ فما قالته يفضي إلى الكثير مما قد أقوله أو أفكر فيه، ولا شيء فيه جيد. فحقيقة أنها تعترف بهذه المشكلة من الأصل تعني أنني فعلت شيئًا - لغة الجسد أو تعبيرات الوجه أو ما شابه - نمَّ عن أن هناك مشكلة، على الأقل من وجهة نظرها، وحقيقة أنها تشعر بالارتياح الكافي مع بوكس بقدر يجعلها تشعر بأحقيتها في إعلان هذا الشيء، وحقيقة أنها تعتمد أنني بحاجة لسماع ذلك منها، وأنا نتحدث فيه بينما هناك مجرم مختل عقليًا طليق...

قالت مرة أخرى: "لم أفعل ذلك، فبوكس لطيف معي وداعم لي كثيرًا، ومن المؤكد أننا أصدقاء، لكن هذا كل ما في الأمر".

حينئذ لم أستطع إنكار الشعور المفاجئ بالارتياح الذي انتابني، والذي تخلصت منه على الفور، فهذا ما أنا بارعة فيه؛ أليس كذلك؟ فأنا بارعة في إخفاء مشاعري والتظاهر بالصلاية. فمشاعري نحو بوكس (بقدر وجودها، وكونها لا تتعدى بعض المشاعر المتبقية وبعض الانجذاب الأولي) غير مهمة، لأن بإمكانني تنحيته جانبًا لأركز على هذا التحقيق. وشعوري بالفقد نحو مارتا غير مهم؛ لأن بإمكانني تنحيته جانبًا أيضًا. إنني أضع مثل هذه المشاعر في سلة مهملاتي الذهنية حيث تنتمي.

فها أنا فتاة تقف وسط إعصار متظاهرة بأنه ليس عاصفًا، وكأنني أستطيع تجزئة كل عاطفة والغاء قلبي وتوجيه كل طاقتي إلى عقلي، حتى أتمكن من أن أكون الفتاة التي لا تعرف إلا البيانات والقراءن والألغاز، وتتناسى أي شيء يجعلها إنسانة.

سيكون لديّ الوقت لاحقًا لأن أكون إنسانة، فكلمة لاحقًا من الكلمات المفضلة لديّ.

همست إلى صوفي: "أديّ وظيفتك، هذا كل ما أهتم به".

الفصل 65

قضيت معظم ساعات ما بعد الظهيرة في غرفة العمليات أراقب محلي الأبحاث الآخرين، وأفحص ما يقومون به، وأسلط الضوء على أية معلومة تبدو مهمة، رغم أن الكثير منها لم يكن ذلك. كانت لا تزال هناك أجواء توتر إثر ثورة الغضب التي فجرتها في وقت سابق من اليوم، لكنها كانت تهدأ تدريجياً بينما كنا نصبُّ تركيزنا على العمل الذي نتولاه. في الساعة السادسة مساءً، أعلن أحدهم أنه قد حان وقت العشاء، وطلبنا بعض فطائر البيتزا. فذهبت إلى مكتب بوكس، حيث كان قائدنا الشجاع يتلقى مكالمات من جميع العملاء الموجودين على الأرض منذ أن عاد من المنطقة الشمالية الشرقية قبل بضعة ساعات.

وحين دخلت، وجدته يهز رأسه قائلاً: "اللعة"؛ وكانت هناك ضوضاء في الخلفية صادرة من مصدر ما لعله هاتفه الخلوي. كانت حالة بوكس مزرية، بعد أن قضى ليلته في مروحية تحوم فوق الحدود الفاصلة بين ولايتي رود آيلاند وكونيكتيكت. فعيناه كانتا محمرتين ونظراته زائفة وشعره متشابكاً ووجه مرهقاً وغير حليق. فسألته: "ماذا حدث؟".

فلوَّح بيده وقال: "أوه، لا شيء، يبدو أن فريق تشيفز سينهزم للأسبوع الثاني على التوالي. فقد مرسي جيه سبيلر، الظهر المهاجم لفريق بيلز، عبر

خطوطنا كأننا حفنة من طلاب المرحلة الثانوية"، ثم استطرد متنهداً: "وروميو مدرب لا يعرف إلا الطريقة الدفاعية".

جلست في الكرسي المقابل له وقلت: "إنك تفهم يا بوكس أنني ليست لدي فكرة عن من هو سي جيه سبيلمان أو روميو".

فقال مصححاً: "سبيلر، سي جيه سبيلر هو..."

"وتدرك أيضاً أنني لا أهتم بمن يكون".

فهز بوكس هاتفه الخليوي وقال: "النتيجة حتى الآن اثنان - صفر للفريق

الأخر، ويبدو الأمر كأننا نبعد بسنوات ضوئية عن اللقب الذي فزنا به..."

"ما خطب الرجال وكرة القدم يا بوكس؟ أقصد أنك تبدو كأنك تدمنها".

"أنا وملايين آخرون".

قلت موافقة: "أعلم ذلك، كان أبي كذلك أيضاً. فقد كان يجلس أمام

التلفزيون طوال اليوم في أيام الأحد، ويشاهد المباريات، وكان علينا أن نتحايل

على هذا الأمر عندما نذهب إلى دار العبادة فقد كنا جميعاً نعرف اهتماماته

الحقيقية".

ثم انتهت لشيء جعل الضباب يتلاشى في الأفق وبدأ قلبي يخفق.

"كرة القدم هي في نهاية المطاف..."، كان بوكس يحاول التفلسف لكنني

لم أكن أعد أنصت إليه. فتهضت فجأة، وهي ما لم تكن فكرة جيدة في حالتي

الحالية، وكدت أسقط بينما كنت أهرع خارج مكتب بوكس ومنه إلى مكنتي.

وقفزت وجلست أمام الكمبيوتر، وقضيت ساعة من البحث حتى ارتفعت

حرارة جسمي وازداد خفقان قلبي، وباتت يداي ترتعشان ارتعاشاً شديداً حتى

إنني لم أكن أستطيع الكتابة على لوحة المفاتيح. وعندما انتهيت، أحضرت

خريطة الولايات المتحدة التي تحمل الكثير من العلامات.

كان بوكس يتحدث في الهاتف مع أحد العملاء عندما عدت إليه. فوجدته

يهز رأسه وعلى وجهه نظرة تهكمية، ثم أنهى المحادثة قبل أن يطلع على الورقة

التي أعطيتها إياها.

قلت بفخر طفولي مبالغ به: "هذه هي مواقع الجرائم التي ارتكبتها في

المدن المختلفة في أثناء جولته في فصل الخريف، بدءاً من يوم العمال حتى

نهاية العام الماضي".

"حسنًا، تلك هي النجوم البرتقالية التي تمثل الجريمتين التي يرتكبهما في الأسبوع، حيث يذهب كل أسبوع إلى جزء مختلف من البلاد، لكن إلى أي شيء ترمز النجوم السوداء الموجودة بين البرتقالية في كل موقع؟".

فقلت: "النجوم السوداء هي ملاعب كرة قدم لمباريات المحترفين".

نظر بوكس إلى الخريطة مرة أخرى؛ ثم نظر إليّ كما لو أنني اكتشفت كوكبًا آخر.

قلت: "إنه لا يرتكب جرائمه مطلقًا في أيام الأحد".

وضع بوكس يده على فمه وقال: "يا إلهي، من يوم العمال إلى نهاية العام، هذا هو... موسم دوري كرة القدم الأمريكية".

"إنه لا يسافر من أجل العمل، بل من أجل التشجيع في مباريات كرة القدم".

الفصل 66

بدأت الحديث: "نحن نتحدث الآن عن موجة القتل التي شرع فيها المجرم في خريف العام الماضي، والتي بدأت في الثامن من سبتمبر عام ٢٠١١ في مدينة أتلانتيك بيتش بولاية فلوريدا؛ حيث ارتكب أول جريمة قتل معروفة لدينا، ثم الجريمة الثانية التي ارتكبتها في التاسع من سبتمبر في مدينة ليك سايد بولاية فلوريدا. فما الذي يوجد بينهما؟ ملعب إيفر بانك فيلد، وهو الملعب الخاص بفريق جاكسونفيل جاجوارز، حيث كان فريق الجاجز يستضيف فريق تينيسي تايتانز في يوم الأحد من ذلك الأسبوع في الحادي عشر من سبتمبر". فنظرت إلى بوكس الذي أخبرني بأن أشير إلى فريق جاكسونفيل جاجوارز بـ"الجاجز"، ليعطي صورة جيدة عن مؤهلاتي أمام بقية الفريق الذي كان أغلبه من الذكور؛ حيث كنا نجتمع عن طريق الفيديو مع فريق المهمة بأكمله. سأل أحدهم: "من فاز بالمباراة؟" - دائماً ما يكون هناك شخص هزلي في كل مجموعة.

أجبتة بينما ألقى إيماءة أخرى من بوكس: "الجاجز، وكانت النتيجة ١٦-١٤، وفي الأسبوع التالي لذلك، ارتكب جريمتي قتل آخرين: في السادس عشر من سبتمبر في مدينة روك هيل بولاية كارولينا الجنوبية، والسابع عشر من سبتمبر في مدينة مونروي بالولاية ذاتها. وفي اليوم التالي، حضر مباراة بين فريقي كارولينا وجرين باي باكرز في ملعب بنك أمريكا في مدينة تشارلوت".

بوكس: "إنه يذهب إلى ملعب مختلف كل أسبوع، ولم نتوصل إلى نمط معين فيما يتعلق بالفرق التي يذهب لمشاهدة مبارياتها. فلا يبدو أنه يشجع فريق كولتس أو شيكاغو بيرز أو أي فريق عبر البلاد. ولم نستنتج أي نمط محدد من الأماكن التي اختارها؛ فلم نعرف أهو يتتبع الفرق الجيدة أم السيئة، أم يفضل المباريات متوازنة المستوى في مقابل المباريات غير المتوازنة - فليس هناك نمط محدد".

وأضفت: "باستثناء أنه يبعد عن منطقة الغرب الأوسط، لأنها المكان الذي يستقر فيه بعد انتهاء الموسم".

سأل أحدهم: "إنه لم يذهب إلى الإستاد ذاته مرتين، أليس كذلك؟".
 "لم يفعل ذلك في العام الماضي، وها هو موسم هذا العام قد بدأ لتوه. ففي الأسبوع الأول من دوري كرة القدم، قتل شخصين في ولاية نبراسكا، ثم رجلاً خارج مدينة دنفر، وهو ما يعني أنه كان سيذهب في يوم الأحد ذلك إلى مباراة فريقي برونكز وبيتسبورج ستيلرز في مدينة دنفر. وهذا الأسبوع - وهو الأسبوع الثاني من الموسم - ارتكب جريمتي قتل في مدينة نيوبريتن بولاية كونيتيكت ومدينة بروفيدنس بولاية رود آيلاند. وتصورنا أنه سيسرع بعد ذلك إلى المنزل في منطقة الغرب الأوسط، وأن المخرج الوحيد أمامه هو الطريق السريع آي-٩٥ الذي يتجه نحو الجنوب الغربي عبر ولاية كونيتيكت، لذلك وضعنا عليه الحواجز". واستخدمت المؤشر على طول الطريق آي-٩٥ المتجه نحو الاتجاه المعاكس، وأضفت: "لكنه لم يذهب إلى المنزل في ليلة السبت، إذ إنه سلك طريق آي-٩٥ شمالاً إلى ولاية ماساتشوستس. فقد ذهب إلى مباراة فريق نيو إنجلاند بيتريوتس اليوم في مدينة فوكسبورو".

لم أكن أتواصل بصرياً مع بوكس؛ فعندما كنت أنا وهو نعمل على الأمر، وأدركنا أننا حددنا مكان المجرم في الليلة الماضية، لكننا أغلقنا الطريق في الاتجاه الخاطئ، لم أستطع الحديث لمدة عشر دقائق.

كنا على مقربة منه، وكان بين أيدينا على ذلك الطريق اللعين الذي كان يسافر عليه، ومع ذلك هرب منا. ولذلك سيموت شخصان آخران تعذيباً في الأسبوع القادم.

انضم بوكس إلى الحديث، ولعله استشعر اليأس الذي انتابني وقال: "لكن القضية هي أنه لم يزر إستاد دنفر أو نيو إنجلاند العام الماضي، ما يعني أنه

سيواصل الذهاب إلى ملعب جديد - ملعب لم يزره مطلقاً - كل أسبوع حتى يزورها جميعاً".

قلت: "لذلك دعونا نفترض أن رحلته القادمة ستكون إلى استاد لم يزره العام الماضي. ودعونا نفترض كذلك أنه لن يكون ملعباً في منطقة الغرب الأوسط، لأنها منطقة استراحتة، وبالتالي سنستبعد فرق شيكاغوبيرز وانديانابوليس كولتس وسانت لويس رامز وكانساس سيتي تشيفز. خلاصة القول إن هناك أربعة ملاعب لا نعتقد أنه سيزورها، بالإضافة إلى الاثنين اللذين زارهما بالفعل".

سألت امرأة: "حسناً، ماذا يبقى لنا؟".

"هناك اثنان وثلاثون فريقاً في دوري كرة القدم في مقابل واحد وثلاثين ملعباً، إذ إن فريقي الجيتس وجاينتس يتشاركان الملعب ذاته، إذن فعدد الملاعب واحد وثلاثون ملعباً. وبما أنه زار سبعة عشر ملعباً في العام الماضي وملعبين آخرين في هذا العام، فسيصبح المجموع تسعة عشر ملعباً، ونظراً لأن فرق الغرب الأوسط خارج قائمته، فإننا سنتجاهلها أيضاً ليكون المجموع بذلك ثلاثة وعشرين ملعباً، ويصبح المتبقي لدينا يا رفاق ثمانية ملاعب، ثمانية ملاعب فحسب".

وأضاف بوكس: "ومن بين تلك الفرق الثمانية المتبقية، هناك خمسة فقط سيلعبون على أرضهم هذا الأسبوع، وهم أوكلاند رايدرز ودالاس كاوبويز وكليفلاند براون وواشنطن رد سكينز وسياتل سي هوكس".

قلت: "لكن فريق سي هوكس لديه مباراة مسائية في يوم الاثنين، لذلك نعتقد أننا نستطيع استبعاد هذا الفريق، ومن ثم فهو سيذهب في الأسبوع القادم إلى إحدى المناطق الأربع الأخرى".

سأل أحد العملاء: "إذن ماذا سنفعل؟ هل نصدر نشرة عامة للبحث عن رجل أبيض بعض الشيء دون ملامح مميزة قد يكون حدد موعداً مع أحدهم أو ظهر عند باب منزله دون سابق إنذار؟".

كان على حق، وكانت هذه هي المشكلة. فلم تكن لدينا صورة جيدة للرجل ولم نكن نعرف أيضاً أسلوبه بالطريقة المثلى. لقد حدد موعداً مع كورتس فالنتين في مدينة شامبين بولاية إلينوي، لكننا لم نكن نعرف الطريقة التي

وصل بها للآخرين. فماذا يمكن أن نقول للناس؟ ما نوع النشرة التي يمكن أن نصدرها؟

بوكس: "سنصدر نشرة لدى كل قوات إنفاذ القانون المحلية بتبئها إلى أي حريق منزلي ينشب، كما فعلنا في المنطقة الشمالية الشرقية هذا الأسبوع، وما إن يصلنا خبر جريمته الأولى في الأسبوع التالي، سنعلم مكانه، وأي المباريات سيحضرها".

كان علينا أن ننتظر حتى يرتكب جريمة ثانية؛ إنه لأمر محزن أن تفعل ذلك، لكنه الخيط الوحيد الذي نمسك به حتى الآن.

قال أحد العملاء: "وبمجرد أن نعرف ذلك، سنكون قادرين على قصر البحث عنه وسط ثمانين ألف شخص يشاهدون مباراة كرة قدم".

فأذعن بوكس وقال: "هذا حقيقي، علينا أن نفكر في كيفية التعامل مع هذا الزحام، لكننا واثقون بأنه سيكون داخل ملعب لكرة القدم لمدة ثلاث ساعات في الأحد المقبل بغض النظر عن الملعب الذي سيختاره، أما الآن فعلياً أن نقرر كيف سنستفيد من هذه الساعات الثلاث".

سيكون الأمر صعباً، لكن علينا أن نفكر في شيء، فخلال تلك الفترة الزمنية القصيرة، لا بد أن نقبض على ذلك المجرم ونتأكد من أنه لن يهرب.

الفصل 67

"جلسة جراهام"

التسجيل # ١٥

١٧ سبتمبر، ٢٠١٢

بدأت بمراقبتها الليلية، وقد راقبتها بأكثر الطرق الكاشفة؛ حيث لم تكن تعلم أنني أراقبها. وتسلمت إلى الكافتيريا؛ لا شك في أنكم تدركون جيداً الآن قدراتي على التحرك دون لفت الانتباه. عندما التقيت ماري في هذا المقهى في الأسبوع الماضي، كانت قد ذكرت أنها تعمل هنا، وكان من حسن حظي أنها ساقية، إذ كانت لا تتحرك كثيراً بينما كنت أترصد لها في الزاوية مراقباً إياها من بعيد. راقبتها حينما كان الزبائن قليلين عند ساعة العشاء بينما كنت أتناول الطعام، ثم فتحت اللاب توب بعد ذلك، متخذاً حجة لأبقى في المقهى فترة أطول، وراقبتها عندما عج المقهى بالزبائن لمشاهدة مباراة كرة القدم في مساء يوم الاثنين، وراقبتها حين كان الزبائن يتصرفون معها بوقاحة، وحين كانوا يلاطفونها، وراقبتها حينما كانت تخلو بنفسها للحظات، وعندما كانت تتعامل مع المدير والموظفين الآخرين.

ثم تسللت إلى الحمام حتى أتمكن من نزع قبعة البيسبول والنظارة وثني ياقة سترتي. وحين عاودت الظهور في المقهى، كان مكتظًا بالزبائن بما يكفي لأتوارى بينهم، فشقت طريقتي إلى المشرب كما لو أنني قد وصلت للتو. وسأعترف لكم بأنني شعرت حينها بتشنجات في معدتي، أجل يا أصدقائي، كنت متوترًا.

جلست على أحد المقاعد وانتظرت دوري مثل أي زبون آخر. وقررت أنني سأتظاهر بالتفاجؤ لرؤيتها، كأني وصلت للتو إلى المشرب كما فعلت في الأسبوع الماضي وأني لم أكن أتوقع رؤيتها هنا. هل أتظاهر بعدم تذكر اسمها؟ هل أستغرق لحظة في التفكير مطرقًا أصابعي وأقول: "ماري... صحيح؟".

وما إن اقتربت مني بابتسامة ناعمة ترسم على وجهها، نسيت كل ما كنت أخطط لفعله معها. كان شعرها الداكن مربوطًا للخلف بربطة فضفاضة، غير أن بعض الخصلات المجددة كانت منسدلة. وحينما ضاقت عينيها ظهرت تجاعيد في زواياهما، وكانت الإضاءة ضعيفة، فألقت على عينيها ظلًا أكثر قتامة مما أتذكر في المرة الأخيرة التي رأيتها فيها عن قرب.

قالت: "حسنًا يا جراهام، كنت بدأت أعتقد أنك ستتجاهلني طوال الليل". لقد فعلتها مرة أخرى! لقد فاجأتني قبل أن أقول لها حتى مرحبًا. في المرة الأخيرة، لاحظتني وأنا أسجل أفكارني بينما أتظاهر بالحديث في الهاتف، وكانت أول شخص على الإطلاق يكتشف حيلتي. وهذه المرة عرفت أنني أتوارى في مؤخرة المقهى، ليس بالضرورة متنكرًا ولكن بالتأكيد لأخفي ملامحي.

وتذكرت اسمي!

إذن كان من الواجب عليّ أن أتحدى بسرعة الخاطر، أليس كذلك؟ كان عليّ أن أجد شيئًا ذكيًا وطريقًا لأقوله لها، ربما أسخر من أخطائي، وهو أمر من شأنه أن يميزني؛ شيء تمتزج فيه السخرية المريرة بجمود لغة الجسد، وذلك لمجاراة نمط الحديث.

لكن قبل أن أفعل ذلك، كان فمي يتحرك والكلمات تخرج منه قائلًا: "توترت لرؤيتك".

عليّ أن أقريا أصدقائي بأنني شعرت حينئذ كما لو أن الوقت قد توقف. كنت أرغب في استعادة تلك الكلمات مرة أخرى من الهواء. كانت روحي عارية تمامًا في تلك اللحظة. قلت لنفسني في تلك اللحظات التي لم يقطع سكونها إلا أنفاس

قليلة معذبة من الأكسجين، ماذا فعلت؟ كيف أتراجع عما قلته؟ هل ستعتقد أنني مثير للشفقة؟

وهذا ما حدث بعد ذلك: لقد أشاحت بنظرها عني، بينما كانت زاويتا فمها ترتفعان عاليًا بعض الشيء، وأخذت تمسح الطاولة بقطعة قماش. وقالت لي: "حسنًا يا جراهام، هذا أجمل شيء يمكن أن تقوله لفتاة". هل تتذكرون كيف يبدو ذلك الشعور؟ تلك اللحظة عندما يكون هناك... تواصل بينك وبين شخص آخر؟ ذلك الخفقان في القلب عندما تدرك أنك قد عبرت هذا الجسر الصغير، وأن هناك على الأقل بعض المشاعر المتبادلة؟

لعلي أنا وماري... ولا أصدق أنني أقول ذلك، لكن لعلي أنا وماري... كلا، كلا، كلا، تريث يا جراهام، وتصرف بحذر وتقدم بخطوات حذرة.

لا نريد لأحد أن يتأذى.

(النهاية)

الفصل 68

أشحت بنظري عن شاشة الكمبيوتر، وعدت برأسي إلى الخلف حتى أهدق في الفراغ عبر السقف. كانت رؤيتي ضبابية بسبب الحرمان من النوم والتهديق في الكمبيوتر لساعات.

دق بوكس باب مكتبي: "لا يزال هناك بعض الطعام الصيني في غرفة الاجتماعات".

رددت دون اهتمام: "جيد".

أتى إليّ ووضع يده على كتفي وقال: "كفى يا إيمي، فإذا كنت قد قررت عدم النوم، فلا بد على الأقل أن تتناولي الطعام. ستصبحين جلدًا على عظم".
ومنذ متي وأنا لست كذلك. فمنذ أن كنت مراهقة وطولي يبلغ ١٧٩ سنتيمترًا وأزن ٥٤ كيلو جرامًا، أي أنني طويلة ونحيفة - كلمة رياضية قد تكون الكلمة اللطيفة التي أصف بها مظهري - ولست رشيقة مثل أختي، أو بالأحرى مثل أمي. دخلت صوفي تالاماس فجأة وقالت: "حسنًا، حصلنا على جميع الأسماء، بما في ذلك أسماء الفرق نفسها وحتى سماسرة التذاكر القانونيون، فقد حصلنا على أسماء كل من اشترى تذكرة لحضور أية مباراة من مباريات كرة القدم هذا الأسبوع في أوكلاند أو دالاس أو واشنطن أو كليفلاند".

استدرت بالمقعد وأومات إليها قائلة: "حسناً، إنك تعلمين ما عليك فعله".
فمحللو الأبحاث هم من سيتولون فحص كل تلك الأسماء والبحث عنها في
قواعد البيانات.

صوفي: "لا تبدين متحمسة كثيراً".

فعبست - بالفعل لم أكن متحمسة.

بوكس: "لا تعتقد إيمي أن القاتل موجود بين هذه الأسماء".

قلت: "إنه لن يشتري تذكرة بتلك الطريقة ليترك أحدهم يسجل اسمه في
قاعدة البيانات، بل أظن أنه سيدفع ثمنها نقدًا لينتزعها من السوق السوداء".
شعرت بقشعريرة من كلمة ينتزع، إذ ذكرتني بطريقة التعذيب التي يفضلها
المجرم. لقد سمعت الكلمة من بوكس، وهي كلمة يستخدمها مشجعو كرة القدم،
وحيثما ذكرها أمامي للمرة الأولى، تصورت شخصًا يمسك بسكين مسنن.
فركت صوفي في عينيها، إذ كانت قد عملت أيضًا لساعات طويلة، وكانت
هذه حالنا جميعًا، "هل تعتقدين أن الليلة ستكون موعد جريمته الأولى هذا
الأسبوع؟".

هززت كتفي، كنا في ليلة الأربعاء، وكلما ظهر لنا المجرم مبكرًا - محددتين
موقعه في مكان ما في البلدة - سرعان ما سنعرف الملعب الذي سيزوره،
ونسنعد بطريقة أكثر فاعلية. لذا كان من الغريب للغاية أن أقول إنني أمل أن
يقتل شخصًا ما في هذه الليلة، لكنها الحقيقة المؤسفة.

قال بوكس لي: "أذهب إلى المنزل"، كان يقصد بالمنزل غرفة الفندق،
"يمكنك العمل على اللاب توب من الفراش، إذ بات لدينا الآن يا إيمي أشخاص
كثير يبحثون عن هذا الرجل، ولم تعودي تبحثين عنه بمفردك".

ضغطت بإصبعي على المكتب وقلت: "سأبقى هنا، وإذا حددنا مكانه الليلة،
سأذهب معكم إلى هناك".

الفصل 69

"جلسة جراهام"

التسجيل #١٦

١٩ سبتمبر، ٢٠١٢

أريدكم أن تستمعوا لهذا، فهو الحديث الذي دار بيني وبين ماري عندما قابلتها في تلك الليلة بعد أن أنهت عملها.

أنا: هل لي أن أطرح عليك سؤالاً يا ماري؟ لماذا وافقت على أن تريني الليلة؟

ماري: أتقصد لماذا وافقت على أن أخرج معك بعدما لاحظت تجسسك عليّ بينما كنت تجلس في مؤخرة المقهى يوم الاثنين؟

أنا: ربما جال بذهني أنك وافقت بدافع الشفقة. لكن... أجل، لماذا؟ لعلني اعتقدت أنك ترينني غريب الأطوار.

ماري: (ضحك) إنني أراك بالفعل غريب الأطوار يا جراهام.

أنا: آه، يسعدني أننا اتفقنا في هذا الشأن.

ماري: لقد قلت لك من قبل إنه يروقتني هذا النوع من الرجال. فذلك بدا لي... لا أعرف، يبدو أن به نوعاً من الجاذبية والإطراء أيضاً؛ فأنا لم أعتد الأشخاص الذين يتوترون عند رؤيتي.

أنا: يصعب عليّ تصديق هذا.

ماري: أعتقد أن هناك طلباً كبيراً في سوق الحب على نادلة تبلغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً ومتعافية من إدمان الكحوليات؟

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صمت لمدة إحدى عشرة ثانية).

ماري: أوه، لقد أفزعتك؛ فهذه طريقة مريضة لإخبار الآخرين بهذه المعلومة. لكن أجل، كنت مدمنة، لكنني لم أتناولها منذ أكثر من عشر سنوات إذا كان في ذلك تخفيف عنك.

أنا: كلا، أعتقد... أعتقد أنا هذا استثنائي بعض الشيء.

ماري: أوه، لا أعرف بشأن ذلك، لكنني أواجه مخاوفي كأني شخص آخر.

أنا: لكنك تبينين حياة جديدة؛ فأنت تدرسين في الجامعة في أثناء النهار وتعملين في الليل. وأعتقد أن هذا مثير للإعجاب للغاية.

ماري: هذا لطف منك.

أنا: لما تعملين في كافتيريا يا ماري إذا كنت متعافية من الإدمان؟

ماري: أعلم، أعلم، لا يبدو الأمر منطقياً، أليس كذلك؟ غالباً لأنني أحتاج إلى وظيفة ليلية حتى أستطيع أن أذهب للدراسة في أثناء النهار، ومالك هذا المقهى أحد أصدقائي، وربما رافقتي أيضاً هذا التحدي.

أنا: التحدي؟

ماري: أجل، فالتحدي هو أن تعرف أن ما تدمنه سيكون أمامك وجهاً لوجه كل يوم لكنك ستقاوم مغربياته. فكل يوم أنظر إلى زجاجات الشراب تلك وأقول: "لا أحتاج إليك بعد الآن، لقد هزمتك". فالأمر مشجع.

أنا: مواجهة المخاوف.

ماري: أجل، بالضبط؛ أليست لديك مخاوف يا جراهام؟

وجدت أن مجرى الحديث بيننا كان... لافتاً للنظر. كنت مندهشاً من الطريقة التي أخرجت بها بسهولة ما في مكنون صدرها والطريقة التي نظرت بها في عيني، وقالت، هذه أنا. فالناس لا يفعلون ذلك، ولا يظهرون أنفسهم

على حقيقتها، بل يختبئون خلف طبقات وطبقات من خداع الذات والخداع الخارجي، مرتدين الأقتعة ليكذبوا ويختبئوا خلفها.

ما الذي كان من المفترض أن أقوله لها في المقابل؟ كنت أريد حقاً أن أرد بالمثل. كانت تلك رغبتى بالفعل؛ أعني أنها سردت التفاصيل المشينة لحياتها بالسهولة ذاتها التي تأخذ بها أنفاسها، وماذا أفعل في المقابل؟ هل لي أن أقول إن لدي بعض المخاوف يا ماري؟ كلا، سأغير الموضوع، هذا ما يجب أن أفعله. بدا أنها انتبهت لذلك، إذ توقفت عن تلك الاعترافات، ووجدت نفسي فجأة أرغب في التحدث عن هذا الطقس السيئ الذي نعيشه. كان الأمر واضحاً، أعتقد أنها تعرف، لا أقصد أنها تعرف حقيقتي - فلا يمكنها ذلك على الإطلاق - لكنها تشعر بأن بي شيئاً. أنا أعلم ذلك.

أوه، كنت أتمنى لو رأيتم تلك الابتسامة التي ترسم على شفيتها فتتجمع أنفها وتضيق عيناها، إنها إحدى أكثر الابتسامات الصادقة والحقيقية التي رأيتها على الإطلاق. فهي سرعان ما تثبت السعادة في نفسك وتخرج الأفكار المسمومة من عقلك.

ناهيكم عن العطر الذي يفوح منها، فتشم فيه أثراً للرائحة الفراولة التي أعتقد أنها ترجع لسائل الاستحمام الذي تستخدمه. فحين اشتممته خطرت على ذهني كلمة منعشة، وليست هناك حقاً كلمة أفضل من ذلك لوصف ماري. انتهت الليلة بعد أن صحبتها حتى باب منزلها. لا أذكر أنني توترت بهذه الطريقة من قبل. كنت أضع يدي في جيبتي وأخفض نظري مبدلاً بين قدمي. لا بد أنني كنت أبدو كتلميذ غريب الأطوار في أول موعد له.

لست متأكداً كيف انتقلت من التفكير إلى التنفيذ، ولكن بطريقة ما استجمعت شجاعتني وملت نحوها لأجدها تلقاني في منتصف الطريق. كانت لحظة ناعمة للغاية وبطيئة وحلوة، وسرت شحنة كهربائية في جميع أجزاء جسمي، وشعرت بانعدام الوزن. وما زلت أشعر بانعدام الوزن!

(النهاية)

الفصل 70

"اللعنة".

دفعت نفسي بعيداً عن المكتب، واستدرت بمقعدي حتى منتصف الغرفة، ثم وقفت على قدمي لأشعر بعدها ببعض الدوار، وأجد الجدران تنقلب رأساً على عقب، والأرضية تصعد نحوي. فقبضت على مقعدي لأستعيد توازني.

قلت مكررة: "اللعنة"، لأنها التعبير المناسب لتلك اللحظة.

أعلم أنني على وشك الانهيار، فقد قضيت ساعات طويلة أمام الكمبيوتر دون طعام؛ ولن أقدر على تحمل هذا لفترة أطول.

وما الذي يجب عليّ أن أجلس من أجله؟ إنها أنا قد تسمرت من قبل في مساء الأربعاء، والآن في مساء الخميس، أمام جهاز الكمبيوتر والهاتف، منتظرة طوال الليل مكالمة من أحد المواقع التي نتوقع أن يذهب إليها القاتل - أوكلاند أو دالاس أو واشنطن أو كليفلاند - أو أي بلاغ عن أي حريق سكني يمكننا أن نربط بينه وبين القاتل.

وحتى الآن لم أتلق شيئاً. تلقيت بالطبع مكالمات قليلة تبلفنا بحريق شب في أحد منازل مدينة ساوساليتو، ومطعم في كليفلاند اندلعت فيه النيران - لعله حريق افتعله صاحب أحد المطاعم المفلسين الذين يتطلعون إلى الحصول على أموال التأمين - لكن لم يكن هناك شيء له صلة بالمجرم.

إنها الساعة الخامسة من صبيحة يوم الجمعة، ولم أحصل إلا على غفوة منذ ليلة الثلاثاء. وأنا في حاجة إلى سويعات من النوم حتى أستطيع أن أوصل الاستيقاظ الليلة مرة أخرى، إذ من المؤكد أنه سيرتكب جريمته الأولى. إنها حسبة بسيطة: إذا كان سيقتل شخصين هذا الأسبوع قبل يوم الأحد، فسيكون عليه أن يرتكب الجريمة الأولى في مساء الجمعة.

هذا رائع، فأنا على يقين من أن الليلة ستكون الليلة الموعودة، ومع ذلك سأغط في النوم على مكتبي.

كنت منهكة، وكانت رقبتى وظهري قد وصلا إلى حالة تخشب الموتى، وكانت أصابعي متعبة من الكتابة السريعة طوال الليل على لوحة المفاتيح، ورؤيتي شديدة الضبابية. ففادرت مبنى المباحث الفيدرالية وعدت بالسيارة المستأجرة إلى الفندق قبل أن أنزل منها وأغلق الباب بعنف. أشعرتني هواء الصباح المنعش لفصل الخريف بلحظة من الراحة (الهواء الطلق - أجل، أتذكر أن هناك ما يسمى الهواء الطلق والهواء النقي).

شعرت بشيء من الألم خلف عيني، إذ كانت هناك دوائر مظلمة تحجب رؤيتي، كما لو كنت أنظر عبر نفق. أدرك أن عليّ الذهاب إلى الفراش؛ ربما فقط بضع ساعات...

سمعت امرأة تصيح قائلة: "هذه هي"، كانت ردة فعلي الزمنية بطيئة، لكنني أشعر بالتوتر، واستجابتي الفورية - للخطر - استغرقت وقتاً أطول من الطبيعي لتتبدد قبل أن أدرك أن الرجل والمرأة اللذين يهرعان نحوي لا يأتیان لإيذائي. فلم يحدث ضرر جسدي، على أية حال.

كانت المرأة تحمل مسجلاً في يدها بينما يحمل الرجل كاميرا. قالت المراسلة، التي كانت شابة أمريكية ذات أصول أفريقية: "مرحباً أيتها العميلة دوكري، أنا ديان بيل من جريدة تريبون".

إنه شيء جديد عليّ، فتلك هي المرة الأولى التي تواجهني فيها مراسلة بهذا الشكل. كانت الكلمات تقفز في عقلي - لا تعليق وأنا لست عميلة - ولكن بدلاً من ذلك قلت فحسب: "أجل؟".

"إنني أفهم أيتها العميلة دوكري أنك تطاردين سفاحاً عبر البلاد، وهو الرجل الذي قتل على الأرجح عشرات الأشخاص وحرق الأدلة ليخفي جرائمه".

"أنا... أنا..."، هزرت رأسي ورفعت يدي أمام الكاميرا، وبدأت أسير نحو الفندق قائلة: "لا أستطيع التعليق على تحقيق لا يزال العمل عليه جارياً"، قلت ذلك بصورة آليّة، فهكذا سمعت الآخرين يقولون، بمن في ذلك السياسيون المدانون وممثلو الادعاء ذوو الوجوه الجامدة. لا تعليق. لا أستطيع التعليق على تحقيق جارٍ.

فقلت: "إذن هناك تحقيق، رائع، شكراً لك".

هزرت رأسي بعنف، وهو ما لم يكن جيداً لعدم الاتزان الذي أعانيه، وواصلت السير أستحث خطاي وأدرت كتفي لأحمي نفسي منها بينما كنت أقترّب من مدخل الفندق. فإذا لم أكن حذرة، سأسقط على الكاميرا.

قالت: "كورتس فالنتين، جويل سوانسون؟"

ووصلت إلى باب الفندق ودفعته.

"أختك مارتا؟"

التفت لها لكن لم أقل شيئاً. فأومأت لي بيدها في إشارة لتهدئتي واقتربت مني قائلة: "إنني أعرف كل شيء أيتها العميلة، فأختك كانت من بين الضحايا ولذلك قدت حملة عنيفة لإثبات تلك الجرائم إذ كنت قد اكتشفت القاتل بينما لم يكن أحد يصدقك".

كان عقلي مشغولاً بما يجب علي فعله، فلم أكن أعلم كيف أتصرف، ولم أكن أعرف حتى البروتوكول. يدربّ الوكلاء الخاصون على التعامل مع الصحافة، أما محللو الأبحاث فلا يرغب أحد في التحدث إليهم. فتدبرت الأمر وقلت لها: "من... أخبرك بذلك؟"

فرمقتني بنظرة استياء؛ فالصحفيون لا يكشفون عن مصادرهم، فالعلاقة بينهم وبين الآخرين غير تبادلية.

قالت: "خذي بطاقتي"، ولسبب ما أخذتها، وأضافت: "هذه قصة مدهشة يا إيمي، ألا تريدن أن نخبرينا بدورك فيها؟"

"كلا"، ودخلت الفندق.

الفصل 71

مرر بوكس يده على وجهه المنهك وعينيه الحمراءوين ذواتي النظرات الزائفة. كان قد حصل على قدر من النوم أكثر مني لكنه لم يكن كافيًا. فطلاب الجامعة الذين يسهرون لاستذكار دروسهم من أجل الاختبارات النهائية يحصلون على قسط من النوم أكثر مني.

قال لي بوكس بلطف كما لو أن أبا يتحدث إلى طفله: "نحن لا نعلق مطلقًا على وجود تحقيق من عدمه".

ففركت عيني بأصابعي وقلت: "لم أقل أي شيء".

"لقد أكدت أن هناك تحقيقًا".

"إنها تعرف أسماء الضحايا بمن في ذلك مارتا، وتعلم بالفعل أن هناك تحقيقًا جاريًا".

التقت عينا بوكس بعيني، لكنه اكتفى بتلك النظرة؛ فقد أثبت وجهة نظره. فبغض النظر عن كم المعلومات التي تعرفها تلك المراسلة بالفعل، فإنها لم تحصل على تأكيد من المباحث الفيدرالية بأن هناك تحقيقًا حتى جئت أنا لأخبرها.

رفعت يدي في استسلام وقلت: "لقد أفسدت الأمر".

لم يجادلني بوكس في ذلك.

فسألت: "كيف عرفت القصة؟"، لكنه كان سؤالاً بلاغياً لا أنتظر إجابة عنه، إذ لن تبلغنا المراسلة أبداً بمصادرها، وهذا لا يهم على أية حال. هز بوكس رأسه وقال: "أظن أنها عرفت من أحد الشرطيين المحليين الذين يحققون في قضية جويل سوانسون أو كورتس فالتين، فهؤلاء الأشخاص يبحثون دائماً عن الحصول على خدمات في مقابل المعلومات التي يعطونها للصحفيين، فهم يقولون لهم "هذه هي المعلومات، وتذكري أن تجليني أبداً جيداً في المرة القادمة حين تكون هناك قصة تتضمن إحدى قضاياي"، أشياء من هذا القبيل، أو لعلها حصلت على المعلومات من إحدى عائلات الضحايا. إنني أندهرش بصراحة من أن القصة استغرقت تلك المدة الطويلة قبل أن تتسرب للصحافة".

أقيت أحد الأقلام وسط الغرفة وقلت: "حسناً، لقد حدث ذلك في التوقيت الخاطيء، فقد كان يعتقد أنه يفلت بفعلته وأنه سيكمل ارتكاب جرائمه - أياً كان المكان الذي سيكون فيه هذا الأسبوع - بقتل هؤلاء الأشخاص وإخفاء معالم جريمته بدهاء، ومعتقداً أنه يخدع الجميع، وأنه سيذهب إلى استاد كرة القدم هذا الأحد، ومن ثم كنا سنكتشف مكانه، أما الآن؟ أما الآن فسيعرف أننا نطارده".

رن هاتف بوكس، فنظر إليّ بابتسامة اعتذار وقال: "إنه ديك". فضغطت على زر مكبر الصوت وأجاب.

قائلاً: "أنا بوكس ومعني إيمي".

"آه... حسناً يا إيمي! بينما نحن على وشك أن نتتبع أكبر خيط أمسكنا به في هذه القضية، تأتينا أنت لتخبري صحيفة شيكاغو تريبيون بكل شيء عن التحقيق الذي نجريه".

أدار بوكس عينيه، وكان ذلك في الأغلب من أجلي. لعل المدعو ديك يستمتع مرة أخرى بالنيل مني بأن يتصل بي ليجعلني أعترف بفشلي في التعامل مع أحد المواقف، مهما كان يبالغ فيه.

واستطرد: "أنهيت للتو مكالمتي مع رئيس التحرير الذي لم يكن متعاوناً معي في الإفصاح عما يعرفه من معلومات. الجريدة تملك بعض أسماء الضحايا، وتعلم أن إيمي لها صلة شخصية بهذا التحقيق..."

تبادلنا أنا وبوكس النظرات. كانت ضربة جيدة من ديك، فأنا على يقين من أنه لا يتمنى شيئاً أكثر من فصلي من العمل جزاءً لفعلي تلك. فلو لم أكن أمسك عليه هذا التسجيل للحوار الذي دار بيننا في مكتبه، لكان فعل ذلك.

"... ويبدو أن لديها أحد تقارير الطب الشرعي، كما أنها تعلم أن هناك أماكن عديدة عبر البلاد يقترف فيها المجرم جرائمه، لكن لا يبدو أن لديها تحديداً دقيقاً لتلك الأماكن. ولم يشر رئيس التحرير إلى آخر المعلومات التي توصلنا إليها، كالفديو الذي يظهر فيه القاتل في الكافتيريا، أو أي ربط بين جرائمه ومباريات كرة القدم".

فهزرت رأسي وقلت: "لا يهم، فالجريدة تعرف أن حوادث كورنيس فالنتين وجويل سوانسون وأختي مصنفة على أنها جرائم قتل وليست حرائق عرضية. وتلك هي المعضلة؛ فالمجرم لا يريد لنا أن نبحث عن قاتل، ناهيك عن أننا نبحث عنه. فما إن يرى هذه المقالة، سيعرف أننا كشفناه، ولن تكون هناك جدوى من ملاحظته".

فقال ديك: "إذن، ستشكريني على أنني طلبت من رئيس التحرير تأجيل نشر القصة حتى يوم الاثنين".

فقال بوكس: "أوه، هذا رائع، هذا رائع"، ومد يده ليشير لي بأن أهدأ وأتعامل بلطف، ثم استطرد: "إذن لا يزال أمامنا أمل".

سألت: "ماذا كان عليك أن تعطيه؟".

"ستكون الجريدة أول من تعلم بتفاصيل القضية عندما نقبض على المجرم".

هز بوكس كتفيه في لا مبالاة.

ديك: "إذن أمامكم عطلة نهاية الأسبوع هذه، وهي الفرصة الوحيدة لتحديد هوية القاتل في الملعب الذي سيزوره، ولتسديا لنا معروفاً، وحاولاً ألا تفسداً أي شيء آخر من الآن وحتى الإمساك بذلك المجرم".

الفصل 72

"جلسة جراهام"

التسجيل #١٧

٢٢ سبتمبر، ٢٠١٢

ماري، ماري، أنت على العكس تمامًا من اسمك
كيف ينمو حبي لك؟
بابتساماتك الصغيرة الحلوة وحيلك الأنثوية،
وشعرك المربوط للخلف بالطوق.

أعتقد أننا يمكن أن نتفق جميعًا على أن تلك الأغنية تحتاج إلى القليل من العمل، إنها كلمات الإوزة الأم وليس أنا.

لكنني في حالة مزاجية جيدة. أوه، أنصتوا لي، فقد بدوت كشخصية يودا في فيلم حرب النجوم. لكن هل أنا يودا القاضي في المحكمة العليا، أم يودا عضو اتحاد النجارين؟ هناك يودا واحد فحسب! فلا أحتاج إلى تحديد هويته. "أنا سخي!"

يا إلهي، أشعر بالسخف؛ قادتني حماستي قبل موعد الليلة إلى تغيير ملابسي وإصلاح شعري وتنظيف أسناني مرتين، حتى إنني مارست بعض تمارين الضغط حتى إذا لامست ذراعي أو وضعت يدها عليّ، تشعر بقوة العضلات. هل هذا طبيعي؟ هل من الطبيعي أن أعنتي بمظهري هكذا؟ لماذا أهتم؟ إذا كان هذا غير طبيعي، فأنا أشعر بأنني غير طبيعي!

حسنًا، سأخذ نفسًا عميقًا، فأنا لا أريد أن أخيفها ولا أرغب في أن تنفر مني بتلهفي الشديد عليها. ربما أكون متسرعًا، أليس كذلك؟ أقصد أنها ربما تستمتع بصحبتني، ولكنها ليست على استعداد لإلزام نفسها بعلاقة جادة.

يا إلهي، انظروا إلى الفوضى التي تغرق فيها أدواتي؛ فالملقط متسخ، والإزميل سيحتاج إلى الاستبدال قريبًا. أعتقد أنني سأشتري واحدًا جديدًا بقطر عشرة ملليمترات بدلًا من ثمانية؛ ستزداد صعوبة شحذه وربما تنظيفه، ولكنه سيكون أكثر دقة والأمر كله يتعلق بالدقة. وهناك مكاحت للعظام أكثر تطورًا من هذا. ماذا يحدث لي؟ كنت أنظف الأدوات بمجرد أن أعود إلى المنزل. هذا ما تفعلينه بي يا ماري؛ إنك تشتتين انتباهي.

لكنني لا أمانع ذلك!

هل أنا مستعد لإقامة علاقة عاطفية؟ أوه، إنني أفعل ذلك مرة أخرى وأتسرع في الأمر. إنها فتاة لطيفة يا جراهام وجميلة للغاية. ربما يكون هناك شيء على المدى الطويل، لكنك يجب ألا تتخذ ذلك القرار الآن، أو الليلة، بل تريث، أليس ذلك ما يقوله الناس - تريث؟

حسنًا، أجل، تلك هي المشكلة، فإذا بدوت شديد التلهف عليها، ستنسحب؛ فالحل هو أن أتصرف على طبيعتي وأسترخي وأدع الأمور تسير على طبيعتها.

أوه، إليكم الأخبار السيئة عن ماري: إنها تعمل من الاثنين إلى الأربعاء، وهو ما يعني أن إجازتها تبدأ من الخميس حتى الأحد. يا له من حظ سيئ! تلك هي الليالي التي أقوم فيها برحلاتي الصغيرة؛ فالليالي التي أسافر فيها هي تلك الليالي التي لا يكون لديها عمل بها! أهذه علامة على أنه لا يقدر لنا أن نكون معًا؟

حسنًا، هذا ما لا أستطيع أن أفعله، فلننح هذا الأمر جانبًا الآن ونستمع بقضاء ليلة لطيفة من ليالي السبت، ولأتعامل مع الأمر... بتريث.

يا إلهي، إنني أتحدث بعبارات مبتذلة، لكني أظن أنها كذلك لأنها حقيقية. فلا تريح وأسترخ وأدع العلاقة تتخمر كعصير العنب. لكن لا تبالغ في التفكير في الأمر بالاتجاه الآخر، ولا تقض الكثير من الوقت في محاولة أن تبدو غير مهتم - فيمنحها هذا مؤشراً خاطئاً. لا تجتهد كثيراً، بل كن نفسك.

أكون نفسي؟ كيف لي أن أكون نفسي؟ سأجن، فلاذهب فقط وأستمتع بوقتي وأتوقف عن التوقعات. جيد، أجل، هذه هي التذكرة. فلاذهب وأستمتع بوقتي ولا أفكر إلا في الليلة. ولا تنس تغيير شفرة المبيض. تحسباً لأي طارئ.

(النهاية)

الفصل 73

كنت أشعر بثقل شديد في عيني، حتى إنني لم أكن أستطيع فتحهما، فنظرت إلى الساعة في مكثي فوجدتها قد دقت الرابعة؛ إنها الرابعة صباحاً. لقد مرت ليلة السبت دون وقوع أية حادثة.

أخذت الدباسة من فوق الطاولة، وألقيتها على الساعة، لكنها لم تصبها، بل صنعت انبعاثاً في الحائط، وتساقطت طبقات من الطلاء على السجادة. مرت أربع ليالٍ متتالية - من ليلة الأربعاء حتى ليلة السبت - ولم أجن شيئاً إلا شحوباً أسفل عيني ورؤية ضبابية.

سمع بوكس ثورتي، فدخل المكتب مذعوراً وحذراً من أن تصيبه أداة من أدوات المكتب المتطايرة في الهواء.

صحت: "لقد... لقد أخذ هذا الأسبوع إجازة، لقد قرر ذلك وقال "أوه، ليس هذا الأسبوع". إنه لا يفعل ذلك؛ لم يفعل ذلك أبداً، إنه كالإنسان الآلي. فهذا هو الأسبوع الذي كنا نستعد له فيه، وكانت الفرصة الأخيرة أمامنا قبل أن تنشر الصحف القصة، وتجعله يأخذ حذره، وبعد كل ذلك يأتي هو ليأخذ إجازة لعينة".

مال بوكس على الباب وقال: "إنني لا أستوعب الأمر، لكننا سوف نتعامل معه، فليس لدينا خيار..."

"أوه، هلا توقفت عن هدوءك اللعين هذا؟ كان من الممكن أن نصنع له كميناً هذا الأسبوع يا بوكس، كان بين أيدينا؛ أما الآن فسيعرف أننا نلاحقه".
 "وربما لا يحدث ذلك يا إيمي، فنحن لا نعرف ما الذي سيكتب في مقالة جريدة الترييون. لنبذل فحسب قصارى جهدنا لنسيطر على ما يمكن أن نسيطر عليه".

هزرت رأسي، إذ كانت الرؤية أمامي غير واضحة. وعندما عادت عيني إلى تركيزهما، نظرت إلى المقال المنشور في جريدة بيوريا تايمز الخاصة بالمدينة التي كانت تعيش فيها مارتا، وهو المقال الذي كتب الشهر الماضي عن مدى إلحاحي على قسم شرطة بيوريا بأن يتعامل مع وفاة مارتا على أنها جريمة قتل، وليس حريقاً عرضياً. وقلت الصحيفة عن قائد الشرطة قوله: "إننا نتفهم انزعاج السيدة دوكري، ولكن لا يمكننا تسخير إمكاناتنا استناداً إلى أهواء امرأة حزينة على موت شقيقتها. يتفق محققو الشرطة ورئيس الإطفاء وأختصاصيو الطب الشرعي على أن مارتا دوكري ماتت بسبب استنشاق الدخان من حريق عرضي".

كان بوكس يتتبع نظري، وقرأ المقال المثبت على اللوحة المعلقة على الحائط المجاور لجهاز الكمبيوتر، بدبوس أزرق، وقال: "انظري إلى مدى الإنجاز الذي حققته. ما تاريخ هذه المقالة... السابع من شهر أغسطس لهذا العام؟ جعلتك تلك المقالة تبدين شخصية غير متزنة تصدق وجود كائنات خيالية، أما الآن فانظري إلى ما وصلت إليه يا إيمي؛ فبعد مرور ستة أسابيع، لم تتجحي فحسب في إقناع المباحث الفيدرالية بأنك كنت محقة فيما تقولينه، بل جعلتها تطارده مطاردة مكثفة - وها نحن قد أوشكنا على الإمساك به. انظري كم بتنا قريبين من ذلك يا إيمي. فقبل أن يفاجئنا بهذا التصرف، كنا مستعدين لرمي شباكنا على أحد ملاعب كرة القدم والقبض على هذا الوغد اليوم. ستكون لدينا فرصة أخرى، أعدك بذلك. فقد كشفنا طريقة تفكيره، ومن ثم نعرف تحركاته التالية. فلا يهم أنه أخذ هذا الأسبوع إجازة، انظري إليّ، إنني أتحدث إليك".

وفجأة وجدته بجواري مباشرة يحوم حولي دون أن ألحظ ذلك؛ ربما لأنني لم أعتبر يوماً احتلاله لمساحتي الشخصية احتلالاً، بل كانت مساحته أيضاً. كان الزمن حينها أبسط؛ كان أسهل بينما كنت معه مما بات عليه الآن وأنا بدونه. كنت أشعر بأن الأمر طبيعي وعادي، كأننا قطع لغز متعرجة لا معنى لكل منها

بمفردها، لكنها تكمل بعضها لتصنع معاً صورة كاملة. هذا ما يفترض أن تكون عليه الحياة للأشخاص العاديين، أليس كذلك؟ فعندما تجد القطعة الأخرى التي تتماشى معك وتصبح مكملة لك، تعمل على دمج القطع ذات الفتوات في القطع ذات الفراغات، حتى لو لم يحدث هذا الدمج بمثالية وسلاسة، وحتى إذا تطلب الأمر القليل من الضبط. فأنت لا تنشُد الكمال، بل تعمل على إنجاح الأمر وتثمن الأجزاء المتماشية مع بعضها بدلاً من الهوس بالزوايا الصغيرة غير المتماشية.

نظرت في عينيه التي رأيت فيهما الشوق من قبل - لقد استعدت ذلك الشوق - لكنني أعرف أنني الآن حزينة للغاية حتى إنني لا أستطيع التجاوب معه بردة فعل ذات معنى، وكان بوكس يعرف ذلك أيضاً. فكما قلت من قبل، إنه يعرفني أكثر من نفسي.

قال: "سنتقبض عليه، وسنفعل ذلك في أقرب وقت".

الفصل 74

"جلسة جراهام"

التسجيل # ١٨

٢٣ سبتمبر، ٢٠١٢

لا أعرف ما عليّ فعله، فأنا في ورطة كبيرة؛ أكبر مما كنت أتخيل. لم أكن أعرف ما يتوجب عليّ قوله عندما قالت لي ذلك. فقد جلست فحسب ثم...
أوه، كلامي غير منطقي. لقد ذهبنا في نزهة بعد العشاء قبل أن نعود إلى منزلها الذي كان يحوي مدفأة قديمة، ورغم أن الجو لم يكن باردًا، فإنها رأت أن الأجواء ستصبح رومانسية بإيقادها، لذا أوقدناها.
وبعد قليل، كان للأجواء الرومانسية مفعول السحر. كان ذلك لطيفًا ودافئًا ورفيقًا، إنني لا أتحدث عن العلاقة، بل عن شيء أعمق من ذلك؛ إنني أتحدث عن الحميمية التي تكمن في المداعبة والملاطفة والنظر في أعين بعضنا البعض بينما نشعر بأنفسنا على وجهينا. فقد كنا نعيش لحظة لم أعشها من قبل مع أي شخص على الإطلاق. وكان بإمكانني البقاء هناك للأبد.
"إنك شخصية مميزة لدي يا ماري". لقد خرجت الكلمات من فمي تلقائيًا دون أن أخطط لها، وهذا لم يكن مألوفًا لي؛ فمنذ متى وأنا أتهور في تصرفاتي؟

إنني أخطط لكل شيء أفعله، وأنتم تعرفون ذلك عني، لكنني لم أكن كذلك معها. فقد أردت أن أقول ذلك وشعرت بالارتياح حينما قلته.

فقالت لي: "أتعني ما تقوله؟" فقلت لها إنني أعنيه بالطبع، لكنني وجدتھا بعد ذلك تهدأ وشعرت بانسحابها قليلاً. ولم يكن ذلك من طبيعتها، فهي كالكتاب المفتوح إذا كنتم تتذكرون. لكن ها هي تتوقع على نفسها وتراجع. وكانت المرة الأولى التي أرى الضعف في عينيها. فقد ذهبت بها إلى مكان لم تشعر فيه بالارتياح. لم أكن أعرف ما عليّ فعله، وشعرت بأنني بطريقة ما ارتكبت خطأ كبيراً. فتساءلت ما إذا كان ينبغي عليّ أن أعتذر لها، لكن ذلك لم يكن منطقياً. هل أمن المنطقي الاعتذار لشخص لأنك قلت له إنه مميز؟ دارت في رأسي بعدها كل الأفكار، سيظهر هذا قلة خبرتك يا جراهام، أو سيثبت هذا أنك لا تصلح لعلاقة كهذه، لكن بدلاً من أن أبقى متجمداً أو أعود إلى شخصيتي الطبيعية التي تخطط لكل شيء، وثقت بعواظي وتحدثت من قلبي وقلت... أعتقد أن ما قلته كان: "هل قلت شيئاً أزعجك؟".

فانهمرت الدموع من عينيها واعتقدت في البداية أنها ستحاول إنهاء الأمر بطريقة ما، لكن كان ذلك ما قالتة هامة؛ إذ كان وجهانا يكادان يلتصقان ببعضهما: "إذا كنت تعني ذلك، فإنني سأسلم لك حياتي بأكلمها؛ فأنا مستعدة لذلك. لكن إذا لم تكن ستفعل المثل؛ وإذا كنت لا تستطيع فعل ذلك، فلا بأس. لكنني مستعدة لفعل ذلك إن كنت تريده".

سأسلم لك نفسي، هذا ما قالتة!

لم أكن أعرف ما عليّ أن أقوله، فضمامتها، ولعلها تعاملت مع ذلك على أنه إجابة، أو أنها ربما ستعطيني وقتاً لأقرر. لكنني لم أكن بحاجة لوقت، إنني أريد أن أكون لك يا ماري أكثر مما تخيلين. أرغب في أن أضع نفسي بين يديك لتفتحي كل الأبواب الموصدة بداخلي ويتكشف لك ما في مكنون صدري. أريدك أن تكوني الشخص الوحيد في هذا العالم الذي يعرف عني كل شيء. ألا ترين؟ هذا ما أردته دوماً، وهذا كل ما رغبت فيه.

لكن كيف؟ كيف لي أن أفعل ذلك؟ كيف لي أن أتوقع منك أن تتقبليني؟ لكنني أعتقد... أعتقد أنها يمكن أن تكون الشخص الذي يتقبلني. إنها تعرف ما يبدو عليه الأمر فيما يتعلق بتخطي الماضي والمضي قدماً في الحياة في ثوب شخص جديد يرفض النظر إلى الوراء. من المؤكد أن تاريخي أكثر تعقيداً بعض

الشيء من نوبة إدمان، لكن في النهاية، أليس هذا هو الشيء نفسه: التطلع إلى
 الأمام وترك الماضي وراءك حيث ينتمي والتحول لشخص أفضل؟
 هذا ما أريده يا ماري؛ إنني أريد الماضي قدمًا معك. أستطيع أن أفعل ذلك؛
 أقصد أنني أظن أنني أستطيع فعل ذلك. فأنا أرغب في التجربة، أليس هذا ما
 يهم - أليس هذا ما أريد تجربته؟

لكن عليّ أن أكون قادرًا على الوثوق بك يا ماري.

هل بإمكانني الوثوق بك يا ماري؟

(النهاية)

الفصل 75

أخذت نفسًا طويلاً قبل أن أنتقل إلى الصفحة الأمامية لنسخة الاثنين المطبوعة من جريدة شيكاغو تريبيون.

المباحث الفيدرالية: التحقيق في سلسلة حرائق يعتقد أن فاعلها
سفاح "مجرم عبقرى" يشعل موجة من الحرائق عبر البلاد تشمل مدينتي
شامبين وليسل

شيكاغو - قالت مصادر مقربة من التحقيق إن عملاء فيدراليين في شيكاغو وأماكن أخرى يحققون في سلسلة من الحرائق السكنية، التي كان يُعتقد في السابق أنها عرضية، باعتبارها متعمدة على يد "مجرم عبقرى" كان قد خدع بشكل متكرر المحققين وخبراء الطب الشرعي في جميع أنحاء البلاد على مدار العام الماضي. وتشمل الحرائق، التي يعاد تصنيفها الآن على أنها جرائم قتل، حالتى الوفاة الأخيرتين لكورتس فالنتين، ٣٩ عامًا، من مدينة شامبين وجويل سوانسن، ٢٢ عامًا، من ضاحية ليسل. ولم تعلق السلطات على عدد الوفيات التي نجمت عن تلك الحرائق، لكنها قدرت عددها "بالعشرات، إن لم تكن بالمئات" في جميع أنحاء البلاد. وقال أحد المصادر: "إنه يجعل الحرائق تبدو عرضية، والوفيات تبدو طبيعية". ووفقًا للمصادر فإن إجراءات تشريعية وتدابير شرطية جديدة كشفت عن عمليات

قتل وتعذيب وحشية كان من العسير اكتشافها بسبب الاحتراق الشديد للجثث جراء النيران. وقال أحد المحققين: "معظم الأدلة احترقت في النيران".

وورد ذكرى في الفقرة السادسة التي تشير إلي بوصفي "محللة في المباحث الفيدرالية"، لقيت أختها مارتا مصرعها في حريق سكني خارج مدينة فينيكس بولاية أريزونا في يناير الماضي، وكانت تحاول الضغط من أجل إجراء تحقيق فيدرالي في عدة حرائق مشابهة على ما يبدو. وقال أحد المصادر: "كان إصرار إيمي هو العامل المساعد في كشف الملابس". وكانت الصورة الوحيدة التي ترافق المقال - حيث يكتمل في الصفحة الخامسة - هي صورة لي وأنا أحاول الهروب من المراسلة أمام الفندق.

لكن إليكم الفقرة الأكثر إثارة للاهتمام:

وتقول مصادر مطلعة على التحقيق إن الأدلة الجنائية والعمل الميداني سمحا للمحققين بتحديد مكان الجاني بشكل عام، على الرغم من أن تلك المعلومات لم يكشف عنها للجريدة، حيث قال المصدر: "نحن نعرف بشكل عام أين يعيش، إنها مسألة وقت فحسب".

من أين حصلوا على تلك المعلومة؟ نحن نعرف بشكل عام أين يعيش؟ أجل، إذا كانوا يعنون بشكل عام مكاناً ما في منطقة الغرب الأوسط. وضع ديني ساسريده برفق على كتفي وقال: "حسناً، من الناحية الإيجابية فقد أصبحت مشهورة"، وأضاف بخفة أقل: "كان يمكن لهذا أن يكون أسوأ بكثير".

هذا حقيقي؛ فلا يوجد ذكر في المقال لأنماط سفره عبر البلاد، أو لمباريات كرة القدم، أو أية إشارة على أننا قد تجاوزنا مرحلة التحقيق الأولي. قال بوكس وهو يهرع مندفعاً داخل مكتبي: "لا يوجد ذكر لملاعب كرة القدم".

وقالت صوفي وهي تدخل الغرفة كذلك: "لم يذكرنا مباريات كرة القدم، وهذا جيد، أليس كذلك؟".
فقلت مهدئة الأجواء: "جيد، أجل، جيد".

صمتنا جميعاً بينما كنا نقرأ المقال. وكانت بالنسبة لي هي المرة الرابعة التي أقرأه فيها.

ديني: "مصدر التسريب محلي، فمن سرب المعلومات لا يعرف الكثير عما نفعه".

لعل ذلك حقيقي... استمررنا في القراءة... وكانت بقية المقال تتحدث عن الاستنتاجات الأولية للأطباء الشرعيين... نتائج الطب الشرعي التابع للمباحث الفيدرالية التي تناقض ما توصل إليه الأطباء المحليون... مواقع قتل أخرى غير معروفة للمراسلين، لكنه قيل إنها وصلت إلى جميع أنحاء الولايات المتحدة... بعض المعلومات والإحصاءات العامة عن حرائق المنازل في الولايات المتحدة وحوادث الحرائق المفصلة المعروفة... ثم تنتهي بمزيد من الدراما، ووفقاً لبعض المصادر: "هذا هو أحد أكثر القتلة العباقرة الذين رأيناهم في حياتنا". ونظراً للإرهاك الذهني الذي انتابنا بسبب حالة الذعر التي أصابتنا في البداية، مكتثا نحن الأربعة هادئين للحظة، وكسر بوكس الصمت كعادته بنحنه.

وقال مستهجنًا: "إذن؟ ماذا سيفعل المجرم الآن؟".

الفصل 76

"جلسة جراهام"

التسجيل # ١٩

٢٤ سبتمبر، ٢٠١٢

كلا، كلا، كلا، لا يمكن لهذا أن يحدث. ليس الآن، ليس الآن!

لا أفهم، كيف حدث ذلك؟ كيف أمكن لهم كشف ذلك؟ لم أخطئ في أي شيء! حتى إنهم قالوا ذلك: "مجرم عبقرى، كان قد خدع بشكل متكرر المحققين وخبراء الطب الشرعي". بالطبع كنت عبقرياً، وكان تنفيذي للأمر مثالياً. ومع ذلك يبدو أن هذا المجرم العبقرى ليس بتلك العبقرية الشديدة، أليس كذلك؟

تلك الفتاة الغبية، أوه، تلك الفتاة الغبية التي تدعى إيمي دوكرى، والتي قال عنها المقال إنها "العامل المساعد" في هذا التحقيق.

ينبغي ألا أندعش، فقد قالت لي مارتا إنك يا إيمي قوية العزم وذكية ولا تعرفين الاستسلام. لكن غروري منعني من تصديق ذلك، وقلت لنفسى، من يهتم إذا كانت أختك تعمل في المباحث الفيدرالية؟ لن يتمكن أحد من اكتشاف ذلك.

ما الذي من المفترض أن أفعله الآن؟ هل أملك أشياءي وأعود إلى المنزل؟ هل أعتبرها تجربة ناجحة وأكتفي بهذا القدر وأمضي قدماً؟ هذا ما يريدونه كما تعلمون؛ لقد سربوا هذه القصة فقط لأراها، ألا ترون ذلك؟ لا تكاد توجد أية تفاصيل في المقال، فهم لا يعرفون ما أفعله أو كيف أو لماذا. فلو كانوا على علم به، لما سربوا القصة إلى الصحافة. كلا، لقد تمكنا بطريقة ما من معرفة ما فعلته، لكن ليست لديهم أدنى فكرة عن هويتي أو مكاني. فأنا خفي بالنسبة إليهم كما كنت دائماً، لذا يحاولون إخافتي. نعم بالطبع، إنهم يحاولون ترهيبني بالاعتقاد أنهم باتوا وشيكين من القبض عليّ. لكني أعلم أنهم ليسوا كذلك، كلا، هذا صحيح، ليسوا على وشك القبض عليّ، لا يمكن أن يكونوا كذلك، ليسوا على وشك القبض عليّ، ليسوا على وشك القبض عليّ.

كلا، كلا، كلا، كلا، كلا

كيف اكتشفوا ذلك؟ لا أفهم كيف؛ كنت حذراً ومنضبطاً للغاية.

تعتقدون أن بإمكانكم إيقافني؟ أهذا هو الأمر؟ أعتقدون أن نشر مقال أحرق وغامض سيحول دون استمرارني فيما أفعله؟ أعتقدون أنني لا أعرف أنكم تتعمدون نشر قصص لإخافة المشتبه بهم؟ فحتى لو كلفتم مائة عميل بالتحقيق في هذه القضية، فلن تعثروا عليّ. بإمكانكم وضعي في حافلة مليئة بعملاء المباحث الفيدرالية دون أن يستطيعوا تحديد هويتي. إنكم عاجزون عن هذا الأمر، وتدركون ذلك، أليس كذلك؟

حسناً، أعتقد أن هناك قولاً سائداً يصف حالنا: "لا يمكنك رؤية قوس قزح، دون هطول أمطار، ولا يمكنك الحصول على ماسة دون شحذها"، إنكم ستجعلونني أطور من نفسي فحسب. أجل، هذا صحيح، هذا هو جراهام القديم الذي يتحدث. لعلي أحتاج إلى تحدٍ جديد، ربما يمكن لهذا أن يكون الفصل الثاني من قصتنا. ففي الفصل الأول، كنت أجوب البلاد مفلتاً فعلياً من العقاب بينما تغرق المباحث الفيدرالية في غفلتها في مبنى هوفر. أما في هذا الفصل الجديد، فاستيقظت المباحث ولكن لا يزال يتعذر عليها العثور على ظلها. أجل، لن أخفي ما أفعله بعد الآن، فهذا قراري؛ سأنفذ ما أفعله على مرأى ومسمع منهم، وأريهم مدى عجزهم.

لكن كيف، كيف اكتشفوا هذا؟ لا يمكنني أن أصدق هذا، لا يمكنني أن أصدق حقا. ليضرب لي أحد ذلك.

لا يهم، كلا، لم يعد يهم. إنني سعيد حقا أن هذا حدث؛ لأن الأمر كان قد بدأ يبدو سهلا عليّ، وها أنا أجد متعة في تذوقه مرة أخرى. فهذا الأسبوع سيكون فيه الكثير من المرح؛ سيكون لهذا الأسبوع إضافة خاصة. أتعتقدون أنه يمكنكم إخافتي؟ شاهدوا ما سيحدث هذا الأسبوع وقرروا حينها كم أنا خائف.

(النهاية)

الفصل 77

أغلق بوكس عينيه وعبس بينما كان صوت ذلك الأحمق ديك يخرج عبر مكبر الصوت في الهاتف ويوبخنا.

"... إذن بدلاً من أن نكرس إمكانياتنا لملاحقة الجاني، بتنا نكرسها من أجل تلبية استفسارات الإعلام".

حسنًا، من الناحية الفنية، ديك هو من يتولى أمر الاستفسارات الإعلامية، وليس أحدًا منا في شيكاغو، وهو لا يؤدي أي دور في القضية، إلا إذا اعتبر سرقة مجهود الآخرين نوعًا من العمل.
سأل: "ماذا يحدث الآن؟".

نظرت إلى بوكس وهو يهبط في مقعده ويومئ لي بالإجابة. كان مجرد نقل تركيزي من أحد جوانب الغرفة إلى جانب آخر يشعرني بألم خفيف خلف عيني.
"هذا الأسبوع هو الأسبوع الرابع من دوري كرة القدم، ومن الملاعب الثمانية التي لم يسبق للمجرم زيارتها خارج منطقة الغرب الأوسط، ثلاثة منها فحسب هي التي ستستضيف مباريات إياب هذا الأسبوع: ديترويت وفيلادلفيا ودالاس. وسيلعب فريق دالاس مباراة ليلة الاثنين، لذا فإنه لن يذهب إلى دالاس، لأنه لا يذهب إلى المباريات في ليالي الاثنين".

"حقًا؟ أتعرفينه لهذه الدرجة؟ إذن ربما تستطيعين تفسير قراره بأن يأخذ الأسبوع الماضي إجازة".

أجبت عن النقطة الجوهرية التي أثارها وليس سخريته وقلت: "إنه لا يذهب أبداً لمشاهدة مباريات ليالي الاثنين؛ فهذا يناقض النمط الذي يتبعه. لذلك فإنه إما سيذهب إلى ديترويت أو فيلادلفيا".

سأل ديكنسون: "أي منهما؟".

فقلت: "فيلادلفيا".

نظر بوكس إليّ نظرة استفهامية.

فشرعت أفسر: "يروق هذا المجرم الانتشار جغرافياً وعدم العودة مطلقاً إلى المنطقة ذاتها في غضون فترة قصيرة. ولهذا السبب عندما ذهب إلى ملاعب مختلفة في ولاية فلوريدا، على سبيل المثال - ميامي، جاكسونفيل، تامبا - وزع زياراته على نطاق جغرافي واسع حتى لا تكون متجاورة تماماً. وعندما ذهب إلى منطقة نيويورك من أجل فرق بوفالو ونيويورك جيتس ونيويورك جاينتس كان حريصاً دائماً على ألا تكون بين تلك الزيارات فترات زمنية قصيرة. فهو يحاول أن يتجنب امتلاك نمط محدد يستطيع أي شخص تتبعه".

ديكنسون: "لم تقسري بعد لماذا تتيقنين من أنه سيذهب إلى فيلادلفيا في عطلة نهاية هذا الأسبوع".

"لأن هناك ملعبين في بنسلفانيا لفريقي ستيلرز وإيجلز، وهو لم يذهب إلى أي منهما بعد؛ فلم يعد أمامه إلا ثمانية أسابيع ليكمل جولته في تلك الملاعب، ولديه رحلتان إلى بنسلفانيا. فإذا أردت أن أوسع زيارتي جغرافياً، سأذهب إلى فيلادلفيا هذا الأسبوع، ثم أذهب إلى بيتسبرج في نهاية جولتي".

حل الصمت لوهلة.

بوكس: "هذا يبدو منطقياً بالنسبة لي".

فقال ديكنسون ساخراً: "نظراً لأفعالك السابقة يا إيمي، فأنا غير متيقن من ذلك".

أوشك بوكس أن يعترض بالإجابة عني، لكنني لوحته له بالرفض. فلندع ديكنسون يتشرف قليلاً. فأنا لا أحتاج إلى استحسانه سواء أكان هو أم غيره. وهذا ما كانت مارتا تقولها عني؛ إن استقلاليته تتسم بعدوانية تنفر مني المقربين، فكانت تقول لي بطريقتها المعتادة التي تجمع بين الحب والتوبيخ:

"إيمي المستقلة القوية، دائماً ما تحاولين إثبات أنك تستطيعين خوض المعارك وحدك."

بوكس: "المسألة هي هل قرأ المجرم المقال أم لا؟ وفي حال قرأه، ما نتيجة ذلك عليه؟"

"هل لديك إجابة عن ذلك يا آنسة دوكري؟"

لم تكن لديّ إجابة، استناداً إلى البيانات التي كونت منها آرائي، لكن كان لديّ حدس.

فقلت: "هذا المقال سيحفره؛ فهو بحاجة إلى أن يثبت لنفسه أنه لن يسمح للمباحث الفيدرالية بإخافته."

تنفس بوكس بعمق واتجهت أنظاره إلى السقف بينما كان القلق يظهر على وجهه.

فقلت: "ستسوء الأمور."

الفصل 78

"جلسة جراهام"

التسجيل #٢٠

٢٧ سبتمبر، ٢٠١٢

حسنًا، أريد من الجميع أن يفهم أنني لم أرد للأمر أن تسير على هذا النحو. ومن يعرف؟ ربما لم يكن لها أن تكون كذلك، لكننا لن نعرف الآن، أليس كذلك؟ كلا، كلا، لن نعرف.

لكن مقابلة ماري... مقابلتها...

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صمت لمدة إحدى عشرة ثانية).

... مقابلتها غيرتني، أو كان يمكن أن تغيرني لو كنتم أعطيتموني فرصة

فحسب لأكتشف ذلك.

لكنكم اخترتم اكتشاف ما أفعله. ولم تقرروا ذلك قبل عام أو حتى ستة

أشهر، بل انتظرتن حتى أقابل هذه المرأة المثالية ليتكون لديكم فجأة نسيج

من الخلايا الرمادية، وتقرروا اكتشاف ما أفعله وتسربوه إلى الصحافة وتقلبوا

حياتي رأسًا على عقب.

لذا فأنا الآن... حسنًا، سأقولها بهذه الطريقة؛ إنني أود أن أعبر عن
استيائي لكم، وأود أن أريكُم ما يحدث عندما تعبثون بحياتي.
فلنترحم على الرجل اللطيف الذي كنت أنوي أن أكون عليه.

(النهاية)

الفصل 79

قلت في الهاتف بينما كنت أدخل مكتبي: "لا يبدو هذا صحيحًا". ونظرت إلى ساعة الحائط التي كانت توشك على إعلان انتصاف الليل، إنها ليلة الخميس. أجابني الضابط جلين هول بأنفاس متقطعة: "إنني أنقل فحسب ما كان من المفترض أن أنقله يا سيدتي. فقد جاءتني التعليمات بأنه إذا نشب حريق سكني، فعلياً أن أبلغ به في الحال؛ وقامت إدارة توزيع المهام لدينا بتحويل مكاملتي إليك..."

"كلا، أتفهم الأمر، لقد فعلت الصواب".

نفذ الضابط جلين ما صدر له من تعليمات. فقد أصدرنا نشرة في المنطقتين المحتمل زيارة القاتل لهما هذا الأسبوع - ديترويت وفيلادلفيا - لتنبهنا في الحال بأية حرائق سكنية تقع. وقد تم إبلاغنا على الفور بوقوع حريق سكني بمجرد أن علموا به.

كنت على يقين أن المحطة التالية للمجرم ستكون فيلادلفيا. لكن الضابط جلين هول يعمل في قسم شرطة ألين بارك بولاية ميتشيجان، وهي ضاحية من ضواحي مدينة ديترويت.

ضغطت على قسبة أنفي وقلت: "كم عدد الضحايا؟"

"هناك يا سيدتي... هناك..."

تقطع صوته؛ لم أكن أعرف ما إذا كان السبب هو أن الشبكة سيئة أم أنها،
على الأرجح، مشاعره.

قال: "هناك ست جثث".

"حسنًا أيها الضابط، وهل عثر عليها في غرف نوم فردية؟"

"هذا... صح... صحيح".

"معذرة على سؤالتي، لكن هلا وصفت لي وضعية الجثث؟"

"إنها... إنها... إنها تبدو..."، سمعته يلتقط أنفاسه مستجمعًا شجاعته

وقال: "إنها مصفوفة كما تصف الجثث في المشرحة".

إنه هو، لا بد أن يكون هو.

دخل بوكس مندفعًا إلى مكنتي وقال: "تلقيت رسالتك، هل هو من فعل ذلك؟"

هل خلف ست ضحايا؟"

فأومأت برأسي وأخفضت نظري.

"سته أشخاص؟ إنه لم يفعل ذلك من قبل يا إيمي".

فقلت: "إنه هو"، وعندما لم أسمع أي شيء، رفعت نظري ونظرت في عينيه

قائلة: "إنه هو".

فتح بوكس هاتفه الخلوي وقال: "أنا بوكمان، أمر تعبئة لفريق الاستجابة

السريعة، سنذهب إلى ديترويت".

الفصل 80

بعد تسعين دقيقة من تلقي المكالمة من ألين بارك بولاية ميتشيغان، كنت على متن طائرة صغيرة بعشرة مقاعد مع بوكس وستة أعضاء من فريق الاستجابة السريعة. كان بوكس يتحدث على الهاتف مع العميل الخاص المسئول عن مكتب ديترويت الميداني، مكرراً الاتجاهات التي يعطيه إياها بصوت عالٍ. كنت أنظر من النافذة والأفكار تصول وتجول في رأسي، حينما قطع حبل هذه الأفكار الرجل الذي كان يجلس أمامي، والذي تعرفت عليه لكن اسمه هرب مني بالفعل.

"ألا يوجد نمط محدد لاختياره لضحاياها؟"

"ليس هناك شيء محدد؛ فضحاياها من الرجال والنساء، وذوي البشرة البيضاء والسوداء، وذوي الأصول الإسبانية والآسيوية؛ إنه لا يقتل الأطفال، لكنه لا يركز على عمر محدد في ضحاياها الذين تتراوح أعمارهم بين عشرين وسبعة وسبعين عامًا. ولا تقتصر جرائمه على أشخاص ذوي خلفية اقتصادية واجتماعية معينة؛ بل تجد ضحاياها تتنوع ما بين المحاسبين والمحامين والأطباء وبائعي الأحذية والبوابين والبائعين في المتاجر. الشيء الوحيد المشترك بين هؤلاء الضحايا هو أنهم يعيشون بمفردهم".

"هل هناك شيء آخر مشترك بينهم؟"

أومأت برأسها علامة على الرفض وقالت: "لا يوجد شيء، وقد جربنا كل شيء؛ فقارنا بينهم من حيث المدن التي نشأوا بها، والمدارس التي التحقوا بها، والأندية المشتركة بها، وانتماءاتهم ومواقع التواصل الاجتماعي التي يستخدمونها، كل شيء"، ثم تنهدت وأردفت: "جميعهم أشخاص عاديون لا تربط بينهم سمة موحدة".

أغلق بوكس هاتفه ونظر لي وقال: "الضحايا الليلة كلهم نساء، ست نساء تم تحديد هوية أربع منهن ويجري تحديد هوية الضحيتين الأخريين. ويبدو أن الجثث بها أطراف مقطوعة وطعنات وربما إصابات بأعيرة نارية، لكن ذلك لن يتضح إلا بعد إجراء التشريح".

قال أحد العملاء في الطائرة: "هذا يختلف عن أسلوبه، أليس كذلك؟". قلت: "بالفعل يختلف، فهو لم يكن معتاداً أن يقتل ستة أشخاص في وقت واحد، كما أن طريقة القتل مختلفة أيضاً، وكذلك حقيقة أنهم استطاعوا تمييز أن الحادث بفعل فاعل، بقدر ما سمح لهم مسرح الجريمة؛ حيث إن الحريق لم يطمس تماماً كل شيء. الأمر كله مختلف".

بوكس: "لقد فقد انضباطه وبدأ يتداعى".

فقلت: "لم يعد بحاجة إلى الانضباط ذاته، لأنه يعرف الآن أننا على علم بما يفعله. فهو لا يحتاج إلى تلك الطرق الغامضة للقتل التي تشبه المسببات الطبيعية للوفاة، لأنه يعلم أننا لن ننخدع بها بعد الآن".

فكر بوكس في ذلك وأوماً برأسه: "إنه يريد أن يتأكد من أننا نعرف أنه الفاعل، فهو يرسل لنا رسالة تقول: "أنا لست خائفاً من المباحث الفيدرالية. فأنتم لم تروا شيئاً بعد"."

ارتعدت من الفكرة كما لو أنها لم تكن ما سبب لي الرعب منذ اللحظة التي علمت فيها الصحافة بالقصة ونشرتها.

فقال أحد العملاء الآخرين: "لا بد أنه سيرتكب خطأ. فإذا بدأ يهاجم لينتقم، فحتماً سيرتكب خطأ".

لعل ذلك صحيح، فهذا مجال خبرتهم وليس أنا. لكنني لست على يقين من ذلك، ولست متأكدة، في تلك اللحظة، أنني أهتم بهذا الأمر. فما أُرغب فيه الآن هو شيء واحد.

أريد للقاتل أن يحضر مباراة فريقَي الفايكنج واللايونز هذا الأحد.

الفصل 81

كان بوكس يجوب الجزء الأمامي من المقصورة الخاصة التي تقع في الجانب الشمالي من ملعب فورد فيلد، حيث أنشأنا مركز قيادة. كان مفعماً بالحماس ومنهمكاً تماماً فيما يفعله هناك؛ حيث يقدم المعلومات الضرورية لطاقم موظفي إنفاذ القانون الحكوميين والمحليين والفيديراليين، وهم ١٥٠ شخصاً أو نحو ذلك، يعملون متخفين في ملابس مدنية يبدو فيها كأنهم رجال ونساء يحضرون مباراة كرة قدم. هذا هو بوكس الذي التقيته في المرة الأولى؛ هذا هو العميل الفولاذي جوفرايادي الذي لم يكن بإمكانك أن تتصور أن له حياة خارج المكتب، والذي يبدو أنه لا يهتم بشيء في هذا العالم إلا بالقبض على المجرمين وإنجاز مهمته.

قال بوكس: "حسناً، فليهدأ الجميع"، وفي غضون ثوانٍ حلَّ الصمت في المقصورة الفاخرة والفخمة، فأردف: "قد تكون هذه هي فرصتنا الأخيرة للقبض على أسوأ سفاح رأيناه في حياتنا، لذلك من المهم أن نتذكر الأساسيات"، ثم أخذ يتنفس في توتر وقال: "سيحضر ستون ألف شخص هنا اليوم، وسيكون أحدهم هو المجرم. فإذا بدوتم كعملاء المباحث الفيديرالية، سيلاحظ وجودكم. وإذا بدوتم ضباطاً متخفين في ملابس مدنية، سينتبه إلى ذلك. وإذا بدوتم أنكم تبحثون عن شخص، سيلاحظ ذلك. فهو ذكي وحاد الملاحظة، وشديد الحرص. لذا لا بد ألا يلاحظ وجودكم".

انخفض صوت بوكس بشدة وهدأت معه الغرفة.

"ولذلك سنقوم بهذا الأمر بطريقة مختلفة بعض الشيء. فنحن نريد منه أن يدخل الملعب. وبمجرد أن يصبح بالداخل، لن نتركه يغادر. فلو اضطررنا لذلك سوف نوقف كل رجل أبيض في الثلاثينيات أو الأربعينيات من عمره - ربما يكون بكرش، وربما لا؛ ربما يكون أصلع، وربما لا - ولو اضطررنا لأن نوقف كلا من هؤلاء الرجال وهم في طريقهم للخروج من الملعب، سنفعل ذلك. لكن عليكم أولاً أن تجعلوه يدخل. وظيفتكم اليوم هي تحديد المشتبه بهم بمجرد أن يدخلوا الملعب وإبلاغنا بذلك هنا في مركز القيادة. لا تقبضوا على أي شخص إلا بأوامر منا.

"لن ترتدوا سماعة إذن، ولن تستخدموا أجهزة اللاسلكي، بل ستتصلون بالأرقام التي أعطيت لكم من على هواتفكم المحمولة، وستبدون وكأنكم تستفسرون من زوجاتكم أو أزواجكم لماذا استغرقوا وقتاً طويلاً للعودة من المرحاض. ستبدلون قصارى جهدكم لتبدو كأنكم هنا بالفعل لمشاهدة فريق اللايونز وهو يهزم فريق الفايكنج". فهمس أحد الضباط الشباب المحليين قائلاً: "حاضر"، وكان يرتدي قميص فريق اللايونز الأزرق الفاتح. الاضحلال الحضري قد يلتهم المدينة من الداخل إلى الخارج، وربما نكون في طريقنا للقبض على أكثر السفاحين ذكاً في التاريخ، لكن كرة القدم تبقى كرة القدم. "المجموعة التي ستكون هنا في مركز القيادة ستراقب كل شيء يسير أو يزحف أو يطير في نطاق ٨٠٠ متر من هذا الملعب على شاشاتنا. ولحسن حظنا، عندما استضاف ملعب فوردي فيلد المباراة النهائية للدوري في عام ٢٠٠٦، تم وضع شبكة مراقبة لاسلكية واسعة النطاق لمراقبة حركة الحشود والمداخل والمخارج والمنطقة المحيطة. وليحفظ الله ديترويت، فهي لا تزال تعمل. ستبلغوننا بموقع من تشتهون به وبأوصافه، وسنكبر اللقطة التي يظهر فيها، ثم سنتخذ قراراً بشأن ما يجب فعله بعد ذلك. فنحن لا نريد تخويف هذا الرجل قبل أن نكون مستعدين للقبض عليه".

سَلَّم بوكس التعليمات إلى الرقيب المحلي المسئول عن إصدار المهام وانضم إلى صوفي وديني وأنا على طول الجدار الجانبي. ووصل مقدمو الطعام وبدأوا في إعداد أوعية تقديم الطعام على الطاولات بطول الجدار المجاور لنا. فرفعت حاجبي، فابتسم لي بوكس ابتسامة متكلفة ثقيلة الظل وقال: "حسناً،

لا بد أن نبدو مثل أي مقصورة خاصة أخرى. فنحن على الجانب الشمالي، وجميع المقصورات التي توجد على الجانب الجنوبي ستكون قادرة على رؤيتنا إذا حاول أحدهم ذلك؛ لذا نحافظ على المظاهر فحسب".

فهمست: "كم هو لطيف أن يكون اللحم البقري الإيطالي من بين تلك المظاهر".

سمعتهم ينادون أسماءنا. "العميل بوكمان، مركز القيادة، صوفي تالاماس، مركز القيادة. ديني ساسر، ستقود الفريق المسئول عن بيع التذاكر في السوق الشرقية. إيمي دوكري، بوابة إيه..."

فقلت لبوكس: "بوابة إيه؟ هل وضعتني عند بوابة إيه؟ إنك تعرف مثلي أنه لن يستخدم البوابة إيه".

مع وجود حديقة كومريكا بارك عبر شارع برش إلى الغرب والمحكمة المحلية عبر شارع بيكون إلى الجنوب الشرقي، فهذا يعني وجود كاميرات كافية لتعرض لنا ما يتناوله النمل المحلي على الغداء. وهو بالتالي سيختار أحد مداخل الجانب الشمالي: البوابة بي أو سي أو دي أو إي أو إف. فتلك البوابات تتيح الوصول بشكل أفضل إلى مرآب السيارات، ولا يجاورها إلا القليل من المباني الشاهقة حيث يمكن مراقبة الناس.

أغمض بوكس عينيه في صبر وقال: "حقاً؟ حسناً، إذن لن يكون من المرجح أن يتعرف عليك من الصورة المنشورة في الجريدة بينما تراقبين البوابة إيه، أليس كذلك؟".

كان محقاً، وأنا أكره ذلك.

عندما وزعت المهام، أعاد بوكس هندمة نفسه وألقى نظرة على الحشود. كان الرجال والنساء يملأون المكان، ممددين أطرافهم ليحرروها من الطاقة السلبية. كان الأمر يبدو كما لو أننا على وشك أن نلعب المباراة بأنفسنا.

بوكس: "لا يذهب معظم الأشخاص إلى مباريات كرة القدم بمفردهم، لذا فإن وجوده بمفرده سيجعله بارزاً. لكنه ذكي، لذلك ربما سيحاول السير مع عائلة أو مجموعة من الناس، كما لو أنه معهم. ومن المحتمل أنه سيجري بعض المحادثات معهم، حتى يبدو أنه ينتمي إليهم. لكن في مرحلة ما، سيتركهم. لا يمكنني كتابة ذلك لكم، لذا كل ما يمكنني قوله هو أن تنتبهوا وتراقبوا ما أتحدث عنه؛ دون أن يبدو عليكم ذلك، الأمر سهل، أليس كذلك؟".

سمعت بعض الضحكات المكتومة. فهذا هو بوكس التقليدي الذي يتعاطف مع مهمة الفريق الصعبة، محاولاً التقريب بين أفراده. وبعد ذلك يذكرهم بأهمية المهمة لمرة أخيرة.

"هذا الرجل سلخ وحرق وشرّح بدقة سبعين فرداً أو أكثر في العام الماضي. واقترف أنواعاً من التعذيب تقشعر لها أبدان مجرمي الحرب النازية. وذبح ست نساء في ليلة الخميس في ألين بارك، ويوم الجمعة أعدم أمّا وثلاثة أطفال قبل إشعال النار فيهم. وهو أكثر سفاح رأيتَه في حياتي يرتكب جرائم وحشية، كما أنه يصعد الآن من أفعاله الوحشية".

جال بوكس بنظره في أنحاء الغرفة، وقال: "هذا الرجل وحش. واليوم، سنمسك به حياً أو ميتاً".

الفصل 82

قال لي بوكس وأنا أجيّب الهاتف: "ستصنعين حفرة في الأرض وتسقطين فيها يا إيمي إذا ظللت تتحركين هكذا. آخر ما يمكن أن يقوله أي شخص إن ما تفعلينه هنا هو أنك آتية لحضور مباراة كرة قدم. قفي ثابتة فحسب؛ وارسمي على وجهك تعابير نفاذ الصبر والملل، كما لو أنك تنتظرين مجيء صديقك بالتذاكر".

"من الصعب عليّ أن أظاهر بذلك؛ لأنني لم يكن لي يوماً صديق اصطحبني إلى مباراة كرة قدم".

"هذه قسوة، أنت لم تبدي من قبل أي اهتمام بكرة القدم".

هذا حقيقي. سألته للمرة المائة: "هل هناك أخبار من بائعي التذاكر؟"، نحن نفترض أن المجرم يفضل التعامل نقداً، وليس بالبطاقات الائتمانية لشراء تذكرته، ولذلك سوف يشتريها خارج الملعب قبل المباراة. فأجابني بشيء من الغموض المزعج: "لدينا بعض الدلائل، ركزي في مهمتك فحسب".

"شكراً على النصيحة الرائعة"، كان على حق بالطبع. كنت متوترة، وكان هذا يظهر عليّ، وهكذا كان بوكس. فالجميع كان متوتراً، ويتعامل مع الأمر بالطريقة التي يتعامل بها رجال الشرطة والعملاء في تلك المواقف، وهي السخرية وإطلاق الدعايات.

فُتحت البوابات قبل بدء المباراة بساعتين، ورأيت على الأرجح خمسة عشر ألف رجل أبيض بكرش يتدرج الأزرق بدرجاته على قمصانهم وسراويلهم ووجوههم وأجزاء أخرى من أجسامهم. لكنني لم أرَ شخصاً بمفرده، فكان يبدو أن كل رجل يسير في الملعب مع شخص آخر على الأقل.

أنهيت المكالمة ونظرت في ساعتني وهززت رأسي كما لو أنني أشعر بالملل، متظاهرة بأنني فتاة تنتظر أحداً. لماذا أعلق هنا بينما تقبع صوفي في الطابق العلوي في مركز القيادة؟ أعرف الإجابة بالطبع؛ فقد تبين أن صوفي تملك خبرة متخصصة في التعامل مع تقنيات شبكات المراقبة المعقدة، ولهذا السبب تجلس هي في المقصورة بينما أتحمل أنا هنا تفتيشاً بدا دقيقاً باليدين قبل دخولي الملعب من حارس غير مدرب بصورة يرثى لها. فلا مجال هنا لمجاملة موظفي إنفاذ القانون؛ فنحن يجب أن نحافظ على خطتنا، رغم أنني أستطيع تحديد ما يقرب من عشرين مكاناً في جسدي كان من الممكن أن أخفي فيه ممنوعات دون أن يلاحظ أمن الملعب ذلك.

مررت من نقطة التفتيش دون أن أنتبه عن عمد إلى العملاء الخمسة الآخرين الذين كانوا يفعلون الشيء ذاته. كان الكثير من العملاء المتخفين يسرون في أزواج لحبك اللعبة، لكننا نحتاج أيضاً إلى الانتشار بقدر الإمكان. سأعترف بأنه لم يخطر على بالي قط أنني سأقول يوماً إن ملعب كرة القدم "جميل" من الداخل. لكن هذا الملعب كان كذلك، على الأقل هنا حيث الإيوان المبني من الزجاج والصلب والطوب، والذي تتخلله نسمات الهواء، ويفغره الضوء الطبيعي، كأنه مركز للتسوق وليس ملعباً. بني هذا الملعب مكان متجر قديم، وتم الحفاظ على العمارة، بما في ذلك الشارع القديم المرصوف بصخور الكوبالت. كان قد نما إلى علمي أن السكان المحليين فخورون بذلك، وهم على حق. لكن هناك الكثير من الشرفات هنا حيث يمكن للمجرم أن يشاهدنا منها ونحن نتجمع.

لسنا جميعاً ماهرين في التخفي. فأنا أحرق في رجل في منتصف العمر يكاد يكون حليق الشعر، ويقف في مدخل متجر للملابس الرياضية يسمى مور زان أرور، مستغرقاً في النظر إلى الجمهور لوقت أطول من الذي يستغرقه في الإعجاب بالقميص ذي المقاس الصغير للغاية الذي يمسك به. كان من الأفضل أن يضع لافتة تقول: إنني أظاهر فحسب بالتسوق؛ فأنا شرطي في الواقع.

شقت طريقى عبر باحة آدامز ستريت نحو مقعدي، فأنا متمركزة في مقدمة القسم ١١٢. بنيت أرضية الملعب بانخفاض كبير عن مستوى الشارع، وهو ما يظهر الرغبة في بناء ملعب لا يخفي بارتفاعه الأفق. عندما مررت من البوابات الحديدية الطويلة التي تفصل الباحة عن الملعب، استطعت أن أرى أن القسم الأول من المقاعد في الأسفل، وليس الأعلى.

كان الأمر مربكاً بسبب الضوضاء والكم الهائل من البشر الموجودين في المكان وكل شيء. لن نجده أبداً هنا، فعدد الناس كبير بينما عددنا قليل. تماسكي يا إيمي.

استكشفت القسم بينما كنت أسير ببطء نحو مقعدي، واتصلت ببيوكس. وقلت بابتهاج: "مرحباً يا حبيبي! الملعب يعج بالجمهور اليوم! كنت أتمنى لو أنك معي هنا، لكنني سعيدة للغاية أنك ستشاهده في التلفزيون!" فسمعت صوفي تقول: "رائع يا إيمي، ماذا لديك؟"

"القسم مائة وأحد عشر، الصف التاسع، المقعد الثالث أو الرابع. القسم مائة وثلاثة عشر، الصف السادس والعشرون في المنتصف، والصف الثلاثون، المقعد الخامس أو ربما السادس. والقسم مائة واثنان عشر، الصف الثامن عشر أو التاسع عشر، لست واثقة، في المنتصف. وجميعهم إما صلعاء وإما يخفون رؤوسهم ووجوههم. وأنا على يقين من أنه سيكون هناك عشرات آخرون مع نهاية الشوط الأول."

جلست متظاهرة على الأقل بأنني أشاهد المباراة، ثم أحرز فريق الفايكنج هدفاً من ضربة البداية، فتعالت الصيحات.

الفصل 83

عندما بدأ الربع الأخير من المباراة، كان فريق ديترويت خاسراً بنتيجة ٢٠-٦، لم أكن أهتم بنتيجة هذه المباريات، حيث يرتدي الرجال ملابس مصارعة ملونة، ويحاولون حمل كرة جلدية عبر خط جرى ترسيمه - لكنني كنت أهتم بمدى تقارب النتيجة. فإذا كانت ما يطلق عليه بوكس "الفوز الساحق"، فالمشجعون سيبدأون في المغادرة، وسنستعد لخروج القاتل في وقت أبكر مما هو مخطط له.

هل تمثل ٢٠-٦ فوزاً ساحقاً؟ لا أعرف حقاً، لكنني علمت من أصدقائي الثرثارين في القسم ١١٢ أن هذه المباراة "مضاعفة النتيجة"، وكان عليّ أن أتظاهر كأنني أعرف ما يعنيه ذلك. لقد كررت هذا الأمر كثيراً بينما كنت أجلس في مقعدي. واضطرت إلى التظاهر بالغضب عندما ارتدت الكرة إلى الدفاع في بداية الشوط الثاني، ولعنت مع رفاقي عدم كفاءة منسق الفرق الخاص بفريق ديترويت، وأومأت بالموافقة عندما "استيقظ أخيراً" دفاع فريق اللايونز. وكان عليّ أن أتظاهر مرة تلو الأخرى بمهاتفة أمي / أختي / أخي / زوجي / صديقي / عمتي في كل مرة أرى فيها رجلاً يبدو أصلع وأنفه صغير قليلاً وكتفاه متهدلتان.

لا بد أن بوكس وفريقه قد تفحصوا عن كُتب كل رجل تقريبًا في هذا الملعب؛ لدرجة أن أحد الضباط المحليين اشتبه في ديني ساسر عندما وصل إلى الملعب.

قلت "لأخي" في الهاتف بينما كنت أشق طريقي مرة أخرى إلى باحة آدامز ستريت: "أفتقد عملي كمحللة أبحاث، فأنا لا أصلح للمراقبة".

قالت صوفي: "علم، لماذا لا تتقدمين الأكشاك المتنقلة في الباحة؟ فعندما يضعون المظلات تكون هناك بعض النقاط العمياء".

"حسنًا"، كان إفراز الأدرينالين يزداد بداخلي كلما كنا نقرب من نهاية المباراة. أعلم أنه هنا؛ أشعر بوجوده.

وجدت نفسي أتجول في الباحة بينما أراقب الناس، كما اعتدت أن أفعل أنا ومارتا في فصل الصيف عندما كنا نتسوق في المركز التجاري. كان الملعب قد بدأ يفرغ قليلًا، لكن مشجعي اللايونز لا يستسلمون؛ وسيبقون حتى اللحظة الأخيرة؛ وهذه أيضًا معلومات تعلمتها من رفاقي في القسم ١١٢. كانت أصوات المباراة لا تزال مسموعة جيدًا؛ لأن الملعب مفتوح على الباحة من زاويتين. وكنت أستطيع أن أرى فرق إنفاذ القانون وهي تقيم نقاط التفتيش عند المخارج، إذ كنا نستعد لفحص المشجعين وهم يغادرون الملعب؛ فهي فرصتنا الأخيرة. كانت معدتي تتلوى من الألم. فلا يمكن القبض عليه بهذه الطريقة؛ فهو حريص وذكي ومتفاخر بنفسه لدرجة شديدة.

ملت على حائط السلم الدوار المؤدي إلى الطابق الثاني أحرق في المارة. وكنت أدق بأصابعي وراحة يدي على السطح المعدني بإيقاع يتناغم مع أصداة الموسيقى القادمة من الملعب، لكن ذلك كان يظهر التوتر الذي أشعر به. فإذا كان هناك شيء واحد يمكنني قوله عن المباراة، فهو من المؤكد أن مواطني ديترويت يعزفون موسيقى جيدة. فالمكان الذي نشأت فيه شركة التسجيلات الشهيرة موتاون لا بد أن يفخر بترائه. كانوا يعزفون أغاني المشاهير المحليين كيد روك وإمينيم، وعندما اتجهت عائدة إلى مقعدي، كان صوت المغنية الشهيرة أريثا فرانكلين قد بدأ يصدح بأغنيتها ريسبكت.

وبينما كنت أسير، بدأ شعور بالغرابية لا يمكن تفسيره ينتابني، أو بفرغ على يميني - ربما هذا هو ما يسميه العملاء الميدانيون "الشعور الغريزي". وكان ذلك يشعرنني بعدم ارتياح شديد. كان الملعب على يساري، وكان سقف الدرج

المتدرج المقتصر على الجانب السفلي من الملعب يجعل الجانب الأيمن أطول بكثير. لم يكن هناك شيء غير مألوف أراه بين المطاعم والمتاجر. لكنني كنت أشعر بفراغ من الحركة في مكان يتحرك فيه كل شيء وكل شخص.

توقفت وتفحصت الحشد الصغير، لكن لم يكن هناك أي شخص يشبه القاتل من قريب أو من بعيد، لكن هذا الشعور لم يختف، بل ازداد. وبدأت أسمع صدى أغاني أريثا من الملعب كما لو أنها بعيدة للغاية، وكما لو أنني حبست فجأة داخل جدران حاجبة للضوضاء المحيطة بي.

كان قلبي يدق بجنون، وكانت راحتا يدي مبتلتين ولزجتين؛ لا أستطيع تفسير الأمر... كنت أشعر بطريقة ما أن هناك... استدرت.

وعلى بعد ٢٠ مترًا كان هناك؛ رجل يقف دون حراك ويحدق فيّ.

الفصل 84

كان رجلاً كثيف الشعر واللحية، ويرتدي قبعة فريق اللايونز ونظارات سمكة الإطار. ويرفع ياقة سترته كنوع من التمويه. ورغم أنني لم أكن أستطيع رؤية عينيه، لكنني كنت أعرف أنه يثبت نظره عليّ.

طرفت بعيني مرتين في حالة من الذهول وعدم تصديق ما أراه. فاستدار الرجل وأصبح في مواجهتي، بينما كان الناس يمرون بيننا، والمشجعون يسرون جيئاً وذهاباً إلى المراحيض أو أكشاك البيع، ولكن في كل مرة كان ينقشع فيها الزحام، كنت أجده على وضعه بلا حراك، محدقاً فيّ مباشرة. إنه هو.

اصطدمت امرأة بكتفه، فدفعته، لكنه لم يتوقف عن النظر إليّ. إنه هو.

رفع رأسه قليلاً، وكأنه يحاول إلقاء نظرة أدق عليّ.

وفي أثناء تلك اللحظات القليلة التي مرت، ظللت متجمدة في مكاني وعاجزة عن الحركة والتنفس. لكنني كنت أريده أن يراني؛ كنت أريد أن أقول له ها أنا هنا وقد وجدتك.

وفي حين كانت دقات قلبي تتسارع، كنت أسمع غناء أريثا فرانكلين، وضوضاء الزحام تتصاعد وتخفض، بينما نواصل التحديق في بعضنا.

ثانيتان؟ عشر ثوانٍ؟ لا أعرف كم من الوقت استغرق الأمر قبل أن أتذكر السبب الذي أمسك من أجله هاتفي الخلوي في يدي طوال الوقت حتى لا أضطر إلى البحث في جيبتي إذا حانت اللحظة المنتظرة.

وها قد جاءت. كنت أحس بقلبي يدق في جوفتي، فنظرت إلى هاتفي بينما كان إبهامي يأخذ وضعية الاستعداد على زر الاتصال السريع بمركز القيادة. لكن بدلاً من ذلك، عاودت النظر إلى القاتل الذي تغيرت تعبيرات وجهه من الجمود إلى نوع من الابتسامة الشفوقة.

وظهر بيده جهاز صغير أسود كان يبدو أنه هاتفه الخلوي. لكن لماذا يحمله في يده...

ثم وقع انفجار مدوّ لدرجة أنني بالكاد لاحظت شيئاً يرشق في وجهي ويجرحه؛ كان دويه يصم الآذان حتى إنني أعرف أنني صرخت ولكن لم أستطع سماع صوتي، وفجأة ارتفعت الأرض لتصفعني على وجنتي أو هكذا تخيلت. ظللت لفترة لا أعرف قدرها أعاني حالة من الخدر والذهول، وطوال هذه الفترة لم أكن أستوعب أي شيء من حولي، لم أكن أستوعب تلك الأرضية اللزجة أو دمي الذي يسيل أو وهج وميض صفارات الإنذار، ورغم أنني لم أكن أستطيع سماع أي شيء فإنني كنت أشعر به؛ كنت أشعر بينما أستلقي على الأرضية بالتغير المفاجئ في اهتزازات الملعب التي باتت الآن ضجيجاً متواصلاً، لتدافع الجماهير...

رفعت رأسي صوب القاتل؛ صوب الرجل الذي طارده منذ أكثر من عام، ولكن بدلاً من ذلك رأيت فيلم رعب صامتاً، لم أكن أسمع أصواتاً، لكنني كنت أرى صوراً مؤلمة لتدافع جنوني لحشد من البشر تسيطر عليهم حالة من الهلع، بينما يتقاتلون للمرور عبر الممشى الضيق، الذي ما إن كانوا يتحررون منه، حتى يندفعوا نحو المخرج. فتحررت مثل الكلب المدعور على يدي وركبتي نحو عمود على الجدار الداخلي للملعب، واحتضنته كما لو أنني احتضن شخصاً محبباً إلى قلبي بينما كانت الحشود تهرع من حولي، وتدوس ساقي وكاحلي، متعثرة فيهما، قبل أن أضم ساقي متحاشية إياهم لأتكور بعدها في وضعية الجنين.

تشبثت بالعمود لأنجو بحياتي بينما كان الناس يتدافعون ويتعثرون ويتسلقون فوق بعضهم في محاولة يائسة للهروب. ورفعت رأسي إلى الأعلى لأتنافس مع

تلك الحشود على استنشاق أنفاس من الأكسجين، لاهثة ومكافحة، بأطرافٍ المنهكة، للاستمرار في التثبيت بالعمود، إذ أعرف أنني إذا قلت منه، سأُسحق. كان رأسي يطن بعنف، وكنت أعاني نقصًا في الأكسجين، وكافحت لأقوم بالرغبة المتصاعدة في الغثيان وشعوري المتزايد بالهلع. كم سيموت هنا اليوم؟ لا أدري، لا أعرف، فلا أستطيع التفكير في ذلك الآن؛ لأنني سأكون من بين الأموات إذا أفلتت قبضتي من هذا العمود.

قلت في نفسي، لقد فعلها مرة أخرى. لقد هرب القاتل مرة أخرى، ودفن نفسه وسط حشد من ستين ألف شخص يتسابقون من أجل الخروج من المكان، والذين سرعان ما سيفمرون الشوارع خارج ملعب فورد فيلد، بعد هذا الانفجار مجهول المصدر والذي أدى إلى انفجار طبلة أذني. لقد تفوق علينا مرة أخرى وكان مستعدًا لنا؛ بالطبع كان كذلك، بل دائمًا ما كان مستعدًا لنا. ففي كل مرة نعتقد فيها بأننا بتنا على وشك القبض عليه، ندرك أنه توقع تحركاتنا وتصدي لها.

لن يتوقف أبدًا. ولن نقبض عليه مطلقًا.

الفصل ٨٥ مكتبة

t.me/t_pdf

المسعف: "ابقي ثابتة".

"إنني بخير، فهو مجرد خدش".

"إنك تعانين ارتجاجًا، وتحتاجين إلى غرز في وجنتك".

كانت الشمس قد غابت وبدأ الظلام يخيم على الأجواء، إذ كانت قد مرت أربع ساعات منذ وقوع الانفجارات. وكان المسعفون قد نقلوا قبل فترة طويلة الحالات الحرجة إلى وحدات الجراحة. وهناك عدد قليل للغاية من المدنيين الذين لا يزالون في الجوار في ساحة انتظار السيارات خارج ملعب فورد فيلد، والتي تمتلئ الآن بسيارات من وزارة الأمن الداخلي، والمباحث الفيدرالية، ودوريات الولاية، بالإضافة إلى عربات وسائل الإعلام، ومروحيات البث الإخباري التي تحلق في سماء المنطقة. ففوق انفجار في ظل مباراة كرة قدم في الدوري الأمريكي لن يبقى طي الكتمان طويلًا.

كانت هناك على ما يبدو ثمانية انفجارات في المجممل، وقد وقع كل منها في نقاط مختلفة في الجهة الجنوبية للملعب، وكان الفارق بينها بضع ثوانٍ قليل لي إنها لم تكن في الحقيقة قنابل، بل بالأحرى ألعاباً نارية قوية للغاية وضعت بشكل إستراتيجي في صناديق القمامة الممتلئة حتى آخرها في الأماكن التي سيزيد فيها صدى الصوت من صوت الانفجارات في كل من الباحة والملعب، بما في ذلك البوابة إيه، حيث كنت متمركزة.

لم ينتظر المشجعون في ملعب فورد فيلد تفسيراً عندما سمعوا صوت الانفجارات؛ فلم يميزوا بين الألعاب النارية المدوية وقنبلة الإرهابي. عندما وقعت الانفجارات، واحد تلو الآخر، بات هناك سباق محموم نحو المخارج لم يتمكن أحد - ولا حتى المباحث الفيدرالية - من وقفه. وحتى لو كان عملاؤنا قادرين على منع الحشود من الخروج، فإن البروتوكول لن يسمح لهم بذلك، إذ إن إجراءات الإخلاء تتطلب أن تكون جميع الأبواب مفتوحة على مصاريعها للسماح للناس بإخلاء المكان على نحو مثالي. كان علينا حرفياً ترك الجميع يغادرون، لأنه كان يعتقد في تلك الدقائق الأولى الحرجة أنه هجوم إرهابي. بذل بوكس والفريق كل ما بوسعهم لاحتواء الفوضى، لكنها كانت خارج السيطرة؛ كان الناس يقفزون في سياراتهم ويهربون بسرعة قبل أن نعرف حتى الطريق.

سار بوكس نحوي ووضع يده على كتفي وقال: "من حسن حظك أن طلبة أذنك لم تنفجر"، وهو ما اعتقدت أنه حدث في البداية، "كنت بجوار أحد صناديق القمامة مباشرة حيث انفجر إم-إيتيز".

لمست بحذر الشاش الموضوع على وجنتي وقلت: "إم ماذا؟".

فقال: "كانت الألعاب النارية من نوع إم-إيتيز، وهي في الأصل متفجرات عسكرية. وقد حُظر شراؤها في الستينيات، لكن لا يزال الناس يشترونها بشكل غير قانوني. اللعنة، أعتقد أنني كنت أستخدمها عندما كنت طفلاً. فصوتها يصم الآذان، إذ يوازي في قوته أربعة أو خمسة أضعاف قوة صوت الألعاب النارية التي نشتريها بصورة قانونية".

قفزت من عربة الإسعاف واستغرقت لحظة حتى تهدأ أعصابي، ثم قلت: "كيف وضع المتفجرات في الملعب؟".

فقال بوكس: "أوه، إن الأمر سهل يا إيمي"، وترك مسافة قدرها سنتيمتران بين إبهامه وسبابته، وأضاف: "فهي في هذا الحجم ولا تحتوي على أية معادن". "وماذا عن المفجر؟".

"لا بد أنه استخدم مفجراً عن بعد، فيمكنك شراؤه من أي متجر للألعاب النارية".

رائع، رائع.

قلت: "كان يتوقع قدمونا".

فضم بوكس شفتيه وقال: "لم تذكر التقارير الإعلامية أي شيء بشأن ربطنا بينه وبين مباريات كرة القدم، لكنه ذكي ونحن نعلم ذلك. لذا أظن أن ذلك كان مجرد إجراء احترازي من جانبه. فعندما رأيك، علم أنه يحتاج إلى سبيل للهروب، ففعل ذلك".

تهتت، فكالعادة، كنا نلعب الورق، بينما يلعب المجرم الشطرنج. سألت راجية ألا يكون ذلك صحيحاً: "أهناك ضحايا؟".

"لا يوجد حتى الآن أي ضحايا؛ أصيب البعض بإصابات خطيرة نتيجة التدافع نحو المخارج. إنني لم أر من قبل هذا الكم الهائل من البشر المذعورين". ثم أشاح بنظره محاولاً التخلص من تلك الذكرى الأليمة وأضاف: "لم تصب الانفجارات في حد ذاتها إلا الأشخاص الذين كانوا يقفون بجوار صناديق القمامة مثلك. لكن الذعر كان العامل الأكبر في تلك الإصابات، فقد قيل لي إن هناك مئات من الأشخاص مصابين بكسور في الضلوع، وكل أنواع الرضوض والكدمات، لكن حتى الآن لم يمّت أحد".

حمداً لله على ذلك؛ أول خبر جيد في هذا اليوم.

أمسك بوكس برسم تخطيطي للمجرم كان قد رسمه أحد رسامي الشرطة بناءً على وصفي. كان شعره أسود وكثيفاً وكان ملتحيًا ويرتدي نظارة سميكة الإطار وقبعة فريق اللايونز وسترة عسكرية مغلقة.

وقال: "من الواضح أنه متخف، لكن يبدو أنه هو".

وأضاف: "حسناً، دعينا نر إذا ما كنا نستطيع إيجاداه على شاشات الفيديو وهو يدخل الملعب اليوم لنعرف أين كان يجلس، ومن ثم نعمل بشكل عكسي".

فقلت: "حسناً، دعنا نفعل ذلك، ينبغي أن أكون هناك، فأنا من رأيتة".

أمسك بوكس بذراعي وقال: "تحتاجين إلى الذهاب إلى المستشفى يا إيمي".

فحررت ذراعي من قبضته وقلت: "أنا بخير".

"كلا يا إيميلي جين، ستذهبين إلى المستشفى، فأنت تحتاجين إلى غرز على أقل تقدير. هذا أمر".

حدقت إليه متحدية، وكان هو من أشاح بعينه أولاً. لن يتظاهر أحد منا بأنه يستطيع أن يأمرني بفعل أي شيء.

قلت له: "هاريسون بوكمان، ستأخذني إلى شاشة الفيديو الآن، وإلا ستكون أنت من يحتاج إلى غرز".

الفصل 86

بعد مرور ساعتين، كان الإنهاك قد أصابنا نحن الأربعة، بوكس وصوفي وديني وأنا، وباتت رؤيتنا مشوشة، وكانت رائحة الطعام لا تزال تفوح في المقصورة التي باتت مقرًا لمركز القيادة.

قال بوكس: "إذن، نحن نعلم الآن أنه على الأقل لم يصل إلى الملعب بالمظهر الذي كان يتخفى فيه عندما رأيته". كنا قد فحصنا الفيديوهات التي سجلت عند جميع المداخل المؤدية إلى الملعب ولم نره. كان المجرم يتخذ مظهرًا آخر عندما مر بجانب الأمن لبدء المباراة.

حك بوكس جبهته بقوة، كما لو أنه يحاول محو بقعة حبر وأضاف: "كانت هذه هي فرصتنا لمعرفة مكان جلوسه، لكنها ليست الطريقة الوحيدة. فلا بد أنه سيظهر في كاميرات مختلفة، ولعل الحظ يصيبنا فيما يتعلق باللقطات المأخوذة للزحام".

أومأت برأسي كما لو أنني أجد أملاً في تلك العبارة، لكن ذلك لم يكن حقيقياً. كان المجرم مستعداً لكل شيء؛ فهو في كل مرة يسبقنا بخطوات كثيرة. قلت: "من يعرف حتى إذا كان سيذهب إلى مباراة أخرى أم لا، نأمل أن يكرر فعلته من منطلق العناد، لكنني لا أراهن على ذلك"، ثم أسندت رأسي إلى المقعد وأضفت: "كانت هذه هي فرصتنا".

صوفي: "حسنًا، دعونا لا نشاءم؛ فلننظر إلى مباريات الأسبوع التالي ونضع خطة. إنه الأسبوع الخامس من الموسم، أليس كذلك؟ ومازلت تعتقدين يا إيمي أنه قد يذهب قريباً إلى أحد ملاعب بنسلفانيا - بيتسبرج أو فيلادلفيا. لذا دعونا..."، فأخرجت جدول مباريات الدوري واستطردت: "أوه، انظروا! هناك مباراة يوم الأحد المقبل. سيلعب فريق ستيلرز أمام فريق إيجلز يوم الأحد الموافق السابع من أكتوبر في الساعة الواحدة مساءً. هذا جيد، أليس كذلك؟".

أغلقت عيني؛ فرغم محاولة صوفي المحمودة لبث بعض الأمل في النفوس، كانت الصورة أمامي مظلمة ظلاماً دامساً.

قلت: "إنه يعرف الآن أننا بتنا على علم بحضوره مباريات كرة القدم، فهل تعتقدين أنه سيذهب مرة أخرى ليعلق في خيوط العنكبوت؟".

فقال ديني: "معذرة، لا بد أنني لم أطلع على ذلك الأمر المتعلق بينسلفانيا". بات كل منا يعمل في جزر منعزلة في هذا التحقيق، فقد كان ديني يقضي الكثير من الوقت في القيام بالعمل الميداني.

قال بوكس مفسراً الأمر له: "كانت إيمي تتبع نمط زيارته إلى الملاعب، فمتى يذهب إلى منطقة، حيث توجد مجموعة من ملاعب كرة القدم، يترك بين الزيارة والأخرى أسابيع كثيرة حتى لا تصبح زيارته إلى المنطقة ذاتها منتظمة، كما هي الحال في فلوريدا عندما ترك فترات طويلة بين زيارته إلى جاكسونفيل وميامي وتامبا باي".

قال ديني مدركاً: "وهو لم يذهب إلى بنسلفانيا بعد، حسنًا، وبهذا لم يتبق إلا أسابيع قليلة فحسب في جولته في الملاعب، لذلك إذا كان سيذهب إلى بنسلفانيا مرتين، فمن الأفضل أن يبدأ الآن، فهمت".

حمدًا لله أنه أدرك ذلك، فحياتي باتت أفضل الآن. كنت أعاني ارتجاجًا، لذلك يمكنني أن أكون وقحة طالما أنني سأتكنم على ذلك بداخلي).

ديني: "هل يمكن لعميل عجوز ومتقاعد مثلي أن يدلي باقتراح؟".
بوكس: "قل".

"هل لنا أن نفكر في احتمالية أنه لن يذهب لزيارة بنسلفانيا؟"
فسألته: "لماذا؟".

"حسناً... أليست الإجابة واضحة؟".

فقلت: "ليست واضحة بالنسبة لي"، كان صبري ينفد، لا بد أنه الارتجاج مرة أخرى.

ديني: "لعله يعيش في بنسلفانيا، ولا يريد لنا البحث هناك".
اعتدلت في جلستي.

بوكس: "نحن نعتقد أنه يعيش في منطقة الغرب الأوسط، هل تتذكر ذلك؟"
"أتذكر أنكم قتلتم ذلك، أجل، لكن هذا لا يعني أنني أتفق مع هذا الرأي".
أشرت بإصبعي إلى ديني وقلت: "تتمركز جرائمه في أثناء توقف دوري كرة القدم حول ولايات الغرب الأوسط، لذلك يتضح من الأمر أنه في أثناء الفترة التي لا يذهب فيها إلى الملاعب، يرتكب جرائمه بالقرب من منزله".
فقال ديني: "إنني أتفهم أن هذه هي النظرية".

فنهضت وقلت: "لكنك تقصد يا ديني لم لا يكون المجرم يعبث معنا في ذلك الجزء من القضية، كما كان يعبث معنا في الأجزاء الأخرى منها؟".
فقال ديني: "بإيجاز شديد، أجل".

نظر بوكس إليّ وقد عادت الدماء إلى وجهه وقال: "لقد ابتكر نمطاً ليبدو كأنه يسكن في منطقة الغرب الأوسط في حال اكتشفنا ما يفعله. أهو متقدم في تفكيره إلى هذا الحد؟".

فضحت بصوت عالٍ من ذلك السؤال وقلت: "إنه يسبقنا بسنوات ضوئية يا بوكس".

نهض بوكس من مقعده وأوماً قائلاً: "إذن فهو يعيش في بنسلفانيا؟".

ديني: "إذا كان هناك أحد لديه رأي أفضل، فليفضل بقوله".

نظرت إلى بوكس: "بالطبع لا، الأمر يستحق المحاولة. فلنفحص لوحات السيارات التي كانت منتظرة في الساحة".

رفع بوكس اللاسلكي إلى فمه وقال: "من بوكمان إلى قائد فريق الاستجابة السريعة ديد".

وبعد لحظة، صدر صوت من اللاسلكي قائلاً: "أنا ديد".

"لقد فحصت يا ديد لقطات الفيديو المأخوذة لأماكن انتظار السيارات خارج ملعب فورد فيلد في أثناء المباراة، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح أيها العميل، ونجري فحص لوحات السيارات الآن بينما نتحدث".

"هل هناك أية لوحات تابعة لولاية بنسلفانيا؟".

"دعني أفحص ذلك".

صمت جهاز اللاسلكي.

فقلت وأنا أشعر ببعض الدوار: "كومنولث بنسلفانيا".

"ما هذا؟"

"إنها كومنولث بنسلفانيا، وليست ولاية بنسلفانيا".

عاد الصوت من اللاسلكي يقول: "هناك ثلاث لوحات تابعة لبنسلفانيا".

"افحصها سريعاً يا ديد".

"علم".

أوما بوكس لي مرة أخرى وقال: "إذن بنسلفانيا ليست ولاية؟".

"أعتقد أنها لا تزال تعتبر ولاية".

"أتمنى ذلك، فهذا من شأنه أن يعيث بدولتنا".

كنت أنا وصوفي نجلس أمام اللاب توب مستعدين لإجراء البحث في الدقيقة التي نحصل فيها على الأسماء.

سألني بوكس: "ما الكومنولث على أية حال؟".

"كيف يفترض لي أن أعرف يا بوكمان؟".

"أنت من قال ذلك".

قضينا خمس دقائق أخرى تسيطر عليها هذه الحالة من الاندماج في هذا المزاج، إذ كان كل منا يحاول التعامل مع التوتر الذي ينتابه، قبل أن يعود الصوت من اللاسلكي مرة أخرى.

"حسناً أيها العميل، هل أنت مستعد؟".

"مستعد".

"السيارة الأولى مسجلة باسم ديفيد إيبس، وهو يعيش في مدينة بيفير فولز".

فقالت صوفي: "سأفحص هذا الاسم"، وبدأت تكتب على لوحة المفاتيح. "والسيارة الثانية مسجلة باسم مارلون كומר... كومرفورد، أظن ذلك"، تهجى الاسم ثم قرأ لنا العنوان، وهو في مدينة إيرى بينسلفانيا. فقلت: "سأفحص هذا الاسم".

فقال العميل: "والثالثة مسجلة باسم جراهام، ونستون جراهام".

الفصل 87

كان مجرد حدس، مجرد نظرية من مئات النظريات والخيوط التي بحثناها، لكنّ ثمة شيئاً في تخمين ديني - أن القاتل يعيش في بنسلفانيا - يبدو صحيحاً لي بطريقة أو بأخرى. وحقيقة أن هناك ثلاث سيارات فحسب سافرت من بنسلفانيا لحضور هذه المباراة سهلت التحقق مما إذا كانت تلك النظرية صحيحة أم خاطئة.

لكن البداية لم تكن مبشرة بالخير. فقد استغرقت أنا وصوفي ما لا يقل عن عشرين دقيقة لاستبعاد أول اسمين من القائمة التي حصلنا عليها. كان الاسم الأول لديفيد إيبس المقيم في مدينة بيفير فولز بينسلفانيا، والذي يعمل مدرساً في مدرسة ابتدائية، وهو متزوج ولديه ثلاثة أطفال وشقيق يعيش في ديترويت، وهذا يفسر سبب حضوره مباراة اللايونز. أما الاسم الثاني فهو لمارلون كومرفورد المقيم في مدينة إيرلي بينسلفانيا، والبالغ من العمر ستين عاماً، وهو متقاعد من منصب في إدارة النقل التابعة للمدينة، وتشير بيانات مكتب حجز تذاكر المباراة إلى أنه حامل لتذكرة موسمية يسافر بها إلى كل مباراة إياب لفريق اللايونز.

وكان ونستون جراهام هو الاسم الثالث. فاشتركنا أنا وصوفي في فحص بياناته على أمل أن نجد فيه ضالتنا؛ لأنها فرصتنا الأخيرة. وقلت بينما أبحث

في قواعد البيانات ذات الصلة: "إنه أعزب، ولم يتزوج من قبل، وليست له سوابق جنائية أو بصمات مسجلة".

وقالت صوفي: "والده - ريتشارد وديانا - متوفيان، وقد ماتت والدته قبل تسع سنوات، وليس له أقارب آخرون، فهو ابن وحيد نشأ في ريدجواي بينسلفانيا. كما أن لديه مسارًا بريديًا وهو ما يشير إلى أنه يعيش في منطقة ريفية".

فنظرنا أنا وبوكس إلى بعضنا وقلت: "لو كنت أريد كتابة سيرة ذاتية عن القاتل، لقلت إنه شخص وحيد يعيش في مكان ناءٍ ولديه متسع من الوقت". ففكر بوكس في الأمر وأومأ، ثم أمسك بهاتفه وقال: "أوصلني بالعميل المناوب في مكتب بيتسبرج الميداني". وبعد فترة صمت طويلة، بدأ بوكس بتقديم نفسه إلى العميل. فقال: "أحتاج إلى مذكرة تفتيش، هل المحامي العام المساعد موجود لأتحدث معه؟ عظيم. أوصلني به".

حل الصمت مرة أخرى، بينما كان بوكس ينتظر المدعي الفيدرالي الذي يعمل في الفترة المسائية في بيتسبرج، والذي ستكون وظيفته التحدث إلى القاضي الفيدرالي الذي يفحص طلبات مذكرات التفتيش الطارئة في هذا الوقت من الليل.

"الاسم هو ونستون جراهام"، قالها بوكس بعجالة متهجئًا الاسم الأخير وتلا رقم الضمان الاجتماعي ورقم رخصة القيادة وعنوان المنزل. "سجلات الهاتف والحسابات البنكية والبطاقات الائتمانية ومذكرة تفتيش لفحص المبنى، إنني أعمل الآن على كتابة إفادة مشفوعة بيمين. ماذا؟ لم... لم لا؟"، بدأ بوكس يذرع المكان جيئةً وذهابًا. "أجل، إنه هو. أجل، إنه هو. أنصت... أنصت لي. لا يعني أن القاضي نائم. الرجل الذي نطارده هو الرجل الذي وضع المتفجرات في ملعب فورد فيلد اليوم. نعم، ذلك الرجل. وهو ليس هذا الرجل فحسب، بل هو أيضًا السفاح ومفتل الحرائق الذي يجوب البلاد. هذا... حسنًا، ولكن أنصت لي، ليس لدينا وقت، فلا بد أن نسرع في ذلك؛ لأننا ليس لدينا وقت! افعل ذلك فحسب... أعطني كل ما تستطيع بأسرع ما يمكن. أعتقد أنه يمكنك التعامل مع ذلك؟".

أغلق بوكس الهاتف وقال: "هؤلاء المحامون الحمقى لا يعتقدون أن لدينا ما يكفي من أدلة لطلب مذكرة التفتيش".

ديني: "لعلهم على حق، نحن نعتقد أن القاتل ربما يعيش في بنسلفانيا، وجراهام يعيش في بنسلفانيا مثل ثلاثة عشر مليون شخص آخر. ونعتقد أن القاتل كان في المباراة اليوم، وكذلك كان جراهام، مع ستين ألفاً آخرين. وهو يعيش بمفرده. وهذه الاستنتاجات على الأرجح غير كافية للقاضي".

"ربما يكون هذا دليلاً كافياً"، أدارت صوفي اللاب توب حتى يكون مواجهاً لنا، فرأينا سجلات ونستون جراهام في إدارة النقل التابعة لولاية بنسلفانيا. واستطردت: "لقد جدد رخصة قيادته قبل ثمانية أشهر، وحصل على صورة جديدة، هل يبدو مظهر هذا الرجل مألوفاً؟".

لم تكن جودة الصورة عالية، ما يجعلها تذكرنا بالصورة المشوشة التي حصلنا عليها للقاتل من كافيتريا بيني في أوربانا بولاية إلينوي، عندما التقى كورتس فالنتين. ولكن على عكس تلك الصورة التي لم تظهر سوى القليل من انحناءة وجهه وأنفه الطويل والنحيف، بينما كان يخفض نظره ويبعد وجهه عن الكاميرا، فإن الصورة التي التقطت له لتجديد رخصة القيادة كانت تظهر وجهه بالكامل. كان يضيق عينيه في الصورة، وكانت عيناه صغيرتين ونائمتين، كما لو أن شخصاً يرتدي نظارة طبية طلب منه أن يزيلها (وهو ليس سعيداً بذلك). وعلى عكس شريط الفيديو في كافيتريا، حيث كان يبدو أصلع تماماً، فإن ونستون جراهام كان لديه بعض الشعر البني الفاتح فوق أذنيه، ولكنه كان خلاف ذلك أصلع. وكان لغده يحجب ذقنه نظراً لعمره ووزنه. كان يبدو أكبر من سنوات عمره الأربعين بقليل، ولكن بالنسبة لي، لم يكن هناك شك.

قلت وأنا أشعر بدفقة من الأدرينالين: "إنه هو"، وانتابني شعور بالزخم من يكن مبرراً قبل ساعات.

بوكس: "اللعنة، هذا هو، هذا هو المجرم".

سألته: "متى سنغادر؟".

"فليعد الجميع إلى الفندق ويحزم حقائبه، سنغادر بأسرع ما يمكن".

الفصل 88

كنت في المراحل الأخيرة من حزم حقائبي، حيث ألقيت بمستحضرات التجميل في إحدى الحقائب، بينما كنت أشاهد تغطية السي إن إن العاجلة للانفجارات على التلفزيون، والتي وقعت في مباراة اليوم ومطاردة "مفجر ملعب فورد فيلد". كانوا يكررون الأخبار؛ لم يكن بإمكانهم التوقف عن متابعة الحدث، لكن لم يكن لديهم شيء جديد يقدمونه بخلاف الشهادة الجديدة غير المؤكدة لبعض المشجعين التي تروي لحظات الانفجارات الصاخبة والاندفاع الجنوني نحو المخارج. قال أحدهم، كان الأمر يشبه أحداث الرابع من يوليو؛ وقال آخر، ظننت أنني فارقت الحياة، وتحدث آخر عن شعوره كأن الانفجارات قادمة من جميع الاتجاهات في وقت واحد.

رأينا رسوماً بيانية لملاعب فورد فيلد وأسهماً ونقاطاً متوهجة حمراء تظهر نقاط الانفجار في الطرف الجنوبي. وصرح أحد المسؤولين في المدينة أن المجرم اختار المكان المثالي لتضخيم الصوت في الباحة لتعظيم أصوات الانفجارات والهلع الناتج عنها.

قيل لنا إن السلطات استبعدت صلة الجماعات الإرهابية بالحادثة. فقد قالوا إن المشتبه به رجل أبيض في الثلاثينيات أو الأربعينيات من عمره، وطمأنوا المشاهدين بأنه يتم مطاردة مكثفة له تشترك فيها السلطات المحلية

والفيدرالية. وقد أعلن الآن عن وفاة ثلاثة أشخاص، وأن جميع الإصابات نجمت عن التدافع الذي تلا الانفجار بينما كان المشجعون يندفعون نحو المخارج. قفزت ارتعاداً عندما سمعت باب الغرفة يدق. فنظراً لتلك الظروف، من شأن مواء القطة أن يجعلني أقفز من الخوف.

كان بوكس، فجعلته يدخل وعدت إلى حزم متعلقاتي.
وقلت: "كنت أعتقد أننا سنتقابل في الردهة".

"أجل، هذا ما اتفقنا عليه. فكرت فحسب... فكرت فحسب أن أصعد إليك".
"حسناً، هل هناك تغيير في الخطط؟".

"كلا، كلا، ليس هناك تغيير، لكن الطيار لن يكون في الطائرة قبل ساعة، لذا فإن أمامنا بضع دقائق".

"أوه، حسناً"، تساءلت ما الذي يريده من تلك الدقائق.

عندما عاودت النظر إليه، رأيت أنه قد ابتعد عني تماماً ويعبث ببقعة كانت تطلخ خزانة الأدراج الرخيصة في الغرفة. ووجدته يرفع يده قبل أن يضمها.
"عندما سمعت ذلك..."، قالها ثم تتحنج بقوة.

وحل الصمت لأنه لم يكمل جملته، فتوليت الأمر بالإجابة عنه.

وقلت بهدوء وأنا أقترب منه دون أن أجتاز مساحته: "عندما سمعت ذلك الانفجار الأول القادم من الطرف الجنوبي".
"اعتقدت... اعتقدت أنك مت".

"لكني لم أمت يا بوكس، فأنا بخير. وقد تخطينا ذلك الأمر ومضينا قدماً،
أليس كذلك؟ أليس هذا ما تقوله دائماً؟".

أوماً برأسه؛ كانت مشاعر بوكس تتصادم معه دائماً كالزيت والماء.

فقلت: "حسناً، إذن دعنا نركز فحسب...".

"ظلت أتصل بك، ولم... ولم تجيبي".

لم أقل شيئاً، وشعرت فجأة بأن الغرفة دافئة للغاية.

"عندما بدأت هذه القضية، لم أكن أعتقد حقاً أن نظريتك ستؤدي إلى شيء. كان لديك بعض البيانات المثيرة للاهتمام، لكن بكل صدق، كنت أشك في الأمر". ثم استدار برأسه فاستطعت أن أرى ملامحه الجانبية حيث عيناه المتعبتان وشعره غير الممشط. "كنت أريد فحسب العمل في القضية لأنك تعملين بها. وهذا يبدو سخيماً الآن بعد أن اكتشفت وحدك هذا الوحش".

"حسنًا، إنتي سعيدة أنك فعلت ذلك، انظر إلينا الآن، أعتقد أن المدعو ونستون جراهام يمكن أن يكون..."

"أحتاج إلى قول ذلك يا إيمي، دعيني أقلها"، وأخذ نفسًا ثم أضاف: "أنا لا أزال..."

رن هاتفه الخلوي، وظلت جملة نصف المكتملة عالقة بيننا؛ أنا لا أزال...، فسحب هاتفه من حزامه ورد في ضجر: "أنا بوكمان"، ثم انتبه واستطرد: "ماذا؟ من؟ إم إس..."

فالتفت إليّ وقال: "غيري إلى قناة إم إس إن بي سي". فأمسكت بجهاز التحكم عن بعد وبحثت في القنوات غير متأكدة من المكان الذي أجد فيه هذه القناة، لكن بعد بعض البحث، وجدتھا.

كان شريط الأخبار العاجلة الظاهر أسفل الشاشة يقول كل شيء. عاجل: جار ملاحقة المشتبه به في بنسلفانيا.

"... يُعتقد أن مفجر ملعب فورد فيلد موجود هناك. وللتأكيد، فقد أكد مصدر مقرب من قناة إم إس إن بي سي أن المحققين الفيدراليين يركزون على موقع في ريف بنسلفانيا؛ حيث يعتقدون أن مفجر ملعب فورد فيلد موجود هناك".

تمتم بوكس قائلاً: "أوه، اللعنة"، وصاح في الهاتف: "كيف حدث ذلك؟ كيف حدث ذلك بحق السماء؟".

فوضعت يدي على وجهي. فأنا أدرك أنه يمكن أن يكون من فعل ذلك أي شخص. فقد اتصلنا بالسلطات، بما في ذلك الشرطة المحلية وأمور مقاطعة إلك وشرطة ولاية بنسلفانيا ومكتب المباحث الفيدرالية ببيتسبرج. لا يتطلب الأمر سوى شخص واحد لتسريب الخبر.

قال بوكس في الهاتف: "أريد محاصرة محكمة لمحيط منزله، لأنه إذا كان يشاهد الأخبار، فإنه يعرف الآن كم بتنا قريبين منه. ومن الأفضل لكم أن تصدقوا أنه يشاهد الأخبار".

الفصل 89

"جلسة جراهام"

التسجيل # ٢١

٣٠ سبتمبر، ٢٠١٢

سيأتون للقبض عليّ! سيأتون للقبض عليّ!

أوه، هذا رائع، هذا رائع، رائع، رائع. إنكم هناك في مكان ما، أليس كذلك أيها السيدات والسادة العاملون في المباحث الفيدرالية؟ كيف حدث ذلك؟ أريد حقًا أن أعرف، أريد ذلك حقًا. كيف حدث ذلك؟ كيف حددتم مكاني في مباراة كرة القدم تلك؟

أوه، اللعنة، تَبًا، تَبًا كيف... ما... أأه! أأه!

أعتقدون أنكم ستقبضون عليّ حيًّا؟ أهذا ما تفكرون فيه أيها البائسون الأغبياء الملعونون الأوغاد! أعتقدون أنكم ستحبسونني وتدرسونني مثل فأر محبوبس في قفص وتربطونني وتحللون أمواج دماغي حتى تتمكنوا من إيقاف من هم مثلي؟ أوه، هذا مثير للاهتمام، هذا هو مربط الفرس، إنكم تعتقدون أن بإمكانكم إيقاف من هم مثلي. كلا! ألا ترون ذلك؟ ألا تفهمون؟ إنكم لا تستطيعون منع أي شخص مثلي لأنه سيكون أنتم! فأنا بداخل كل منكم! الفرق

الوحيد هو أنني لا أختبئ خلف قناع وأقود سيارتي الرياضية وأرتشف قهوة ستارباكس في مباراة طفلي لكرة القدم. فأنتم مثلي تمامًا، ولكنكم لا تدركون ذلك!

هل تسمعونني؟ هل تسمعونني أيها الأوغاد؟

لماذا ينبغي أن أجعلكم تقبضون علي حيا؟ ها؟ لماذا؟ لماذا ينبغي أن تعرفوا أي شيء عني؟ أنتم لا تستحقون ذلك. كنت أحاول مساعدتكم، كنت... اللعنة! اللعنة! كنت أحاول أن أجعلكم تفهمون، ولكن لماذا يجب أن أهتم بحق السماء بما إذا كان أي منكم يفهمني؟ لماذا يجب أن أهتم بأي شيء بعد الآن؟ فأنتم لم تفعلوا شيئاً تستحقون عليه ذلك. أنتم والقطيع الصغير البائس الذي يتبعكم لم تفعلوا شيئاً واحداً في الحياة تستحقون عليه ما يمكن أن أعلمكم إياه، وما حاولت أن أعلمكم إياه.

لذلك امضوا فحسب في حياة الخراف التي تعيشونها، وافعلوا ما يقوله الجميع، وأخبروا أنفسكم بأن حياتكم طبيعية وجيدة وسعيدة، ولا تشغلوا بالكم بهوية محرك الخيوط أو بما يحدث في العالم، أو بهوية الأشخاص الحقيقيين الذين يختبئون وراء تلك الوجوه المبتسمة والشعر المجفف، وأياً كان، أيا كان، أتعرفون؟ لقد انتهيت من هذا. أنا... لكنكم لن تقبضوا علي حيا. كان من الممكن أن تتعلموا مني الكثير ولكن فات الأوان. لماذا ينبغي أن أهتم بكم بينما لا تهتمون بي؟ بي! لماذا لا قيمة لي؟

أتعتقدون أنكم ستوقفون أشخاصاً مثلي؟ لن تتمكنوا من ذلك أبداً. هل تسمعونني أيها الفتيات والفتيان العاملون في المباحث الفيدرالية؟ لن تتمكنوا مطلقاً من إيقاف من هم مثلي!

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صمت لمدة أربع عشرة ثانية.)

أوه، لا أستطيع... لا أصدق هذا. لا أستطيع تصديق هذا لكن يا لسوء حظكم، فأنا لن أتحنى بهدوء، لا أستطيع، ألا ترون أنني... أنني لا أستطيع...

(ملحوظة عند تفريغ التسجيل: صمت لمدة ثمانين ثانية.)

لم يكن ينبغي أن يكون الأمر كذلك، لم يكن ينبغي أن يكون الأمر كذلك. هذا ليس صحيحاً. هذا ليس عدلاً. أنا لست كما تعتقدون. لكنكم لن تفهموا

أبدًا. ولن تحاولوا حتى أن تفهموا. لقد توقفت عن محاولة مساعدتكم على الفهم. قُضي الأمر.

إنني متعب للغاية، متعب للغاية. لا أريد حقًا فعل ما يجب أن أفعله الآن. لا أريد حقًا أن أفعله، فأنا أقسم لكم إنني لم أكن أريد ذلك، صدقوني من فضلكم، لم أكن أريد ذلك.

لكن لم يعد أمامي خيار. إنها تعرف أكثر من اللازم.

(النهاية)

الفصل 90

إنها الرابعة صباحًا. لم تنقشع ظلمة الليل الحالكة بعد، ولم يحاول حتى بصيص من الضوء أن يتسلل في الأفق ليعلم عن تبدد قتامته. ها هو صباح أحد أيام الخريف الهادئة في ريف بنسلفانيا على وشك ألا يكون هادئًا. يقع منزل ونستون جراهام الريفي في مقاطعة إلك ذات الإدارة الذاتية. وهو محاط من جوانبه الثلاثة بمساحات من الشجيرات المنخفضة لأرض زراعية أهملت منذ فترة طويلة تقع خلفها غابة صغيرة من الأشجار، وكان المنزل مترامي الأطراف مبنياً من الطوب. تظهر تصاميم الطوابق التي حصلنا عليها من سجلات المقاطعة أن المنزل مكون من ثلاث غرف نوم في الجزء الخلفي، ومطبخ، وغرفة معيشة، ووردهة أمامية. وهناك كذلك قبو يمتد على طول الطابق بأكمله.

من الطريق الرئيسي، كان يتفرع طريق ترابي طويل إلى أكثر من ٤٠٠ متر نحو المنزل؛ حيث تقف بجوار المرآب المرفق سيارة جراهام البويك سكايلارك.

زحف أعضاء فريق إنقاذ الرهائن إلى الموقع، وأحاطوا بالمزرعة واستلقوا وسط الأعشاب، ينتظرون سماع الإشارة من بوكس. كانوا يرتدون ملابس سوداء من الرأس إلى أخمص القدمين، وأقنعة واقية من الغازات وخوذات، ويمسكون ببنادق رشاشة ويحملون أسلحة نارية في الأجرة وقنابل صوتية في أحزمتهم.

من موقع تمرکزنا الذي يقع على بُعد ٤٠٠ متر فوق تلة صغيرة، رفعت منظار الأشعة تحت الحمراء مرة أخرى. لم تكن هناك حركة في المنزل أو أضواء بداخله أو خارجه. كل ما أستطيع أن أقوله هو أن المنزل كان خاليًا. قال بوكس في هاتفه: "شكرًا لك سيدي"، ثم تنفس الصعداء وأضاف: "حصلنا على مذكرة التفتيش".

كان بوكس قد تحدث في الهاتف لمدة نصف ساعة مع أحد قضاة التحقيق الفيدرالي في بيتسبرج، ليفسر له الأساس الذي يريد من أجله تفتيش محل إقامة ونستون جراهام. كان آخر شيء نحتاج إليه، بعد كل هذا العمل، هو أن يحكم بعض القضاة بأن عملية التفتيش باطلة ويتركننا بلا شيء. رفع بوكس جهاز اللاسلكي إلى فمه وقال: "قائد الفريق، بوكمان يتحدث، هل تسمعني؟".

كسر الصوت الصادر من اللاسلكي سكون الليل وقال: "أسمعك بوكمان".
 "نحن الآن في حالة التأهب".
 "علم".

"هل أنتم في مواقعكم أيها القائد؟".

فحص قائد فريق إنقاذ الرهائن مع أفراد المحيط سريعًا قبل أن يعود إلينا ويقول: "الجميع في موقعهم على أهبة الاستعداد". ألقى بوكس نظرة عليّ وعلى العملاء الآخرين. كنا في قافلة صغيرة من السيارات بعيدًا عن مرأى المنزل: مكتب مأمور مقاطعة إلك وأفراد قوات بنسلفانيا ووحدة الإطفاء المحلية وخبراء المفرقات ومسؤولون من المباحث الفيدرالية، بالإضافة إلى عملاء من مكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية والمتفجرات الإيه تي إف.

بوكس: "أيها القائد، سنرسل كيفين، هل تسمعني؟".
 "أسمعك".

ثم أومأ بوكس إلى عميل الإيه تي إف الذي يقف إلى جواره، وهو رجل يدعى مور. ولكن تركيزي كان منصبًا على الجهاز الغريب الذي يمسك به مور، والذي يشمل شاشة فيديو وعصا تحكم. كان يبدو كأنه مراهق يلعب بجهاز الإكس بوكس.

لكن "كيفين" لم يكن لعبة فيديو، بل جهاز لكشف المتفجرات يعمل كشاحنة تحكم عن بعد صغيرة بعجلات مجنزرة تدور ٣٦٠ درجة. وكنا نستطيع أن نرى ما يراه كيفين من جهاز التحكم عن بعد هذا.

اقترب أحد أعضاء فريق إنقاذ الرهائن من نافذة مفتوحة؛ كان هذا غريباً، وكأن ونستون جراهام يدعوننا إلى الدخول.

وضع عضو الفريق كيفين داخل غرفة المعيشة وقفز مبتعداً للاحتماء على بُعد بضعة أمتار. فأضاءت شاشة الجهاز الذي يمسك به مور، وبتنا بذلك نفتش منزل ونستون جراهام من الداخل، ونرى ما يراه كيفين على شاشة صغيرة. كانت غرفة المعيشة تمتلئ بالأثاث العتيق وتضم مطبخاً صغيراً مفتوحاً. الغرفة قديمة الطراز، لكنها كانت مناسبة للعيش بلا شك. فوق منضدة الإفطار كانت هناك زجاجة من الشراب والصحف تتناثر على الأرض في كل مكان، وتغطي تقريباً الأرضية الخشبية الصلبة.

الصحف.

يحتاج الحريق إلى ثلاثة أشياء ليشتعل: الأكسجين والوقود والحرارة.

النافذة المفتوحة هي الأكسجين.

والصحف هي الوقود.

بدأ جهاز التحكم عن بُعد الذي يمسكه مور يومض بضوء أحمر، وهو شيء أشبه بإنذار مصغر. كان كيفين يحاول أن يخبرنا بشيء.

إنه يخبرنا بأن هناك مصدر حرارة.

فقلت: "سينفجر المكان".

فصاح بوكس في جهاز اللاسلكي وقال: "تراجع أيها القائد، تراجع..."

فوقع انفجار مكتوم بدد ظلمة الليل بوميضه البرتقالي الساطع الذي ظل يتتالى عبر غرفة المعيشة مبتلعاً الغرفة في لمح البصر، كأن هناك تيناً نفخ نيرانه فيها.

صاح بوكس وقال: "فريق الحرائق، هيا هيا!". فانطلقت شاحنة الإطفاء، وتبعته قوات التدخل السريع بالمعاطف المضادة للنيرون، وخبراء المفرقات، وسمعت الإطارات تصدر صريراً على الطريق المعبدة.

فقال ديني ساسر: "لا يريد لنا أن نقبض عليه حياً".

فارتديت سريعاً معطفي السميك وخوذتي وحملت في يدي قناع الغاز. فصاح بوكس وهو يركض نحو الحريق: "أمّنوا هذا المحيط أيها العملاء، أمّنوا كل شبر من هذا المحيط! فربما يكون ذلك هجومًا مضللًا".

فركضت مع بوكس متجاهلين السيارة المتاحة، وهرعنا بكل سرعتنا نحو المنزل، الذي كان يتصاعد من سقفه الدخان الكثيف والوميض البرتقالي المتوهج.

صحت وأنا ألتقط أنفاسي: "القبو، إنه... في القبو".

الفصل 91

كان بوكس يقف على بُعد بضعة أمتار من المنزل، فمد يده وصاح فيّ قائلاً:
"ابتعدي! ليس مخولاً لك أن تدخلي يا إيمي، أنا أمرك!"

تحركت العناصر التكتيكية بمعدات مكافحة الحرائق جنباً إلى جنب مع رجال الإطفاء، مؤدية دور الحراسة المسلحة، بمدافعهم الرشاشة ودروعهم الواقية، على أهبة الاستعداد لأي شيء أو أي شخص. وبعد لحظات، بدأت خرطوم المياه القوية تطفئ السنة اللهب التي كانت تتصاعد خارج النوافذ؛ حيث كان الدخان الأسود يخرج من كل فتحة في المنزل. فاحتميت بالدرع المضادة للرصاص، في انتظار انفجار آخر أو إطلاق نار أو أي شيء آخر غير متوقع، لأن السيد ونستون جراهام بات خبيراً في الأشياء غير المتوقعة.

وبعد مضي فترة قصيرة، اختفى أي شكل من أشكال اللهب البرتقالي الذي كان يتصاعد من المنزل، تاركاً هيكلًا مبللاً ومتدلياً لا يزال يتصاعد منه دخان ملوث. كان الحريق مخططاً بدقة، ونفذ بشكل جيد، لكن وحدة المطافئ كانت على بعد ٤٠٠ متر فحسب عندما اشتعل.

صاح صوت في سماعة أذني قائلاً: "خال!، الطابق الأول خال!"
كان المكان خاليًا من الأشخاص، يقصدون أحياءً أو أمواتًا، وخاليًا من الأخطار.

القبو. كنت أراهن على أن النيران لم تصل إلى القبو.

فقال بوكس لي عبر قناع الغاز: "ابقي... هنا".

فتراجعت ممتثلة لما قاله.

اختفى الدخان الأسود الذي كان يغمر المنزل، والذي لم يعد يحترق بل يشع حرارة شديدة كنت أشعر بها حتى وأنا أرتدي الدروع والخوذة.

فقلت لنفسي، تذكرني مكانك، ليس مخولاً لك أن تدخل. قد يتسبب تصرفك في ضرر يفوق نفعه. فربما تسقطين على الأرض ويهدرون الوقت في إنقاذك. إنه ليس مكانك.

ارتديت الحذاء المضاد للنيران الذي يتماشى مع بقية الزي من خوذة ودرع وقناع مضاد للغازات وأنبوبة أكسجين ومغطاً وسروالاً ثقيلين. لماذا أعطوني هذه الأشياء إذا كانوا لا يتوقعون مني الدخول؟ سأنتظر خمس دقائق ثم أتوجه إلى الداخل.

كانت الرؤية تكاد تكون مستحيلة عبر الدخان، لكنني أعرف تصميم المنزل، تماماً مثل جميع العملاء، من تصاميم الطوابق التي حصلنا عليها. كنت أستنشق أكسجيناً نظيفاً من قناع الغاز بينما يحيطني الدخان الضبابي القذر. ركزت على الأرض التي أكلتها النيران جزئياً، فوجدت أن هناك أجزاء متفحمة من الصحف متناثرة في كل مكان، وحائمة في الهواء كأنها بقايا احتفال بقصاصات ورق. لم يكن من الآمن اجتياز هذا الطابق، لكنني لست الشخص الأول أو العاشر الذي يعبره، علاوة على أن الصبر لا يعرف طريقاً لي. أعلم أنه إذا تابعت السير في الرواق الرئيسي مباشرة، متجاوزة المطبخ وغرف النوم، سأجد الباب المؤدي إلى القبو.

وجدت الباب مفتوحاً؛ حيث كان الدرج المتجه إلى القبو خالياً من الدخان. فنزلت وقلت لنفسي، هناك ما لا يقل عن عشرة عملاء، فلا يهم مدى براعته، إذ إنه لن يتمكن في النهاية من مهاجمة عشرة أشخاص.

أليس كذلك؟

وصلت إلى نهاية الدرج واستدرت. كان الجزء الرئيسي من القبو غير مكتمل وقذر؛ حيث كانت جدرانها وأرضيته إسمنتية، وكان هناك سخان ماء وجهاز لتنقية المياه وغسالة ومجفف في إحدى الزوايا، ومقعد رفع أثقال وأثقال وأوزان حرة في الزاوية الأخرى.

ولكن كان هناك ممر طويل به أبواب على الجانبين. فدفع العملاء كلا منها، مصوبين أسلحتهم نحو الداخل. كنت أسمع صدى الصيحات التي تقول "إف بي آي!" و"إيه تي إف" و"عملاء فيدراليون!". فأزلت القناع المضاد للغاز وتابعت السير في الممر، حيث كان العملاء يفتشون غرفة تلو أخرى.

"كل الغرف خالية!"، صاح أحد العملاء إلى بوكس الذي أوماً ونظر حوله متأملاً. وعندما رأيته، كان قد فقد القدرة على الشكوى، فاكتمى بالاستهجان. كان المنزل بأكمله، بما في ذلك الطابق الأول والقبو، خالياً.
أين أنت يا ونستون جراهام؟

عدت إلى المنطقة الرئيسية حيث القبو والأدوات ومنطقة التدريب. ثم لاحظت أن هناك خزانة في الزاوية، وكانت عبارة عن هيكل معدني رمادي اللون لا يقل ارتفاعها عن مستوى طولي، ذات باب مزدوج وقفل مفتوح ومعلق فوق أحد المقابض.

بالنسبة لرجل دقيق مثل ونستون جراهام، فإن ذلك يعني دعوة لفتحه.
فقلت: "هنا، انظروا هنا!"

فقال بوكس وهو يمسك بذراعي ويدفعني إلى الخلف: "تراجعي، اللعنة". وأوماً بإصبعه على عجل نحو الخزانة. فاقترب العملاء من جانبيها ونزع أحدهما القفل. ثم جذب اثنان منهما، في وقت متزامن، مقبضها وفتحا الباب المزدوج.

كانت الخزانة بالداخل تبدو كأى خزانة أخرى؛ حيث كانت تتكون من ثلاثة رفوف، اثنان منها فارغان تماماً. في الواقع، كان هناك شيء واحد فحسب على الرف الأوسط.

كانت كومة من الورق.

مربوطة بشريط أرجواني.

فقال بوكس وهو يقترب من الخزانة وينظر إلى الورقة الأولى من كومة الأوراق: "ما هذا بحق السماء؟ ما هي بحق الجحيم" جلسات جراهام؟".

الفصل 92

بزغ الفجر، وبدأ الضوء يتسلل في الأفق عبر السماء، ولكن كانت لا تزال الأجواء مظلمة نسبياً. كنا في طريق العودة جالسين في الجزء الخلفي من إحدى شاحنات قوات التدخل السريع، ومستخدمين أرضية القمر كمكتب، نفرش عليها رزمة من الوثائق؛ وهي تأملات عشوائية لسفاح أطلق عليها اسم "جلسات جراهام". كانت مرقمة ومؤرخة ويبلغ عددها في المجلد ٢٢ جلسة. كان يبدو أنها مسجلة شفويًا. فلعله كان يستخدم أحد تلك المسجلات ذات التقنية العالية التي تنسخ كلماته تلقائيًا وتحولها إلى نصوص.

فرشنا الورق المتعلق بكل جلسة على أرضية الشاحنة، وكنا نقرؤها سريعاً في البداية، إذ سيكون هناك متسع من الوقت فيما بعد لتحليل اختياراته للكلمات والمصطلحات العامة وتحليل كل جملة.

لكننا كنا نبحث في ذلك الوقت عن أي خيط يقودنا إلى معرفة مكان اختباء هذا الوحش. لذلك مررت سريعاً على التفاخر المثير للاشمئزاز الذي كانت تضمه تلك الصفحات وال فقرات المقززة التي يروي فيها تعذيبه للضحايا، باحثة عن أي شيء، أي شيء قد يمدنا بدليل... فصحت قائلة: "ماري"؛ لقد ذكر امرأة اسمها ماري في التسجيل رقم اثني عشر، وهي محادثة معها سجلها في كافيتريا، ثم ظل يعاود ذكرها في الفصول اللاحقة. أصبحت ماري في الواقع هي ما أركز عليه مع كل مقطع جديد أقرأه. كانت لديه مشاعر نحوها، وكان قد فتح قلبه لها وأصبح معذباً بسببها، لأنه وقع في حبها.

كانت ماري نادل في كافيتريا، وطالبة بدوام جزئي، ومتعافية من إدمان الكحوليات. لكن، ما اسمها الأخير؟ وأين تسكن؟ هل سيكون علينا أن نبحث في كل بنسلفانيا عن امرأة اسمها ماري؟

لكننا وجدناه بعد ذلك ينهار عندما أدرك أننا نضيق عليه الخناق. ما زالت نوبات تعظيمه لنفسه تتوالى، لكنه كان متوترًا، إذ كان قد فقد الثقة بينما يحاول إقناع نفسه، وإقناعنا، بأنه لا يزال متمسكًا.

ماذا سيفعل مع ماري؟

فتمت قائلة: "علينا أن نجدها؟".

رفع بوكس اللاسلكي إلى فمه وقال: "إلى أين وصلت كلاب البحث؟". أجاب الصوت: "إنها هنا، فقد بدأنا بأشياءه ثم سننتقل إلى منطقة الغابات خلف المنزل. فهناك عملاء يمشطون الغابة الآن".

فقال بوكس لي: "لنكمل القراءة، لا بد أن هناك دليلًا عنها في تلك التسجيلات".

ولكنني كنت قد انتهيت تقريبًا، ولم يكن هناك الكثير حتى تلك اللحظة. في التسجيل الحادي والعشرين، المؤرخ بتاريخ أمس، الأحد، بعد أن هرب منا في ملعب فورد فيلد، كان جراهام منزعجًا. كان هذا جيدًا، لكن كلماته الأخيرة أثارت ذعري.

إنها تعرف الكثير.

فقلت: "سيقتلها".

ثم قرأت التسجيل الأخير المؤرخ بتاريخ اليوم الأول من أكتوبر.

الفصل 93

"جلسة جراهام"

التسجيل # ٢٢

١ أكتوبر، ٢٠١٢

لم أكن... لم أكن أريد لك هذا يا ماري. لم أكن أريد لنا هذا. عليك أن تصدقيني من فضلك، قولي لي ذلك كثيرًا... أخبريني بأنك تصدقين ما أقوله. كنت أكذب عليك، وعلى نفسي، محاولاً إقناعها بأنني أستطيع أن أكون مختلفاً معك، وأن كل شيء يمكن أن يكون مختلفاً. لكن من فضلك صدقيني الآن، من فضلك صدقي أنني لو كنت قابلتك في وقت سابق، لكنت الأمور اختلفت، ولكنت تغيرت، أعلم أنني كنت سأتغير من أجلك يا ماري.

لكن فات الأوان، ولا أستطيع أن أتركك... كلا يا ماري، لا أستطيع، معذرة، لم أشعر من قبل بهذا القدر من الأسف، بل لم أشعر بالأسف مطلقاً في حياتي، لكنني أشعر به الآن، لأنك أمطت اللثام عن بعض سرائري، وأردت أن أكتشفها لك وأستكشفها معك. أعلم أنه كان بإمكاننا فعل ذلك، وأن كل شيء سيكون على ما يرام. أرجو أن تتفهمي يا ماري أنه ليس لدي خيار آخر، ليس أمامي خيار سوى أن أفعل ذلك، لأنه بغض النظر عن مدى حبك لي، فإنهم سيعثرون عليك، ويجعلونك تخبرينهم بأشياء عني، وأنا لا أستطيع أن أتركهم يفعلون

ذلك معك. لو كان بإمكانني تركك هنا، لكنك فعلت، لكنني لا أستطيع ذلك؛ ليس لدي خيار آخر. تتفهمين الأمر، أليس كذلك؟ ليس لدي خيار آخر، فالأمر خارج عن سيطرتي.

سيأتون الآن يا ماري، وسيخبرونك بكل شيء عني، ولا أستطيع أن أتركك تستمعين لتلك الأشياء؛ لأنهم سيروونها بطريقة تجعلها أسوأ بكثير من الحقيقة؛ فهذا ما يفعلونه ولا أستطيع السماح لهم بذلك. أفضل أن تتذكري الشخص الذي أحبك، لأنني أحبك يا ماري، أقسم لك إنني أحبك وإنني قادر على الحب بسببك.

ستكرهيني لو سمعت ما سيقولونه. ستكرهيني لو عرفت الحقيقة. أظن أنك ما كنت ستحبيني لو عرفت الحقيقة. كلا، لا أظن ذلك. لم يكن أحد سيحبني! وكيف لهم أن يحبوني؟ كيف لأحد... والآن اصمتي يا ماري، اصمتي. أحمل لك عاطفة خاصة يا عزيزتي ماري لانني. سأحبك وأتذكرك دائماً، وهذا لا بد أن يكون كافياً. أرجوك أن تتفهمي الأمر يا عزيزتي ماري، أرجو أن تفهمي أنني أفعل هذا بدافع الحب، وأنني كنت أتمنى لو أستطيع أن أفعل غير ذلك، كنت أتمنى لو كان الأمر مختلفاً. أوه، لماذا لا يمكن أن يكون مختلفاً؟ لماذا لا يتركونني، ويعطوننا فرصة للتغير ونصبح أفضل؟

لم يتبق لنا شيء الآن ولا يمكنني أن أتركهم يؤذونك أو يجعلونك ضدي. لن أسمح لهم بتدمير ما بنينا، لن أسمح لهم بذلك.

والآن اهتئي بالنوم يا عزيزتي الأميرة؛ اهتئي بالنوم واحمليني معك في قلبك، وأنا سأحملك دوماً في قلبي.

وأعدك أننا سنلتقي مرة أخرى في أقرب وقت.

(النهاية)

الفصل 94

قال بوكس في اللاسلكي: "ماري لاني، ل-ان-ي".

كنت أجلس على أرضية شاحنة قوات التدخل السريع، وأمسك باللاب توب وأبحث في تسجيلات السيارات في بنسلفانيا وسجلات ضرائب الأملاك.

"هناك أربعة أشخاص يحملون اسم ماري لاني في منطقة بيتسبرج".

"هذا بافتراض أنها في بيتسبرج".

"لا بد أنها قريبة من هذه المنطقة، فأياً كان ما فعله معها، فقد عاد إلى هنا

ووضع تفريغ هذا التسجيل في رزمة أوراقه قبل أن يختفي".

"ربما قتلها هنا في منزله".

"لا تقل هذا، لا تقل إنه قتلها".

"يبدو الأمر كذلك يا إيمي".

قلت وأنا أرفع نظري عن الكمبيوتر: "انتظر، عمرها، لقد قالت عمرها،

أليس كذلك؟ أظن أنها في السابعة والثلاثين؟".

"هذا... يبدو... صحيحاً"، قالها بوكس وهو يقلب بين الصفحات المذكورة

بها ماري، حبيبة ونستون جراهام، ثم أضاف: "أجل، في السابعة والثلاثين.

إذن فقد ولدت في عام ١٩٧٥، أو في أواخر عام ١٩٧٤".

انتقلت إلى سجلات الأحوال المدنية في إدارة الصحة التابعة لولاية

بنسلفانيا وقلت: "إن كانت قد ولدت في بنسلفانيا، ستكون... صحيح... هنا!

ها هي؛ مدينة إيلنتاون بنسلفانيا، ماري... أوه، هذه ليست ماري لاني، بل مارتي لاني".

"هل أنت متأكدة؟"

فقلت بتوتر وانفعال: "متأكدة بالطبع، أعرف الفرق بين "مارتي" و"ماري"".

"لعله أخوها".

"ربما، لكن دعنا نستمر في البحث".

فعدت إلى سجلات ضرائب الأملاك لأبحث عن أرقام الضمان الاجتماعي وأطابقها مع قاعدة بيانات السجلات الجنائية. فقد كانت مدمنة للكحوليات، لذلك ربما لها سابقة جنائية.

لكن لم يكن هناك شيء؛ كانت الفتيات الأربع اللاتي يحملن اسم ماري في منطقة بيتسبرج ممثلات جميعهن للقانون.

فقلت: "حسناً، لنبحث في الضرائب، إدارة الإيرادات... إدارة الإيرادات...". كانت السجلات الضريبية تعج بالمعلومات، وكان كل ما أحتاج إليه كبداية هو تاريخ الميلاد. فربما لم تولد في بنسلفانيا، لكنها تدفع فيها ضرائبها.

ظهر على الشاشة أربع فتيات يحملن اسم ماري لاني بأربعة تواريخ ميلاد. فقلت: "تاريخ الميلاد الأول هو ١٩٩٤/٦/٢٢، والثاني هو ١٩٨٢/٥/٣٠... والثالث هو ١٩٦٩/٥/٢٧ والرابع...".

فقفزت على أرضية الشاحنة وقلت: "تاريخ الميلاد الرابع هو ١١/٧/١٩٧٥". فأوماً بوكس وقال: "أهذه ماري التي نقصدها؟".

"مهلاً، مهلاً، مهلاً. دعني أفحص بيان الأجور والضرائب الخاص بمكان عملها".

أتمنى أن تكون كافثيريا أو مطعمًا؛ أو مكانًا يستعان فيه بنادلة.

فصحت: "أجل! إنها تعمل في كافثيريا إرني سبورت".

أمسك بوكس باللاسلكي وقال: "هذه هي النادلة البالغة من العمر سبعة وثلاثين عامًا التي نقصدها بوكمان يتحدث إليك. أحتاج إلى المروحيات، احشد قوات إنقاذ الرهائن، لقد حددنا المكان".

"سأتي معك"، قلتها وأنا أدفعه بعيدًا عن طريقي وأقفز من الشاحنة قبل أن

يجيب، وأضفت: "إنها لا تزال حية، لا بد أن تكون على قيد الحياة".

الفصل 95

أغلق الطريق السريع ٨٥ في مدينة كيتانينج بينسلفانيا لمسافة ٨٠٠ متر في كل من الاتجاهين المؤديين إلى المنزل الخاص بماري لانى. وكان هناك مساحة شاغرة في الجهة المقابلة للمنزل، ما وفر للمروحيات منصة هبوط آمنة ومريحة. كانت شرطة الولاية قد أحاطت المنزل بالفعل. وسيارات الإطفاء تقف على بعد أقل من ٩٠ مترًا.

ثم خرج فريق إنقاذ الرهائن من إحدى المروحيات الأخرى، واحتشدوا في فترة وجيزة. كانت هذه العملية في ظاهرها مهمة إنقاذ، لكن لا يمكن المجازفة مع ونستون جراهام. فقد نجح في الهروب منا في أكثر من مناسبة، بعد أن كنا قد حددنا مكانه بالفعل، ومن ثم فهو يتفوق علينا باستمرار. أجل، كلماته في جلسته الأخيرة جعلت الأمر يبدو كأنه سيترك ماري - فقد كانت كلماته الأخيرة لها هي "وأعدك أننا سنلتقي مرة أخرى في أقرب وقت" - ولكن لا أستبعد أن يكون داخل هذا المنزل في انتظارنا.

ركض بوكس نحو أعضاء فريق إنقاذ الرهائن وتناقش معهم، بينما كنت أقف في الجهة المقابلة للمنزل. كان منزلًا بسيطًا مكونًا من طابقين، تكسوه ألواح خشبية مطلية باللون الأبيض والأزرق الفاتح ويعلوه سطح مائل. وكان المنزل يقع فوق تلة صغيرة بممر حجري يؤدي إلى الشرفة الأمامية. وبينما كان أفراد شرطة ولاية بنسلفانيا يراقبون المكان مصوبين بنادقهم في كل الاتجاهات،

عبر الشارع اثنان من أعضاء فريق إنقاذ الرهائن، وبصحبتهما سلم وضعاه إلى جانب المنزل. فعندما يحين الوقت، سيصعدانه ليصلا إلى نهاية الدرج في الشرفة الأمامية، ما يسمح لهما بدخول الطابق الثاني من النوافذ في الوقت ذاته الذي يداهما فيه الطابق الأول.

لكن أحدهما لم يصعد بعد. نظرت في ساعتها فوجدتها قد تجاوزت الساعة صباحًا.

بوكس: "أرسلوا كيفين".

فقلت: "سيستغرق هذا وقتًا طويلًا، فلعلها تموت بالداخل".

فأوما بوكس لكنه لم يقل شيئًا.

"بوكس، قد تكون..."

"ليس لدي وقت لهذا يا إيمي".

"وماري ليس لديها وقت".

"أنصتي لي: لا أحد يعلم ما ينتظرنا في الداخل؛ فمزله انفجر وتحول إلى كتلة من اللهب عندما اقتربنا منه. لن أرسل العملاء في مهمة انتحارية؛ سنستكشف أولاً ما إن كانت هناك متفجرات في المكان، أو إن كان خاليًا..."

"وماذا لومات خلال ذلك يا بوكس؟ هل من المنطقي أن يكون بإمكاننا إنقاذ حياة شخص لكننا نجلس هنا متبعين البروتوكول..."

"الأمر لا يتعلق بالبروتوكول فحسب، بل بما يصح فعله. أتريد أن تموت مجموعة من العملاء لأنني لم أتخذ إجراءات احترازية بسيطة؟ أرواحهم مسئوليتي".

"إنها أفضل فرصة لنا للقبض على جراهام".

استدار بوكس نحوي وقال: "إذا لم تصمتي يا إيمي، سأضع الأصفاد في يديك. لن أرسل أحدًا ونحن لا نملك أدنى فكرة عما ينتظرنا بالداخل. ليس بعد كل المفاجآت التي صنعها لنا حتى الآن. أتريد أن تكوني أول من يمر من ذلك الباب؟".

وسار بعيدًا عني متحدثًا في اللاسلكي.

إنها تموت بالداخل وتحتاج إلى المساعدة، داعية أن تحدث معجزة بأن يجدها شخص ما وينقذها. كنت تصلين من أجل ذلك أيضًا، أليس كذلك يا

مارتا؟ لقد تضرعت إلى الله أن يبقذك أحدهم، لكن لم يأت أحد. ولم آتِ أنا،
ولم أكن هناك من أجلك.

فعبرت الشارع راكضة نحو المنزل.

"ماذا تفعلين يا إيمي؟ توقفي! توقفي يا إيمي!"

ركضت على الممر الحجري المؤدي له.

سمعت بوكس في سماعة أذني: "اثبتوا في أماكنكم! هذا أمر مباشر يا

إيمي: لا تدخل ذلك المنزل!"

فنزعت سماعة الأذن وصعدت الدرجات الثلاث المؤدية إلى الشرفة

الأمامية نحو الباب الأمامي؛ كان باباً خشبياً بسيطاً بمقرع قديم الطراز.

أنا آتية يا عزيزتي، أنا قادمة لمساعدتك.

واستجمعت قواي بينما كنت أدير المقبض.

الفصل 96

دخلت المنزل وأنا أحاول تشجيع نفسي لمواجهة أي شيء قد يحدث، لكن لم يحدث شيء؛ فلم يقع انفجار، أو فرقة.

كانت هناك ردهة ورواق، فانتقلت عيني مباشرة إلى الأرضية المغطاة بالخشب الصلب، ووجدت دمًا يلطخ الجزء المؤدي إلى الرواق، ثم يختفي عند الزاوية.

فصحت وأنا أتبع آثار الدماء: "ماري لاني"، بينما كنت ألتزم بالسير في أحد جانبي الرواق لأتجنب الخوض في الدماء والعبث بمسرح الجريمة، ثم أضفت: "مباحث فيدرالية!".

وصلت إلى نهاية الرواق عند حمام صغير. كانت آثار الدماء تصل إلى غرفة المعيشة التي كانت أرضيتها مفروشة بسجادة صوفية خشنة وتحوي أثاثاً متداخلاً. كانت الآثار تنتهي عند أحد الأبواب.

باب القبو.

ففتحت الباب وصحت وسط الظلام: "ماري لاني!".

ومددت يدي على الحائط ووجدت مفتاح ضوء. فضغطت عليه، لكن لم يحدث شيء. لم يكن هناك سوى ظلام دامس للأسفل. أخرجت هاتفي وأضأت مصباحه الضوئي، ووجهته نحو الأسفل، فأصبح هناك بصيص من الضوء

الخافت يبين لي الطريق. كان هناك سلم خشبي مكون من اثنتي عشرة درجة ودرابزين. ولم أكن أرى شيئاً في الأسفل سوى منبسط سلم. صحت: "ماري لاني!".

هبطتُ الدرج بأقصى سرعة ممكنة، مدركة أنه قد يكون مفخخاً، أو وضع ليعوق خطواتي أو يعرقلها، ولكن لم يكن لديّ خيار آخر.

أنا قادمة يا مارتا، أنا هنا وسأساعدك، أعطني فحسب هذه الفرصة، تمهلي فحسب، لا تموتي رجاءً، أرجوك أجيبيني. مسحت بعيني نطاق الضوء الصغير ذهاباً وإياباً، منصتة إلى أية أصوات. وقلت مرة أخرى: "ماري"، كان صوتي يرتجف عندما وصلت إلى الدرجة الأخيرة، ثم أرضية القبو.

فسمعت سعالاً يتردد صداه الرقيق في مكان ما إلى يميني. فاستدرت وسلطت الضوء عشوائياً بينما كان قلبي يخفق. لكن لم أجد شيئاً؛ لم أكن أرى أي شيء سوى خزانة و...

فقرزت عندما خفضت الضوء ناحية الأرضية - كان هناك شيء؛ شيء ثابت، أو شخص يستلقي على الأرض.

أظن أنها امرأة؛ لأن هناك شعراً طويلاً منسدلاً على أرضية القبو، لكن أين العينان والأنف و...

"يا إلهي"، تمتمت وأنا أقترّب منها موجهة بصيص الضوء الأصفر عليها. كان وجهها أرجواني اللون وملطخاً بالدماء، وعيناها مغلقتين من التورم، وأنفها ملتوية وفمها متورماً.

انحنيت بجانبها؛ كانت أنفاسها تجعل جسدها يرتفع ويهبط. لمست كتفها فانفضت. فمررت الضوء على جسدها، لأجدها ترتدي قميصاً أبيض لكنه مشبع بالدماء وسروال جينز أزرق. كان الدم يبدو لعيني غير المدربة بقعاً. فلا يبدو أنها تعرضت للطعن أو إطلاق النار، بل للضرب المبرح في الوجه وليس الجسد.

"أنا من المباحث الفيدرالية يا ماري. أنت في أمان الآن يا عزيزتي". كان وقع الأقدام فوقني مدويًا عندما وصلت قوات التدخل، لقد أمرت المباحث الفيدرالية قواتها بالدخول.

تحركت رأس ماري بعض الشيء لتشير إلى أنها لم تفقد الوعي.

فسألتها: "هل تعرفين أين هو يا ماري؟"، وقلت لها عندما لم ترد: "لا بأس، سنساعدك"، ومسدت على ذراعها برفق.

وصل وقع الأقدام إلى درج القبو، وبات هناك حجم أكبر من الضوء يشع من المصابيح التي كان يستخدمها العملاء.

فقلت: "نحتاج إلى طبيب!"، وبدأت أنهض وأظهر نفسي للعملاء، عندما امتدت يد ماري وأمسكت بيدي. فوضعت يدي في يديها وأخفضت رأسي بالقرب من وجهها.

فهمست لي قائلة: "لا... تتركيني".

فقلت بصوت مخنوق وعينين دامعتين: "لن أتركك يا عزيزتي، أعدك بذلك، فأنا هنا ولن أسمح لأي شخص بإيذائك ثانية".

بدأت ماري ترتجف بشدة، وهرب من حنجرتها صوت نحيب مرتفع. فوضعت ذراعي على ظهرها ويدي أسفل ذقتها، وأمسكت بها، بينما كان فريق إنقاذ الرهائن يندفع إلى القبو بأشعة من الضوء وقوة نارية تعادل قوة جيوش. "سيكون الأمر على ما يرام"، قلت ذلك باقتناع لا أشعر به.

"لن يستطيع إيذاءك مرة أخرى".

الفصل 97

فتحت عيني فرعاً؛ وفي اللحظة التي استيقظت فيها، تبخر الانفجار الصاخب. كانت الأحلام التي تراودني تشبه تلك التي أراها في الآونة الأخيرة، ولكنها كانت لا تركز على النيران المستعرة بل على الانفجار القوي الذي سببها. جفلت وأغلقت عيني من شدة سطوع الإضاءة. لا أعرف لماذا تفعل المستشفيات ذلك في المصابيح العلوية. عندما تفتح ماري لاني عينيها، لن تتمكن من الرؤية.

وستفتح عينيها، أو هكذا يقول الأطباء. كانت الضمادات التي تغطي وجهها المكدم والمحلول الوريدي التي ينغرز أنبوه في ذراعها يُظهران امرأة مدمرة، لكن الأطباء يقولون إن نشاط المخ طبيعي، وهو أمر مطمئن، رغم أنه إذا كان من الضروري أن يفحص أحدهم موجات دماغها، فمن المؤكد أنه شيء غير مطمئن.

كانت ماري تعاني ارتجاجاً في المخ وتهشماً في الأنف، ولم يكن يبدو أنها مصابة بأية كسور أخرى في الوجه، باستثناء كدمة شديدة أرجوانية اللون منعتها من فتح عينيها، إلى جانب فمها ووجنتيها المتورمتين.

كنت أراقب صعود صدرها وهبوطه، وأنصت إلى أصوات أنفاسها الرقيقة. عندما تستيقظ، سنستجوبها للحصول على المعلومات. لقد حاولنا بالفعل بعد أن وجدناها، ولكن كل ما أمكنها التفوه به لم يكن إلا هدياناً، إذ قال الأطباء إنها

تعاني صدمة. وقد عاجوا كدماتها وأجروا لها بعض الفحوصات، لكنهم أمروا بضرورة نومها ساعتين على الأقل قبل أن تتمكن من التحدث إليها مرة أخرى. في هذه الأثناء، كان العملاء الفيديريون يفتشون منزل جراهام. وقد وجدوا الإطارات التي كان يحرقها في الجزء الخلفي من المنزل، وكذلك أسطوانات الغاز والأقنعة الواقية من الغازات، وهي الطريقة التي كان يدخل بها الدخان عنوة في رئات الضحايا ليضبه دخان الحريق. ووجدوا أيضاً جميع أنواع الأدوات الجراحية التي كان يستخدمها في تعذيب الضحايا، وينفذ بها أبحاثه الطبية في الجراحة. وأظهر البحث في نشاطه على الإنترنت أنه كان يتردد على مواقع لتعذيب، ويسعى للحصول على معلومات طبية إضافية. وكشف أيضاً أنه زار صفحات فيسبوك الخاصة بالعديد من ضحاياه، ولم يكن "يصادقهم" مطلقاً، بل يفحص فحسب معلوماتهم حتى يعرف المكان الذي يعيشون فيه، ويعملون فيه، وكل أنواع البيانات الواقعية التي من شأنها أن تساعد على معرفتهم قبل استهدافهم.

ومن الواضح أنه تعلم كيفية إشعال حرائقه من الإنترنت، حيث كان يتردد على موقع يشرح بدقة كيفية افتعال انفجار مؤجل التوقيت: كان يستخدم شريطاً يعلق فيه بالوناً ممتلئاً بالبنزين في السقف، ويجعله يتدلى فوق شمعة مضاءة. أسفل الشمعة، كان يضع كومة من الورق. وبعد أن يغادر، كان لهب الشمعة يذوب لبالون، ما يؤدي إلى تسرب البنزين على اللهب والأوراق، فيحدث الانفجار. بما إن يصل رجال الإطفاء، يكون الحريق قد اشتعل منذ وقت طويل، وتكون هناك آثار للشمعة، ما يؤدي إلى استنتاج أن الحريق نتج عن شمعة سقطت فوق لجرائد أو المجلات.

كانت صورته التي حصلنا عليها من رخصة قيادته منتشرة في كل مكان، في كل محطة إخبارية وموقع على الإنترنت. رأى كل من في الدولة صورة رجل بدين ومائل إلى الصلع وعينيه الضيقتين، ويدعى ونستون جراهام. سيبدو مختلفاً بالطبع؛ سيضع شعراً مستعاراً وربما شارباً، وسيغير مظهر حاجبيه ويرتدي نظارة، أو أيّاً ما كان - فلن يظهر نفسه لأي شخص.

لكن إلى أين ذهب؟ إلى أين يمكن أن يذهب؟ ليست لدينا أية فكرة، فكل ما نعرفه هو أنه سحب أكثر من مائتي ألف دولار من حسابه البنكي، ومن ثم فإنه يملك المال ليفعل الكثير من الأشياء.

فُتح الباب ودخل بوكس، وأوماً لي بنظرة باردة ونظر إلى ماري.
قلت: "لم تمر ساعتان بعد".

"كنت أظن أنها قد تستيقظ من تلقاء نفسها".

"أخبرتكم بأنني سأصل بك عندما تستيقظ".

"لقد أخبرتني بالكثير من الأشياء"، كانت جملة استهلاكية لخطبة شيء أوحى لي أنه تدرّب عليها. "لقد أخبرتني أنني إذا توليت هذه القضية، ستبعين توجيهاتي، ولكنك لم تلتزمي بهذا".

فقلت: "لا أريد الحديث عن ذلك".

"لقد أعطيتك يا إيمي أمراً مباشراً ولم تمتثلي له. كان من الممكن أن تموتني وكان من الممكن أن تتسببي في موت ماري أو تتسببي في انفجار يقضي علينا..."

"لكنني لم أتسبب في ذلك كله، أليس كذلك يا هاريسون؟ لم أتسبب في ذلك، فلتصمت رجاءً".

ظل بوكس واقفاً وترك الصمت يؤدي دوره. كلانا كان يعرف ما هو قادم.
"لا يهمني، فلتستبعدني من القضية أو تفصلني من العمل؛ فلتفعل ما يروقك، لكنني لن أتوقف عن البحث عنه".

"سأستبعدك بالفعل من هذه القضية، لكن ليس مخولاً لي أن أفصلك من العمل، لكنني أعتقد أن ديكنسون سيهتم بذلك. لقد طلب بالفعل تقريراً كاملاً عن أفعالك. وكان هناك حوالي مائتي شرطي من قوات إنفاذ القانون شاهدين على ذلك. ولن أقف في طريقه؛ لأنك تستحقين الفصل".

وأضاف: "لذلك".

"لذلك ماذا؟"

"لذلك أنت مستبعدة من هذه القضية".

"لقد سمعتها في المرة الأولى".

"لذا عليك أن تغادري المكان".

فنظرت له وقلت: "لن أغادر، فأنا وعدتها بأنني لن أتركها".

رمقني بوكس بتلك النظرة التي اعتاد أن يرمقني بها عندما أصر على رأيي وقال: "كنت تمسكين بيدها طوال الطريق، ونحن في عربة الإسعاف حتى وصلنا إلى المستشفى. وظللت تمسكين بها عندما كان الأطباء يعالجونها، وهو الأمر

الذي لا أزال غير قادر على تصديق أنهم قد سمحوا لك به. لكن حينها كانت محاولة إقناعك بالعدول عن شيء تشبه الحديث مع جدار من الطوب".
 "عندما تستيقظ، ستراني أقف هنا يا بوكس، فأنا لن أغادر، فلتتقبل الأمر الواقع".

"أقبل الأمر الواقع، أقبل الأمر الواقع! لم تتغيري يا إيمي، إنك تفعلين ما يروقك متى أردت وكما تريدين". ارتفع حاجبا بوكس بالطريقة المألوفة لهما واحمر عنقه، وكان يبدو أنه يرغب في جذبني من شعري وإخراجي من الحجرة. كان من الممكن أن يفعل ذلك، لكنه لم يفعله.
 لأنه في تلك اللحظة، قطع الصمت بيننا صوت ماري لاني وهي تحاول التنفس بصعوبة.

الفصل 98

مالت ماري لانى في سريرها إلى الأمام، بينما كانت تسعل سعالًا عنيفًا مليئًا بالبلغم والدم الجاف. فاستخدمت الأزرار الآلية ليتحرك سريرها لأعلى بزاوية ستين درجة تقريبًا، ثم ضغطت على زر استدعاء الممرضة.

وقلت لها وأنا أمسك بيدها وأمسح عليها: "نحن هنا يا ماري، أنت في المستشفى وفي أمان".

وما إن هدأ السعال حتى سكنت تمامًا. كانت عيناها، التي فتحتها بالكاد مقاومة الكدمة الأرجوانية المائلة إلى السواد، تحدقان إلى الأمام. إنها تتذكر كل شيء الآن.

ثم أطلقت أنينًا خافتًا، وبدأت كتفاها ترتعشان، ووجدت الدموع طريقًا لها على وجنتيها المتورمتين.

قلت لها: "لا يستطيع أن يؤذيك ثانية".

تفوهت بكلمات كانت تقطعها أنفاسها المضطربة ونشيجها الرقيق: "هل... هو... هو... أنت...".

بوكس: "لم نقبض عليه بعد، لكن سيحدث ذلك. نحن نحتاج إلى مساعدتك لفعل ذلك يا ماري".

ظلت ماري تتشنج بينما تفحص نفسها، وتتنظر إلى ذراعيها وساقها، ثم تربت بيديها جذعها كما لو أنها تبحث عن سلاح. ثم بدأت تتحسس وجهها المتورم والمكدوم.

"أنا العميل الخاص بوكمان، وهذه إيمي دوكري، محللة أبحاث في المباحث الفيدرالية. معذرة، لكننا نحتاج حقاً إلى التحدث إليك الآن".
بعد برهة، أومأت ماري وتوقف جسدها عن الانتفاض. أعطيتها منديلاً، فجففت وجهها برفق، ثم نظرت لي.

وقالت: "لقد... وجدتي، كنت أنت، لم... تتركيني".
فأمسكت بيدها وابتسمت لها ابتسامة ناعمة وقلت: "ستكونين على ما يرام".

"ماذا فعل... ماذا فعل ونستون؟ هل ق.. قتل...؟"
نظرت إلى بوكس الذي أومأ وقال: "إنه مطلوب بتهمة القتل، بل بالأحرى سلسلة من جرائم القتل".

كان وقع الخبر عليها سيئاً. فاستناداً إلى جلسة جراهام الأخيرة التي قرأناها، حيث كان جراهام يتحدث إليها بينما يبرحها ضرباً في وجهها، لا بد أنها فهمت أنه ارتكب أفعالاً سيئة.

قال الطبيب مندفعاً داخل الغرفة: "حسناً، فليراجع الجميع".
فقال بوكس: "سريعاً يا ماري، هذا مهم، هل ترك أي دليل يشير إلى المكان الذي سيذهب إليه؟ أو ما سيفعله بعد ذلك؟ أي شيء؟".
وأوقف الطبيب بذراعه.

تنحنحت ماري وقالت: "لقد قال... لقد قال..."
الطبيب: "لا بد أن أعالج مريضتي".
بوكس: "هذا مهم، هيا يا ماري، ماذا قال؟".
ابتلعت ماري ريقها بصعوبة بعض الشيء وأغلقت عينيها.
وقالت: "لقد قال إنكم لن تقبضوا عليه، وإنه خفي".

الفصل 99

أخرجنا الطبيب من الغرفة ليفحص ماري. فمررت بجانب شرطييين فيدراليين مسلحين يحرسان غرفة ماري وتوجهت إلى الرواق.

وقلت: "سنجده، لديّ بعض..."

فقال بوكس وهو يمر بجانبني: "أذهبي إلى المنزل يا إيمي".

انتظرته حتى يستدير، لكنه لم يفعل.

"لن أذهب إلى المنزل".

"حسنًا، لن تمكثي هنا، فهذا المكان للأفراد المصرح لهم بذلك فقط، وأنت لم يعد مصرحًا لك بالبقاء في هذا المكان".

ركضت وراءه، لأنه كان سريعًا دومًا في سيره وقلت: "أستطيع أن أساعدكم

على العثور عليه، هذا ما أتقنه يا بوكس، بالله عليك".

وصل بوكس إلى المصعد وضغط على الزر وقال: "انتهى الأمر بالنسبة

لك، لا أستطيع أن أقود عملية بينما لا يمثل بعض أفرادها إلى توجيهاتي وعلى

الملا. هذا يعرض الوحدة بكاملها للخطر، لو كنت ناضجة، لكنت أدركت ذلك،

لكنك لست ناضجة، بل طفلة يا إيمي، طفلة. انتهى الأمر". ولوَّح بيده في الهواء

مضيفًا: "انتهى الأمر".

فهزرت رأسي كالأطفال وقلت: "أستطيع أن أجده، فأنا فرصتك الأفضل،

لماذا تعطي..."

"معدرة"، رن جرس المصعد وفتحت الأبواب، فدخل بوكس والتفت لي قائلاً: "انتهى الأمر".

وبدأت الأبواب تغلق في وجهي، لتتلاشى معها أية فرصة.

لكن بوكس أوقف الأبواب من الإغلاق، وخرج مقترباً مني للغاية حتى وجدت نفسي أراجع للوراء.

وهمس قائلاً: "تعتقدين أنك تستطيعين خداع من يعجبك، وعلى الجميع أن يجلس ويتقبل الأمر، لماذا أردت مني أن أتولى هذه القضية يا إيمي؟"

"أنا..."

"سأقول لك السبب، لقد أردت مني تولي هذه القضية لأنك اكتشفت أنك تستطيعين التحكم فيّ، وفعل ما يروقك، أليس كذلك؟"

"كلا، في الواقع، أردت منك تولي هذه القضية لأنني كنت أعرف أن المدير سينصت لك، ولأنك أحد أفضل عملاء المباحث..."

"أوه، كفي عن هذا الهراء، إن لم أكن أستحق شيئاً آخر، فعليك على الأقل أن تكوني صريحة معي؛ لقد أردت شخصاً يمكنك التلاعب به، وكنت تعرفين أنك تستطيعين فعل ذلك بي"، قالها وهو يحرك إصبعه في وجهي. "حسناً، تعرفين؟ لقد استغللتني للمرة الأخيرة".

"إذن سيطول هروب القاتل، لأنك لا تستطيع التغلب على حقيقة أنني لم أتزوجك".

فترجع بوكس للخلف وفغر فاه وقال: "واو، أنت رائعة".

أجل، لقد تخطيت الحدود. "أنا... أنا آسفة يا بوكس، لم أقصد ذلك".

عبس بوكس متجنباً التواصل البصري معي وقال: "إذا لم تغادري هذا المستشفى في غضون خمس دقائق، فسأقبض عليك".

هرول أحد الشرطيين الفيدراليين في الردهة نحونا وقال: "أيها العميل! الأنسة ماري تقول إنها مستعدة لمزيد من الحديث".

فقال بوكس ممتناً للتخلص من هذه المحادثة: "رائع".

فرجع الشرطي إحدى كتفيه معترراً وقال: "هي، أم... قالت إنها تريد الأنسة إيمي".

خفض بوكس رأسه وهزه، ثم رمقني بنظرة جامدة وقال: "الآنسة إيمي أعفيت من مهامها في هذه القضية".

فتحنح الشرطي وقال: "أجل يا سيدي، لكن... لقد قالت إنها ستحدث فحسب أمام الأنسة إيمي".

مرر بوكس أصابعه بين خصلات شعره بتأوه مسموع.
 لم أستطع منع نفسي من الابتسام قليلاً.
 وقلت: "حسنًا، هذا مخرج بعض الشيء".
 اندفع بوكس مارًا بجانبني كالإعصار نحو غرفة ماري.
 وقال: "حسنًا، هيا بنا!".

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل 100

قالت ماري: "كان يبدو... كان يبدو طبيعياً للغاية"، كان صوتها لا يزال أجش، إذ كانت هناك ضمادة تغطي أنفها. وكانت الكدمة التي تحيط بعينيها يمتزج لونها بين الأزرق والأرجواني والأسود. لم أكن أستطيع النظر إليها دون الرغبة في البكاء.

كانوا قد عثروا في قبو منزلها على مضرب بيسبول ألومنيوم من نوع لوسفيل سلاجر ملطخ بدمائها. وكان ذلك هو ما استخدمه جراهام لضرب وجهها بشكل متكرر، ما أدى إلى تورمه مثل البالون بطريقة بشعة.

كان اختيار جراهام لمضرب البيسبول مثيراً للاهتمام. هل هناك دلالة؟ لم أكن أتوقع منه أن يعذب ماري مثلما فعل مع ضحاياه الآخرين. فلم يحرقها أو يسلمها أو يمزق المراكز العصبية في ركبتيها ومرفقيها ومعصمها، ولكن لماذا استخدم مضرب بيسبول؟ لماذا لم يستخدم بندقية وينتهي من الأمر بضغطة واحدة على الزناد؟

استأنفت ماري حديثها قائلة: "أقصد أنه كان غريباً إلى حد ما، ويفتقر إلى الشعور بالأمان، لكنه بدا مسالماً تماماً؛ ربما... ربما لم يكن يشعر بالارتياح نحو نفسه. لكن كلما كنا نتعرف أكثر على بعضنا، كان يتغير، فقد كان لطيفاً وودوداً".

كانت تنظر إلينا وهي تنطق تلك الكلمات؛ أو على الأقل كنت أعتقد أنها تفعل ذلك، بناءً على حركة رأسها، إذ كان التورم يخفي عينيها بحيث يصعب رؤيتهما وهما تتحركان.

وأضافت: "أعلم أن هذا يبدو جنونياً الآن".

فقلت: "كلا على الإطلاق يا ماري، لقد خدع ونستون جراهام الكثير من الأشخاص. فقد كان بارعاً، إذ استطاع دخول منازل نساء لم يقابلهن من قبل ويعشن بمفردهن، وهذا يتطلب احتيلاً من نوع خاص".

أخذت ماري بعض رقائق الثلج من كوب بجانبها ووضعتها في فمها ومصتها مستطردة: "في المرة الأولى التي قابلته بها، قال لي إنه سفاح".

فقلت: "حقاً؟"، كانت لا تعرف أننا قرأنا عن أول مقابلة لهما في إحدى جلسات جراهام، ولم تكن تعرف شيئاً عن تلك التسجيلات. فقد قال بوكس إنه يريد أن ينتظر قبل أن يخبرها.

"كان ذلك في الكافيتيريا التي أعمل بها، هو..."، رفعت ماري يدها ناحية أذنها، كما لو أنها تتحدث في الهاتف وأضافت: "كان يبدو أنه يسجل كلماته في جهاز غريب الشكل، كان يضعه على أذنه كالهاتف الخليوي. وقد علقت له على ذلك الأمر، وبدا مهتماً بي كثيراً بعد ذلك. فقد أخبرني أنه قتل الكثير من الأشخاص. لكنني افترضت أنه يمزح".

قلت: "كما كان سيفعل أي شخص آخر".

سردت ماري مقابلاتها العديدة مع جراهام... كانت المقابلات التي نعرف عنها بالفعل، لكننا كنا نتظاهر بجهلنا بالأمر. لم ترو كل التفاصيل التي سردت في جلسات جراهام، لكنها لم تخرج عن الإطار العام. فروت ما حدث في لقاءهما في الليلة التي توجه فيها إلى الكافيتيريا لمراقبتها في أثناء تنكره ("أعتقد أنه كان يجب أن يكون هذا هو أول إنذار"، اعترفت قبل أن تضيف: "لكن الأمر كان مغريباً. فالرجال لا يعيرونني عادة الكثير من الاهتمام").

بعد ذلك التقيا في إحدى الليالي لاحتماء مشروب بعد انتهائهما من العمل، ثم تقابلا في ليلة السبت من الأسبوع الذي توقف فيه جراهام عن القتل. وبعد ذلك استلقيا بجوار المدفأة وتعانقا، حيث طرحا للمرة الأولى موضوع إقامة إنشاء جادة بينهما.

استمرت المحادثة لما يقرب من ثلاث ساعات. وكان بوكس - وهو أفضل محاور شاهدته في حياتي حيث كان يتسم بالصبر والدقة - قد غطى كل ما قالته وفعلته؛ كل عاطفة شعرت بها ماري، بينما كانت تمسك بيدي.

قالت ماري عندما انتهت: "هذا محرج للغاية، لا بد أنكما تعتقدان أنني حمقاء".

أجبتها: "أعتقد أن ثمة شيئاً مميزاً في شخصيتك، وكذلك كان يعتقد هو. فأنا أظن أنك تمكنت منه يا ماري. أقصد أنه لم يقتلك، أليس كذلك؟ لقد قتل الآخرين، ولم يكتف بقتلهم، بل عذبهم بوحشية، لكنه لم يفعل معك ذلك. كان لديه كل الأسباب لقتلك، لكنه لم يستطع حمل نفسه على فعل ذلك. هناك شيء مختلف فيك".

فقلت: "كنت محظوظة فحسب".

فقال بوكس: "لا يتعلق الأمر بالحظ، فقد ضربك بمضرب بيسبول ألومنيوم. كان من السهل عليه أن يقتلك لو أراد ذلك، لكن صدقي أو لا تصدقي يا ماري، فرغم بشاعة إصابات وجهك، فهو لم يضربك بأقصى ما لديه من قوة؛ فضربة واحدة من هذا المضرب كان يمكن أن تدمر دماغك. أعتقد أنه كان متردداً".

قالت: "إنك تمزح".

"كلا، هذا يشبه حالات الانتحار. فالأشخاص الذين يقدمون على قطع شرايينهم، يترددون في البداية ولا يستطيعون تنفيذ الأمر، لذلك يكون هناك قطوع سطحية صغيرة، قبل أن يصيبوا الوتر ويقطعوا الشريان، تلك الإصابات تسمى جروح التردد. وهذا الأمر أشبه بذلك".

فقلت: "ضربة التردد".

بوكس: "بشكل أو بآخر، أجل، فقد أخبر نفسه بأن عليه قتلك، لكن في كل مرة كان يضربك بها، كان يتراجع؛ لأنه في داخله لم يكن يستطيع قتلك، كان يهتم بك كثيراً".

فمرت على شفيتها ابتسامة مريرة وقالت: "جال ببالي الكثير من الأشياء بينما كان يضربني بذلك المضرب، لكن فكرة أنه يهتم بي لم تخطر على بالي".

لكن بوكس كان على حق؛ ولذلك استخدم جراهام مضرب البيسبول وليس بندقية أو سكيناً. كان لا يزال متردداً، حتى النهاية، فيما إذا كان يستطيع بالفعل قتلها أم لا.

سألتنا: "إذن... ماذا يحدث الآن؟".

أوماً بوكس وقال: "ستقضين يوماً أو يومين في المستشفى، وسنواصل متابعتك. وعندما تخرجين، ينبغي أن نضع عليك حراسة، وننقلك إلى مكان ما".

وضعت ماري يدها على صدرها وقالت: "هل تعتقدون أنه سيعود؟".
 "لا بد أن نأخذ هذه الاحتمالية في الاعتبار، لكن لا تقلقي، لن يعرف مكانك. لكننا سنتخذ مزيداً من الإجراءات الاحترازية، وسيكون هناك شخص يحرسك".

"مَنْ؟ تقصد أحد عملاء المباحث الفيدرالية؟".

"أو الشرطة الفيدرالية، أو أي شخص محترف".

خفضت ماري رأسها وقالت: "لا أريد أن أختبئ، لا أستطيع الاختباء".

فقلت: "سيحدث ذلك فقط حتى نقبض عليه".

قال بوكس: "يمكن أن تتعرضي للخطر، فقد يغير رأيه ويقرر قتلك، أو ربما يريدك ويحاول أخذك معه".

هزت ماري رأسها، وأخذت نفساً عميقاً، ثم نظرت لي مباشرة، وقالت:

"سأفعل ذلك إذا أتيت معي".

الفصل 101

ثمة شيء خاطئ، ثمة خطأ هنا.

كنت في مطعم المستشفى، أقرأ مرة أخرى نسختي من جلسات جراهام، محاولة تهدئة هاجس وملح، بينما كان يجلس معي ديني وصوفي، اللذان انضما إلينا في بنسلفانيا، يقلبان في نسختهما الخاصة. لم تكن الجلسات تحمل الكثير من المعلومات، لكنها كانت كل ما لدينا من أدلة في الوقت الحالي.

فسألت: "لماذا بدأ يسجل تلك الجلسات في الشهر الماضي فحسب؛ أي في شهر أغسطس الماضي فحسب؟ فقد بدأ موجة جرائمه في شهر سبتمبر ٢٠١١، لكنه لم يبدأ تسجيل تلك الجلسات إلا قبل أحد عشر شهراً فحسب؟".

وضع ديني عود تنظيف الأسنان وحركه في فمه وكأنه يلوكه وقال: "من يعرف؟ لقد قرر أنه لا بد من تخليد مآثره".

هزرت رأسي وقلت: "إنه شديد التنظيم، ومن الممكن أنه كان يخطط لتلك الجلسات جنباً إلى جنب مع جرائمه. لا أعتقد أنه يفعل أي شيء من دون سبب. نحن نعرف ذلك من أفعاله، ومما يتفاخر به في هذه المذكرات... الانضباط، والاستعداد، والتنفيذ".

صوفي: "إذن، السؤال هو: ما الذي جعله يتخذ هذا القرار؟ ماذا حدث في شهر أغسطس من هذا العام، أي عام ٢٠١٢، وجعل الأمر مختلفاً عن التوقيت الذي بدأ فيه موجة جرائمه في شهر سبتمبر ٢٠١١؟".

ديني: "ليس لدينا علم بوجود أي شيء صادم في حياته الشخصية، فقد توفي والداه قبل عشر سنوات. ولم يكن لديه أي إخوة أو زوجة أو أطفال. ولا توجد خطيبة؛ باستثناء ماري بالطبع حتى الآن. فلا يوجد في حياته أصدقاء أو علاقات أو حتى حيوان أليف يريه".

عدت بتفكيرتي إلى أغسطس الماضي - لا يوجد شيء محدد يبرز بشأن أساليبه في القتل خلال تلك الفترة الزمنية. أما أنا، فقد كنت أجري أبحاثي فحسب وأرسل رسائل البريد الإلكتروني إلى ديكنسون وأتجادل مع قسم شرطة بيوريا في ولاية أريزونا...

"انتظرا"، قلتها وأنا أقفز في مقعدي، ساكبة القهوة من فنجان ديني الورقي، وأضفت: "انتظرا لحظة؛ أغسطس... كان ذلك عندما أُعلن نزاعي مع الشرطة في ولاية أريزونا، حينما نشرت صحيفة بيوريا ذلك المقال حول كيف كنت أدعي أن وفاة مارتا فيها شبهة جنائية، وقد ذكر أنني أعمل في المباحث الفيدرالية".

فقال ديني: "ربما قرأ ذلك".

قلت: "لقد قرأه بالطبع، فهو يراقب كل شيء. لذا قرأ ذلك واعتقد أن المباحث الفيدرالية ستبدأ في مطاردته".

في الحقيقة، في تلك المرحلة كانت وكالتي قد طردتني، ورفضت نظرياتي حتى أتى بوكس وساعدني على إقناع المدير. لكن جراهام لم يكن يعرف ذلك، فكل ما كان يعرفه هو أن المباحث الفيدرالية على وشك البدء في تحقيق على مستوى البلاد.

وأضفت: "كانت تلك هي المرة الأولى التي يشعر فيها جراهام بالتهديد". سألت صوفي: "وهل كانت ردة فعله هي تسجيل مذكراته؟ لماذا؟ هل كان السبب أنه حال القبض عليه، يستطيع أن يشرح للعالم ماذا فعل؟".

فعبست وقلت إن هذا لا يبدو صحيحًا. ففي الوقت الحاضر، يمجّد الإعلام أمثاله من السفاحين والقتلة. وحتى لو كنا قبضنا عليه، ستتجاهت عليه جميع المجلات والقنوات الإخبارية في البلاد، صانعين من قصته ضجة إعلامية بعناوين رنانة مثل عقلية المفترس.

فنقرت على صفحات التسجيلات التي كانت أمامي وقلت: "أتعرفان ماذا أعتقد؟ أعتقد أن هناك تضليلاً، أعتقد أن هناك كذبة في هذه الصفحات في

مكان ما. شيء يهدف به القاتل إلى تضليلنا في حال اقتربنا من القبض عليه. لم لا؟ إذا كانت المباحث الفيدرالية باتت قريبة منك، فلماذا لا تترك وراءك شيئاً يضلّهم بالمعلومات الخاطئة؟".

فسأل ديني: "إذن السؤال هو، أين تكمن الكذبة في تلك النصوص؟".
فأتى بوكس إلى طاولتنا وقال: "هذا سؤال مثير للاهتمام يمكنك التفكير فيه ملياً في عزلتك مع ماري لاني".

بدا أن درجة الحرارة انخفضت في الكافتيريا، فاستأذن كل من صوفي وديني في المغادرة، ولم يجلس بوكس، لذا قررت النهوض والوقوف أمامه على الجانب الآخر من الطاولة.

"ستفادين غداً، وسيذهب ديني معك بالمناسبة".
"حسنًا، عظيم. سأستمر في إجراء أبحاثي وسأرسل إليك رسائل بريد إلكتروني أو أهااتفك...".

"رسائل البريد الإلكتروني ستكون جيدة"، قالها دون أن ينظر حتى إليّ. ثم فرك قمة المقعد بيديه الاثنتين، وربت عليه وأضاف: "على أية حال، حظاً سعيداً وكو...".

"أوه، يا بوكس، بالله عليك. أعلم أنني خالفت البروتوكول، لكنني لم أطلق النار على أحد، ولم أهنك شخصياً. كنت أحاول مساعدة أحد الأشخاص. إنك تتصرف كأنني بصقت على وجهك".

ظل ممتنعاً عن التواصل البصري معي، وهز رأسه بنفاد صبر وقال: "انتهى أمرك معي يا إيمي. اذهبي وأرسلني رسالة بريد إلكتروني إذا كنت تفكرين في أي شيء - فأنا لن أمتنع من القيام بأبحاثك - لكنني لا أعتبر أنك جزء من هذا التحقيق بعد الآن، ولا أعتبرك جزءاً من أي شيء آخر له علاقة بي. بصراحة، لا أريد حتى التحدث إليك أو رؤيتك مرة أخرى".

فتراجعت، لم أكن أدرك مدى إحراجي إياه، وكم كان جرحه شديداً.

"هل هذا واضح بما يكفي يا إيمي؟ هل نفهم بعضنا؟".

لوّحت بيدي وقلت: "حسنًا، جيد".

فأوماً وسار بعيداً.

قلت: "بوكس، إن كان في كلامي أي عزاء لك، فأنا أعتذر حقاً".

توقف لكنه لم يستدر وقال: "لم يعد هذا يهم، ليس بعد الآن".

الفصل 102

عندما رأيت ماري لاني في مساء اليوم التالي، كانت للمرة الأولى ترتدي ملابسها الخاصة وليس ثوب المستشفى. وكان يبدو أن ذلك أفضل لها، فبخلاف مدى تورم وجهها، زاد عليه الآن جبيرة كبيرة تغطي أنفها.

سألتها: "هل كل شيء جاهز؟ سيأتون إلينا في غضون بضعة دقائق".

"كان شعوري سيكون أفضل لو أنني لا أبدو مثل الرجل الفيل".

كانت تتعامل مع الأمر على الأقل بخفة ظل.

تركت الغرفة، وفي الطابق السفلي عند نهاية الردهة، كان ديني ساسر

يتحدث مع رجل آخر.

وقال مشيراً إلى الرجل الآخر: "أوه، أريد أن أقدم لك يا إيمي جيم ديميتريو،

هذه هي إيمي دوكري".

كان جيم ديميتريو يفوقني في الطول قليلاً، ما يجعل طوله يبلغ حوالي

١٧٨ سنتيمتراً، وهو رجل في منتصف العمر، ممتلئ الجسم ويرتدي قميص

بولو وقبعة بيسبول.

قال: "إذن هذه هي إيمي دوكري المشاكسة الشهيرة التي حلت القضية".

هزرت رأسي وقلت: "ليس إلى هذا الحد".

ابتسم لي وقال: "أنت من اكتشف أن هناك قضية من الأساس، بالتأكيد،

بالتأكيد، لقد صنعت اسماً لنفسك".

تدخل ديني في الحديث: "جيم شرطي متقاعد من المباحث الفيدرالية، وكان يعمل في مكتب بيتسبرج منذ عام ونصف العام تقريباً، وهو أحد أفضل محلي السفاحين والقتلة الذين عرفتهم. لكنه قرر أن ينتقل إلى القطاع الخاص ليعمل في الاستشارات الأمنية".

أحسن صنعاً، لكنني لا أزال أتساءل لماذا أضافه.

"وهو دائماً ما يتطوع للمساعدة في حملات البحث والتحري".

فقلت: "أوه، رائع، شكراً جزيلاً"، هناك عدة أمتار من الغابات الكثيفة في مقاطعة إلك بالقرب من مزرعة ونستون جراهام، ونحن نفتش كل شبر منها، باحثين عن المواقع التي يمكن أن يدفن فيها أسلحة أو أي شيء. سنستعين بمتطوعين إذا استطعنا الحصول عليهم".

جيم: "على الرحب والسعة، يسعدني تلوّث يدي مرة أخرى".

ديني: "سيسمح لنا جيم باستخدام مكان خاص به في ولاية أوريجون".

آه. حسناً، سيأخذون ماري لاني إلى كابينة على ساحل ولاية أوريجون، وهي بلدة تسمى كانون بيتش. ويبدو أن هذه الكابينة ملك جيم.

جيم: "هذا المكان مثالي، وقد أحطته بالأسلاك الشائكة من أجل الأمان. وهو يقع على قمة تل، فمن المستحيل الوصول إليه إلا من خلال درب معبد ببوابة. ستكون الشاهدة آمنة تماماً"، ثم رسم خطاً أفقياً في الهواء وأضاف: "تماماً".

فقلت: "حسناً، شكراً جزيلاً لك".

مال ناحيتي وقال: "هل لي أن أطرح عليك سؤالاً؟ كيف فعلت ذلك؟ ما الذي جعلك تربطين كل تلك الخيوط ببعضها؟".

هزرت كتفي، لم يكن لدي وقت لذلك، ولكن أظن أن هذا الرجل أعارنا كابينته، وهو متطوع في حملات البحث والإنقاذ، لذا أعتقد أن قليلاً من المودة المهنية قد تكون مناسبة.

أجبت: "البيانات وأنماط الجرائم، إذا حللت كلاً منها على حدة، ستبدو عادية، لكن عند ربطها ببعضها ستجد أن هناك نمطاً مشتركاً بين الجرائم".

فقال: "رائع، أعتقد أنه بارع؟".

"أعتقد أنه وحش، لكنه وحش شديد الذكاء".

ضاققت عينا جيم وقال: "ربما من الأفضل لك ألا ترينه وحشًا، فهو إنسان وله أسبابه الخاصة، مهما كنت تعتقدين أنها خاطئة..."

فقلت مرة أخرى: "إنه وحش".

شحب جيم وقال: "إذا كان هذا رأيك..."

فنزطت إلى ديني وقلت: "إنها مستعدة للمغادرة".

قال جيم متراجفًا إلى المصعد وضاعطًا على الزر: "أوه، إذن عليّ أن أغادر، سعدت بلقائك أيها الصديق؛ لديّ بعض الأعمال بالقرب من هنا وسأمكث لعدة أيام، فهل لي أن أمر عليك؟"

قال ديني: "بالتأكيد، شكرًا مرة أخرى يا جيم".

نظر جيم إليّ للحظة طويلة وقال: "ماذا سيفعل هذا الوحش في المرحلة القادمة يا إيمي؟ ما توقعك؟"

مسحت بيدي اليمنى على سروالي الجينز عندما فتح باب المصعد.

وقلت: "أتوقع أننا سندفته".

فمرت على شفتيه ابتسامة مصطنعة، وقال قبل أن يختفي داخل المصعد: "لا تقللي من شأنه أبدًا".

الفصل 103

عندما هبطنا في مطار بورتلاند، كان في استقبالنا مرافقون من المباحث الفيدرالية وهطول متواصل للأمطار. نزلنا أنا وماري وديني وأسرعنا بركوب إحدى السيارات، وانطلق بنا السائق مسرعاً؛ وهو عميل في المباحث الفيدرالية من المكتب الميداني في بيتسبرج يدعى جيتي.

نظرت ماري من النافذة التي تتساقط عليها قطرات المطر وسألتني: "هل نحن متأكدون من أنه لا أحد يعرف أين نحن؟".

فنظرت إليها وقلت: "نحن نحرص على ذلك. فلا أحد يعرف مكاننا إلا العملاء الأربعة الذين يحرسوننا وأنت وأنا والعميل بوكمان".
"ألا يوجد شخص آخر؟".

"كلا، حاولي أن تسترخي؛ أنت لا تطيقين البقاء هادئة، أليس كذلك؟".
فقلت: "أوه، يا إلهي، كان أبي يقول دوماً إنني لا أتوقف عن الحركة مطلقاً أو الانشغال بالمهام. فكان يشبهني بالنعلة، ويصدر صوت طنين عندما يمر بجانبني".

وصلت سيارتنا إلى كشك تذاكر في طريقنا للخروج من المطار. فابتعدت ماري وانحنت برأسها إلى الأسفل؛ فحاولت ألا تبين ذلك، ولكنه كان جلياً. كان تبايناً غريباً أن تراها منكمشة هكذا، لأن بنيتها الجسدية كانت لافتة، فهي أطول مني قليلاً وقوية البنية، مثل العداءات وراكبي الدراجات النارية.

(كانت قد أخبرتني بأن التمارين الرياضية ساعدتها على التعافي من إدمان الكحوليات وتغيير شخصيتها). كان شعرها بنيًا فاتحًا ومنسدلاً مغطياً أذنيها بقليل. لم أكن أشعر بمدى جاذبيتها في حالتها الراهنة، حيث كدمات وجهها الهائلة وتغير اللون والجبيرة الكبيرة الموجودة فوق أنفها. كانت الضمادات التي تمسك بالجبيرة تبدو كأنها مدرج هبوط طائرات في وسط وجهها. كان المطر يضرب السيارة بينما كنا نناور على الطريق المفتوح. فتمنيت أن تهدأ أو ربما تحظى بقدر من النوم.

لكنها سألتني مرة أخرى: "ألا يوجد أحد آخر يعرف مكاننا؟ ألا يوجد إلا الحراس الأربعة والعميل بوكمان وأنت وأنا؟".
"أجل يا ماري".

نظرت إليّ وقالت: "لن يطاردني بأية حال، أليس كذلك؟".
فقلت: "لا أعتقد أنه سيفعل، كما أننا حذرون للغاية".

مرت بجانبنا على اليسار سيارة دفع رباعي فانخفضت ماري مرة أخرى حاجبة وجهها، لكنها انتهت هذه المرة أنني لاحظت ذلك.
فقلت: "معذرة".

وضعت يدي على ذراعها وقلت: "ستقودين نفسك إلى الجنون، أوكد لك أنه لا أحد يعرف أنك هنا".

وصلنا إلى بلدة كانون بيتش بولاية أوريجون تحت ستار الليل، كما هو مخطط، وسرنا في شارع ضيق يبعد أقل من خمسة وأربعين مترًا عن المحيط الهادي. فأخفضت زجاج النافذة واستنشقت الهواء الضبابي المالح. لم تكن إجازة، ولكنها بدت لوهلة كأنها كذلك. اجتزنا بعض المنتجعات، قبل مرورنا بمحلات ومطاعم متنوعة ومتاجر سياحية للهدايا التذكارية، والتي كانت كلها مغلقة ومظلمة في الساعة الثالثة صباحًا.

ازدادت ماري توترًا عندما اقتربنا من وجهتنا. فقد انزلقت في السيارة حتى لا يتمكن أحد من رؤيتها من الخارج؛ رغم أنه لم يكن هناك أي شخص في الخارج في ذلك التوقيت من الليل. لكن كان من السهل عليّ أن أتحلى بالعقلانية، لأنني لم أكن مستهدفة مثلها.

اتجهنا يمينًا سالكين طريقًا يبعد عن المحيط وواجهات المحلات المضاءة، ودفنا إلى ممر ضيق متعرج حتى وصلنا إلى سيارة كانت تنتظرنا،

وبجانبيها رجلان يستندان إليها، فانتبها عندما رأينا. أعتقد أن هذين الرجلين شرطيان من بورتلاند.

مدت ماري يدها فأخذتها، وشبكت أصابعي بأصابعها وقلت: "سنكون في أمان هنا".

وفجأة، فتحت بوابة للداخل لم أكن قد لاحظتها. وركب الشرطيان سيارتهما وتبعناهما على طريق معبد ومتعرج وشديد الانحدار حتى وصلنا إلى الكابينة. ثم وقفت كلتا السيارتين عند منطقة وقوف السيارات إلى الغرب، وسقطت أضواؤها على المنزل، فظهرت حشرات مختلفة تحوم داخل أشعة الضوء وخارجها. كانت الكابينة مبنية كلها من خشب الكرز وملحقا بها مزرعة واسعة. وكان هناك فناء صغير يحيط بها، ولكن بعد ذلك، لم يكن يوجد إلا مساحات خالية ومظلمة تحيط بالكابينة من جميع الجوانب - كنت أعرف أنه جرف رغم أنني لم أكن أستطيع رؤيته في ذلك التوقيت من الليل. فتحن فوق تلة عالية، وكما قال جيم ديميتريو: من أجل الوصول إلى هذه الكابينة، إما أن تصعد بالسيارة الممر المؤدي إلى العملاء الفيدراليين المسلحين أو تتسلق جانب الجبل.

ترك الشرطيان سيارتهما وفتشا الكابينة قبل أن ندخل. وفي المقعد الأمامي من سيارتنا، كان ديني والشخص الذي يقود السيارة - ذلك العميل الخاص الذي يدعى نورم جيتي، وكنا ننتظر جميعاً في صبر.

جيتي: "المنزل مزود بنظام أمني حديث، فهناك باب أمامي وخلفي، وكل منهما مزود بقفل. وكل باب يقرع أجراساً عندما يُفتح، وإذا انطلقت صافرة الإنذار، فإن دويهاً يمكن سماعه عبر المحيط". وأشار إلى المنزل وأضاف: "تحيط بالمنزل كاميرات المراقبة ومجسات الحركة، وهناك كاميرا أخرى بجوار البوابة الأمامية، ويمكننا رؤية كل ذلك من هنا"، فعاود النظر إلينا وأظهر لنا جهاز أي باد، مقسمة شاشته إلى أربعة أقسام حتى يظهر ما ترصده الكاميرات المختلفة.

وقال لنا: "المكان مؤمن بالكامل".

قلت لماري: "هيا ننزل، كل شيء على ما يرام".
خرجت من السيارة من ناحية ماري، بينما كنت لا أزال أمسك بيدها واستنشقت الهواء اللطيف الرطب، تذكرت كانت ترائحة الوحوش تتجول نسفاً

عليلاً. كنا بالفعل فوق تل مرتفع، ولكن المكان كان يبدو أنه جزيرة أكثر منه جبلاً. لعل مساحة المكان الذي نقف عليه ربع فدان، وربما أقل، تشغل معظمها الكابينة أو موقف السيارات. كانت الحشائش المحيطة بالكابينة قليلة، تليها المنحدرات من كل جانب، وكانت كلها مسيجة. فاقتربت من السياج ناحية الشرق ونظرت إلى الأسفل نحو الفراغ.

قال العميل جيتي: "لا يوجد شيء بالأسفل على أي من الجوانب، فيما عدا أغصاناً كثيفة وأوراق شجر برية، سيكون عليه أن يتسلق الجبل ويتخطى العقبات الطبيعية التي يستعصى على المرء اجتيازها. وحتى إذا تمكن من تخطي كل ذلك، سيكون عليه أن يجتاز هذا السياج الشائك الذي يبلغ طوله متراً ونصف المتر. من المستحيل أيتها السيدتان أن يعبر أحد كل ذلك. فالطريق الوحيد للوصول إلى هذه الكابينة هو صعود هذا الدرب، والمرور علينا وعلى كاميرات المراقبة وشاشات الفيديو التي ستندرننا بوجوده بفترة طويلة قبل أن يصل إلينا".

أومأت ماري برأسها، وقالت: "المكان يبدو آمناً".
فضغطت على يدها وقلت: "بالطبع"، متمنية أن أقنع كلتينا بذلك.

الفصل 104

كانت الكابينة رحبة من الداخل وحديثة الطراز، تتكون من غرفة معيشة كبيرة بأرضية من الخشب الصلب، وحمام للزائرين، ومطبخ متوسط الاتساع بسطح علوي من البلاستيك المضغوط، وغرفتي نوم في الجزء الخلفي، وحمام مشترك بين الغرفتين.

كانت الغرفة التي أقف فيها تحتوي على سريرين متماثلين، أفترض أنهما لابنتي جيم ديميتريو. لم أكن أعرف أي شيء عن حياته، ولكن الصور التي كانت في المكتب تظهر جيم في سن أصغر مع زوجته وفتاتين يقل عمرهما عن ثلاثة عشر عاماً وهم يلوحون إلى الكاميرا على متن قارب في مكان ما، وفي لقطة أخرى يرتدون فيها ملابس رسمية في إحدى المناسبات. سأنام في غرفة شخص آخر، وهو دائماً ما يشعرني بعدم الراحة أو الترحيب.

التقينا جميعاً مرة أخرى في غرفة المعيشة التي كانت مزينة بطريقة أشبه بكبائن الصيد؛ حيث كان هناك رأس غزال مثبت على الجدار، وسجادة من جلد الدببة تغطي وسط الغرفة، وقرون على المنضدة التي تتدلى منها أكواب القهوة المعلقة من مقابضها.

قال ديني: "هذا سيجدي نفعاً". كان الشرطيون الآخرون - جيتي والشرطيان - يراجعون خططهم من أجل الليل قبل أن يمضوا قدماً. سيمكث عميلان في سيارتهما في مرآب السيارات، وسينام أحدهما ويستيقظ الآخر.

وستوضع السيارة الأخرى في قلب الممر، وسيتناوب أيضًا شخصان الحراسة. سيكون لدى كل فريق أي باد يظهر على شاشته كل ما ترصده جميع كاميرات المراقبة ومجسات الحركة.

أعطانا ديني جهازًا صغيرًا يشبه جهاز التحكم عن بُعد لإغلاق السيارة، ولكنه كان يحتوي فقط على زر أحمر. وقال: "اضغطا على الزر في حالة الطوارئ، وسننتبه جميعًا في الحال".

حالة الطوارئ - تهدف هذه اللفتة إلى طمأنتنا، لكنها ضمناً تشي بالعكس تمامًا. سنحتاج فحسب إلى زر الطوارئ إذا تمكن ونستون جراهام بطريقة ما، بشكل ما، متخطياً كل الصعاب، من الوصول إلينا. حلّ الصمت في الغرفة.

ثم سمعنا رنينًا، كانت قعقة مدوية؛ صوت حركة تروس ميكانيكية، فاستدار ديني وجذب العميل جيبي سلاحه. فقفز قلبي وهرعت إلى ماري واحتضنتها. في هذه الأثناء، فتح باب ساعة صغيرة مثبتة على الحائط، وظهر طائر وأصدر صوت صياح قبل أن يختفي مرة أخرى في الداخل. إنها الساعة الرابعة صباحًا.

فقال جيبي واضحًا سلاحه: "يا إلهي"، والتقط الجميع أنفاسهم. لا يمثل الطائر تهديدًا، فهو غير مشتبه به. لكنه تذكير لمدى توتر أعصابنا، ومهما كان شعورنا بالطمأنينة بشأن سلامتنا، لم يكن هناك أحد مقتنع تمامًا بذلك.

الفصل 105

استيقظت من الحلم، أو بالأحرى من الكابوس الذي أندفع فيه نحو النافذة للهروب من أسنة اللهب التي تموج بجانب سريري، ومسحت العرق الغزير الذي كان يتصبب من جبهتي، وجلست في السرير. فاشتملت رائحة قهوة جيدة.

خرجت من غرفتي ومررت بباب ماري. لم يكن الباب موصدًا بالكامل، فلمحتها جالسة، لذلك قرعت بابها بينما كنت أفتحه.

على منضدة بجانب فراشها، اصطف عدد من زجاجات الدواء الذي وصفها لها الطبيب. فعندما علم الأطباء بأنها قد تضطر إلى الانعزال لفترة طويلة من الوقت، أعطوها دواءً إضافيًا ليكفيها بضعة أشهر، فكانت لديها حبوب للألم وحبوب للقلق وحبوب للنوم.

كانت تجلس على الفراش فوق الأغشية وتستند بظهرها إلى الوسائد المرفوعة، وممددة ساقها أمامها، واضعة بينهما شيئاً منكبة عليه وتحقق فيه، على الأقل حتى رأنتني.

فاستقامت في جلستها عندما رأنتني. كان وجهها متورماً كما كان بالأمس، وربما أكثر، وكانت لا تزال الكدمات تشوهه.

"لم أقصد..."، تحركت عيناى نحو الشيء، وحينها عرفت ماهيته. كان طويلاً وأسطوانياً، لكنه لم يكن أيًا من الحبوب التي وصفها لها الأطباء، بل كان زجاجة شراب.

أسرعت بالقول: "لم أشرب منها".

"لكنك تفكرين في ذلك".

ظلت صامتة لفترة طويلة، وأشاحت بنظرها بعيداً. وبعد مرور بعض الوقت، اعتقدت أنها ستنتظر منى المغادرة.

لكنها قالت: "أنا... لا أعرف ما إذا كنت أستطيع فعل هذا، لا أريد حتى أن أفتح عيني وأواجه اليوم، لقد تغلبت على الكثير من الأشياء وكنت شديدة الفخر بنفسى. لكن هذا، هذا؟"، وهزت رأسها في ذهول وأضافت: "كنت أهتم به حقاً، أعلم أن ذلك يبدو سخيلاً لكن..."

"ليس سخيلاً يا ماري..."

"إذن، فقدت أول رجل اعتقدت أنه لطيف ومحترم، وعلاوة على ذلك، عليّ أن أعيش في خوف من أن أتعرض للتشويه والتعذيب، إلى جانب حماقتى الشديدة بأن سمحت لهذا الرجل بالدخول في حياتى ولم أدرك أنه..."

"مارى، لا..."

أظهرت لى الزجاجة وقالت: "أتعرفين؟ سأحتسى هذه الزجاجة ولن يكون عليّ أن أفكر فى أى من ذلك".

تقدمت وجلست أمامها على الفراش.

فبكت وقالت: "أنا حمقاء، كيف لى أن أقع فى حب سفاح؟"، ثم غطت

وجهها بيديها.

وضعت يدي على ذراعها، وتركتها تُخرج ما بداخلها، وبعد فترة قصيرة، أخذت نفساً عميقاً وتأوهت.

"أتعرفين! ينتابنى طوال حياتى شعور بأننى حمقاء، كانت أختى مارتا توأمى. لكنها كانت أجمل منى بكثير، وكانت تشبه أمى. ولم تكن أكثر جمالاً فحسب، بل أكثر مرحاً وقبولاً لدى الآخرين. لقد كنت المثقفة الطويلة النحيفة التى تحفظ الجذور التربيعية وتهتم بقضايا البيئة والحيوان، بينما كانت هى

ضمن فريق المشجعات والقائمين على حفلات الترحيب. كنت دائماً أفكر في نفسي باعتباري خطأ، وكأنني ثمرة فاكهة سيئة يلقي بها المرء".
 فنظرت ماري إليّ، ثم خفضت يديها وقالت: "لا أراك حمقاء، ولا أعتقد أن العميل بوكمان يراك كذلك".

"حسناً، أنا بخير. لقد تعلمت التعامل مع ذلك، لكنني كنت دائماً شديدة الغيرة من مارتا، وكانت هي في الوقت ذاته شديدة اللطف معي - هذا هو الجزء المجنون الحقيقي. كانت تحبني بجنون، وكانت مستعدة لفعل أي شيء لي. وكل ما قدمته لها كان الاستياء منها، والآن لن أفعل أي شيء...". هزرت رأسي وأخذت نفساً، ثم أضفت: "أقصد أن الحمق في عين من ينظرون إليك يا ماري، فأنت لست حمقاء؛ فقد تغلبت على عقبات مستعصية. وستغلبين على هذا الأمر أيضاً".

نظرت إليّ، وعلى وجهها علامات الامتنان. كانت تخفي وراء هذا الجسد الرياضي الذي بنته على مدى سنوات من التمرين امرأة وحيدة تغلبت على الشدائد وهي مرفوعة الرأس، لكنها لم تتمكن من العثور على الحب. كانت تظن أنها وجدته مع ونستون جراهام، إلى أن علمت أسوأ شيء عنه. فهل تستطيع أن تتعافى من ذلك، مثلما تعافت من الإدمان؟

مددت يدي وقلت لها: "تعالى معي، دعينا نحسب بعض القهوة ونخرج إلى الشرفة. فالجو يبدو لطيفاً اليوم. وستبقى هذه الزجاجاة هنا، في حال رغبت فيها فيما بعد".

فأمسكت بيدي وتركت الفراش. وبينما كانت تنهض، سقط من على السرير دب أبيض.

سألتها: "من؟ صديقك؟".

"كان هنا بالفعل، لكنني كنت أملك في الواقع دباً أبيض، وظللت أحمله معي في كل مكان لسنوات. أتعلمين ماذا سميته؟ الدب الأبيض".
 "إنك لمبدعة".

فضحكت، وكان ذلك بداية جيدة، ثم قالت: "وبعد ذلك تركته ذات يوم في عربة التسوق داخل متجر الخضراوات، ولم أراه مرة أخرى، وظللت حزينة لأيام. وبعد أعوام من ذلك، كنت في كل مرة أذهب فيها إلى المتجر، أبحث عن دب

أبيض. وكنت أجعل أبي يسأل مدير المتجر إذا ما كان أحد وجده. واخترعت قصة كاملة في ذهني بأن فتاة صغيرة ولطيفة وجدته وأخذته إلى منزل جيد". فشبكت ذراعي بذراعها وقلت: "هذه قصة حزينة حقاً، حسناً، أنا لست دُنياً أبيض، لكنني سأكون صديقة لك للأبد".

فقالت والحذر يشوب صوتها: "هل تعين ذلك حقاً؟".

"أعدك - وعد يقطعهُ شخص غريب الأطوار لغريب أطوار، فما المانع من أن تتصادق امرأتان تشتركان في أن كليهما غريبة الأطوار".

الفصل 106

كنتُ أعد بعض البيض في المقلاة وأسخن بعض شرائح خبز التوست بينما تجلس ماري في الشرفة بالخارج، وتحتسي القهوة مع ديني ساسر. لم أكن أستطيع سماع ما يقولانه، ولكن كان يمكنني رؤيتهما، وكانت ماري تبدو أكثر تفاؤلاً وحيوية. أعتقد حتى إنني رأيتها تضحك.

كان ديني هو الشخص المناسب لذلك، بوجهه المريح الذي يوحي لك بأنك تجلس مع جدك. وهو أيضاً محقق داهية يتمتع بعقود من الخبرة التي استهنا بها جميعاً في أوقات مختلفة. فلولا ديني كذلك، لما تعاملنا مع ولاية بنسلفانيا باعتبارها موقعاً محتملاً لوجود القاتل فيها. فقد تجاهل بياناتي الثمينة، وطبق بعض المنطق، وقادنا إلى تحول كبير في القضية.

جذبت أحد الفناجين وانضمت إليهما في الشرفة وقلت: "الإفطار جاهز متى أردتما تناوله".

قال ديني: "رائع!"، كان أكثر تفاؤلاً مني بالحياة، وأكثر حُباً للاستيقاظ المبكر.

كانت خصلات شعر ماري لا تزال في فوضي من أثر النوم، وكانت ترتدي زيّاً رياضياً للركض من قميص وبنطال قصير متناسقين، رغم أنها لن تركض في أي وقت قريب. لكنها بشكل عام، كانت تبدو أفضل بكثير مما كانت عليه قبل نصف ساعة. أفترض أن هذه هي حياة المدمن؛ فدائماً ما تشبه القطار

الأفعوانى الذي يعيش دومًا على بعد خطوة واحدة من حافة الهاوية. جلست في كرسي مريح بجوارهما، والنسيم العليل يداعب وجهي، بينما كانا يواصلان حديثهما.

"إذن درست في المنزل"، فالتفت إليّ ديني وأضاف: "درست ماري في المنزل".

"هذا حقيقي، كان أبي صارمًا حقًا بشأن ذلك الشيء".
 "هل كان يعمل في مجال التعليم؟"

فقالت وهي تلوّح بيدها: "أوه، كلا، كان يعمل بالنوبة المسائية في مصنع لتصنيع اللحوم. لم يكن عمله في هذا المكان يتطلب الكثير من التفكير"، ثم أومأت برأسها وأضافت: "لكنه كان مهتمًا كثيرًا بأن ألتقى تعليمًا جيدًا، ولم يكن يحب نظامنا التعليمي في مدينة ألينتاون؛ لذلك أتى بمجموعة من الكتب وكان يعلمني بنفسه في أثناء اليوم".

تجعلني مدينة ألينتاون أفكر في أغنية بيلي جويل التي تحمل الاسم نفسه، عن بلدة في ولاية بنسلفانيا كانت تعاني اقتصادًا مدمرًا وفقدان العمال لوظائفهم في المصانع، وعلاوة على ذلك فقدانهم الأمل.

ديني: "ألم تكن والدتك موجودة؟"

"كلا، فقد ماتت وهي تلدني".

فقلت: "معذرة يا ماري".

هزت كتفيها وقالت: "أجل، من الغريب نوعًا ما أن أعاني فقدان شخص قريب كهذا دون أن حتى أن أكون مدركة لما حدث؛ أعني أنني لم أقابلها حرفيًا، فقد عشت طوال حياتي مع أبي فحسب. كنا على ما يرام؛ ولم تتبني نوبات من الحزن والشفقة على نفسي".

كانت حياة صعبة بكل المقاييس: أب أعزب، لا يخطط لتربية طفل بمفرده، وفجأة يجد نفسه مجبرًا على ذلك، إلى جانب تلقينه التعليم في المنزل. لم يكن هناك شيء تقليدي في نشأتها، ثم أتى بالطبع إدمان الكحوليات الذي حطم أي مهنة كانت قد خططت لها، وأمل ألا يكون ذلك إلى الأبد. والآن عليها أن تعيش في خوف، بينما تستوعب صدمة أنها وقعت في حب سفاح.

فسأل ديني: "هل ما زالت تتواصلين مع والدك؟".

"كلا، كلا، لقد مات عام ٢٠١١، إذ أصيب بأزمة قلبية وتوفي في الحال"، ثم ضغطت على شفيتها وأضافت: "أوه، أنا على يقين من أن أي طبيب نفسي سيقول إنني كنت أبحث عن رجل قوي يملأ الفراغ الذي تركه أبي، أليس كذلك؟ لألتقي في النهاية بسفاح. أنا على يقين من أنني أعرف كيف أميزهم عن الآخرين، أليس كذلك؟ يا لقدرتي على الحكم على الناس".

وضعت فنجانها ونظرت إلى الجبال نحو المحيط الهادي. كان لا بد من تغيير الموضوع، قبل أن يعود الحديث ليتخذ هذا المسار مرة أخرى. قلت: "أحتاج إلى مساعدتك في شيء يا ماري".

عاودت النظر إليّ وقالت: "تفضلني".

أخبرتها للمرة الأولى بجلسات جراهام، وكيف كان يروي أفكاره والكثير من عمليات القتل التي ارتكبها خلال الشهرين الماضيين. فارتعبت، خاصة عندما سمعت أنها ظهرت بشكل بارز في اليوميات. "أتريدين مني... أن أقرأها؟".

"أجل، لأنني أعتقد أن هناك كذبة فيها؛ شيئاً يريد أن يضللنا به. وربما تكونين الشخص الوحيد الذي يستطيع معرفة ذلك".

أومأت ماري وقالت: "سأفعل ذلك، سأفعل ذلك بالطبع".

رن هاتفني الخلوي، ووجدت رسالة نصية من صوفي تالاماس تقول: عاجل وخاص.

قلت لماري: "نحتاج أنا وديني إلى إجراء مكالمة هاتفية، سأعود في غضون دقيقة، وسنبدأ في العمل على تلك التسجيلات".

"اجلسا أنتما هنا وسأذهب أنا، إذ أريد الاغتسال وتغيير الضمادة"، ونهضت ولمست ذراعي مضيئة: "معذرة على ما حدث للتو، فأنا بخير حقاً، وأنت لديك ما يكفي للتفكير فيه دون القلق بشأنني".

ربما كانت على حق، إنها امرأة قوية. عندما غادرت المكان، ضغطت على زر مكبر الصوت في الهاتف وعاودت الاتصال بصوفي. صوفي: "مرحباً".

"أنا وديني نتحدث إليك، هل لديك أخبار جديدة؟".

قالت: "أجل، ونستون جراهام مات".

نظرت إلى ديني وأنا أشعر بالراحة، هل قالت ذلك حقاً؟

فقلت: "أكره أن أقول ذلك، لكن حمداً لله".

"لم ينته الأمر بعد، ونستون جراهام مات قبل عام".

الفصل 107

بعد نصف ساعة، عادت ماري إلى الشرفة، وشعرها نديّ ينسدل على رأسها. "ماذا حدث؟"، سألتنا وهي تمسح بنظرها المكان المحيط والنظرات المرتسمة على وجهينا.

أعطيتها نبذة عن الأمر: بعد مداهمة منزل ونستون جراهام في مقاطعة إلِك، حددت الشرطة حمضه النووي من خصلة شعر كانت في مشط في حمامه، ففحصت هذا الحمض على قاعدة البيانات، ووجدته مطابقاً لجثة جرفها التيار إلى الشاطئ قبالة المحيط الأطلسي في شهر أكتوبر عام ٢٠١١. ونظرًا إلى حالة الجسم عندما يجرفه التيار إلى الشاطئ، كان أفضل تقدير هو أن الجثة في الماء منذ شهر على الأقل. ما يعني أنه قبل أن يبدأ القاتل في ارتكاب جرائمه على شاطئ المحيط الأطلسي بولاية فلوريدا، في ٨ سبتمبر ٢٠١١، ألقى بونستون جراهام في المحيط.

ثم قلت: "لقد قتل ونستون جراهام لأنه كان ثريًا ويعيش في عزلة، لذلك كان الهدف المثالي. ولعله قتله بعد أن تمكن من الدخول على حساباته البنكية وما شابه، ثم استخدم منزله كقاعدة لعملياته. فإذا شاهد أي شخص نتائج بحثه على الإنترنت، ستكون على كمبيوتر جراهام. وإذا حاول أي شخص تتبعه من خلال معلومات سيارته، وهو ما فعلناه بالطبع، سيتتبع معلومات جراهام".

فقال ديني: "لذلك سجل تلك الجلسات، حتى إذا اقتربنا من الوصول إليه، نعتقد أن جراهام هو من نبحت عنه. كانت هذه هي الكذبة الكبرى، وهي أن القاتل ليس ونستون جراهام".

سارعت ماري دون التفكير بوضوح: "لكني... ذهبت إلى منزله، وتناولت العشاء معه، كنت أشعر... أشعر..."

فقاطعتها: "أيًا من كان هو، فقد كان محتالاً، إذ قتل جراهام وجعلك تعتقدين أنه هو، لم لا تصدقين ذلك؟ فليديه كل الأسباب لفعل هذا الأمر".

جلست ماري ووضعت يدها على صدرها: "أشعر بالغثيان".

ديني: "لم يتغير شيء، فلا يزال هناك مجرم هارب، وسنظل نطارده، وستظلين في أمان. الشيء الوحيد المختلف هو اسمه".

كان على حق من حيث المبدأ.

لكن مهما كان الأمر، فإننا سندخل في دوامة أخرى: "ونستون جراهام" ليس ونستون جراهام على الإطلاق. ونحن لا نملك أية فكرة عن هوية القاتل.

مرة أخرى، أثبت أنه يسبقنا بعدة خطوات، فإذا سعدنا نحن، هبط هو، وإذا ذهبنا ناحية اليسار، ذهب ناحية اليمين، فنحن ندور في دائرة مفرغة.

ولسبب ما، لا يستند إلى المنطق ولا يعتمد على البيانات الواقعية التي كانت تمثل دائماً عصب حياتي، لا أستطيع أن أمنع القشعريرة التي تتسلل إلى جسدي، والشعور الذي يوحي لي بأننا لسنا آمنين كما نعتقد في هذه الكابينة المنعزلة.

الغما

108

كانت الساعة الثامنة مساءً، حيث كانت الشمس قد غابت، تاركة عبر السماء ظلالاً مبهرة تمتزج ألوانها ما بين الوردى والأخضر والبرتقالي. ثم تحولت السماء إلى اللون الرمادي. أما في الأعلى هنا في مخبئنا البعيد، وراء الأضواء الخارجية التي تضيء المكان، فكان الظلام الحالك قد حل فجأة مرة أخرى، جالباً معه شعوراً بالرعب الشديد انتابني؛ لكون تلك هي الليلة الأولى التي نقضيها هنا، وأيضاً التي ندرك فيها أن ونستون جراهام ليس في الحقيقة ونستون جراهام.

كنت أتجول في غرفة النوم، منهيمة مكالمة هاتفية مع صوفي (فقد اختار بوكس ألا يشارك في الأمر، وأن يستمر في تجاهلي). "حسناً، إذن لدينا رسوم الفيزا وشركة أميكس في بيتسبرج والضواحي المحيطة بها، ولدينا مطعمان وكافيتريتان، يبدو أنه كان يتردد على إحداها على وجه الخصوص في يوم الأحد من كل أسبوع في خريف ٢٠١٠، ليحتسي مشروبه ويشاهد مباريات كرة القدم على ما أظن".

صوفي: "ونظراً لكم الأموال التي كان ينفقها، لا بد أنه كان لديه صديق، أو رفيق يصحبه في ذلك. وربما كان هذا هو المكان الذي قابل فيه جراهام القاتل للمرة الأولى، حيث اكتسب ثقته وتقرّب منه".

"واصلني العمل على ذلك، واتصلي بي عندما تكون لديك أخبار". كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة مساءً في بنسلفانيا، لذلك كنت أشك في أنه سيكون هناك أي جديد في تلك الليلة.

صحت قائلة: "سأستحم سريعاً يا ماري".
"حسناً".

خلعت ملابسني ووضعت مفتاح الطوارئ ذا الزر الأحمر على منضدة الزينة. كنت أكره أن أقضي دقيقة واحدة بعيداً عن ماري، رغم أن لديها أربعة حراس بالخارج، وأن مساعدتي لن تجدي في مقاومة القاتل.

كان ضغط الماء في الكابينة جيداً وكان دش الاستحمام من طراز فاخر تندفع المياه منه كهطول المطر. كان من الرائع الانسلاخ من ذاتي والهروب من كل هذا، تاركة المياه المتدفقة تضرب رقبتني وكتفي، بينما أغلق عيني وأرفع وجهي إلى الأعلى نحو الماء.

ولكن لم يستمر ذلك الشعور كثيراً، إذ عاد القلق يهاجمني، والألم ينهش معدتي. جففت نفسي بسرعة، وارتديت ملابسني، وجذبت مفتاح الطوارئ من فوق المنضدة، وتوجهت إلى الردهة ومنها إلى غرفة المعيشة، وفي الرواق، رأيت كومة الورق التي تضم جلسات جراهاام، ولكنني لم أجد أثراً لماري. فأين يمكن...

جفلت عندما قالت ماري: "مرحباً"، كانت في المطبخ تصب حليباً مغلياً في كوب ورقي.

هدأ روعي. لا بد أنني مررت مسرعة بجانبها مباشرة، ولم أنظر حتى في المطبخ. ماذا كنت أعتقد، أكنت أعتقد أنها خطفت في غضون الدقائق العشر التي قضيتها في الحمام؟ لا بد أن أتماسك، فقد أصبحت مصابة بجنون الشك. وتهدت.

فجأة سمعت صوت رنين يصاحبه خشخشة تروس ميكانيكية، وخرج طائر الوقواق الأحمرق من عشه الخشبي المثبت على الحائط قبل أن يختفي لساعة أخرى.

لا بد أنها الساعة التاسعة.

قلت: "اللعة".

تماسكي يا إيمي، ماري في أمان. فنحن في مكان بعيد ومجهول للجميع، ويحيط بنا ضباط مسلحون ومتدربون بشكل جيد. ماري في أمان.

ماري: "أعددت بعض الشيكولاتة الساخنة للجميع، فقد اكتشفت أن ذلك هو أقل شيء يمكنني تقديمه لهم، بعد ما فعلوه لي".

ووضعت أربعة أكواب ورقية من الشيكولاتة الساخنة على صينية كبيرة. فسألته: "ماذا تفعلين؟"

"سأخرج لأقدم لهم المشروبات".

"كلا، لا تفعلي ذلك، ينبغي ألا تتركي هذا المنزل".

عبست ماري وقالت: "ألا أستطيع حتى أن أخرج لأقدم بعض المشروبات؟"

"كلا، سأفعل أنا ذلك"، فأخذت الصينية منها وأضفت: "عودي".

"إنك تعتقدين أنه سيأتي للانتقام مني، أليس كذلك؟"

"كلا، لا أعتقد ذلك".

"بل تعتقدين، فأنا أشعر بذلك وأقرؤه في عينيك".

"ماري، سأعود في الحال".

سرت بحذر شديد بالصينية في هواء المساء البارد، وأعطيت كوبيين للشرطيين الجالسين في السيارة على الممر وقلت: "أعدت ماري لكما كوبيين من الشيكولاتة الساخنة".

قال السائق الذي كان يدعى ماكلاود: "هذا لطيف للغاية، فرائحتها رائعة".

فقلت: "هذه طريقتها لشكركما على ما تفعلانه".

تركت الصينية على غطاء سيارتهما وتوجهت إلى الممشى حاملة الكوبيين الآخرين.

عندما وصلت إلى هناك، وجدت ثلاثة أشخاص، وليس اثنين، يقفون بجوار السيارة.

الفصل

109

أبطأت من وتيرة سيرتي تلقائياً، رغم أن السير انحداراً يتطلب قدرًا من الجهد وخطوات واسعة للحفاظ على التوازن. تكيفت عيناى مع الظلام، وتبينت ملامح الشخص الثالث الذي كان يقف إلى جوار ديني ساسر والعميل جيتي. كان الثلاثة يضحكون ويومئون، وعندما رأني ديني، استدار.

وقال: "هل تتذكرين جيم ديميتريو يا إيمي؟"

بالطبع، إنه جيم ديميتريو، العميل السابق في المباحث الفيدرالية الذي تقاعد قبل حوالي عام، ويعيش بالقرب من بيتسبرج. وهو كذلك الذي أعارنا هذه الكابينة، وأحد أفضل محلي السفاحين الذين قابلهم ديني، كما قال. "يسرني لقاءك مرة أخرى".

"هل تشعرين بالراحة في الكابينة؟"

"إنها رائعة، شكرًا لك مرة أخرى". أدركت فجأة الكويين الساخنين للغاية اللذين كنت أمسك بهما، فوضعتهما على صندوق السيارة وقلت: "إنها شيكولاتة ساخنة لحراسنا".

سأل جيم مشيرًا إلى الكابينة: "كيف حالها؟ الشاهدة، هل تشعر بأمان؟ هل ينتابها القلق؟"

أجبت ونبرة الحماية تشوب جملتي القصيرة: "إنها بخير".
 "حسنًا، هذا جيد".

فقلت: "ماذا عن التقاط صورة لكم أنتم الثلاثة؟"، ورفعت هاتفي وأضفت:
"بحق الأيام الخوالي".

فقال جيم: "أوه، لا أريد أن أرى نفسي في صورة، لأن ذلك سيذكرني كم أصبحت عجوزًا وواهناً".

فأضف ديني: "عجوز وواهن وثرى".

"أوه، بالله عليكم يا رفاق، قفوا ثابتين من أجل التقاط الصورة".

فقال جيم: "كلا، في الواقع عليّ أن أرحل، قد أمر عليكم لاحقًا، اعتنوا بأنفسكم".

وقفز في سيارته الرياضية الفاخرة وانطلق مسرعًا.

فقال ديني: "شكرًا على الشيكولاتة الساخنة، رائحتها رائعة".

لكن كان هناك شيء آخر لا تبشر رائحته بالخير.

عدت إلى الدرب والأدرينالين يملؤني واتصلت بصوفي، رغم أن الساعة بتوقيت بنسلفانيا كانت قد تجاوزت منتصف الليل، لكنني أشك في أنها نائمة.

فأجابتي: "مرحبًا".

قلت لها لاهثة: "صوفي، أحتاج إلى إجراء بحث سريع عن أحد الأشخاص".

الفصل 110

مرت ساعة أخرى . كنت أحرق في الظلام من النافذة المجاورة للشرفة الخلفية، حيث لم أكن أرى شيئاً إلا النجوم التي تملأ السماء - مشهد عادة ما يبعث في النفس شعوراً بالهدوء والسكينة.

سألتني ماري: "ماذا هناك؟". كانت تجلس في غرفة المعيشة على الأريكة بينما تمسك بنسختها من جلسات جراهام.

"لا شيء"، لكنني كنت أشعر، بطريقة ما، بأن ثمة شيئاً خطأ، وكان شعوري يزداد متناغماً مع كل شيء؛ كل تفريفة طائر، وكل خشخشة لأوراق الشجر، وكل حفيف للرياح، وكل صرير للكابينة.

"إنك لم تحتسي الشكولاتة، إنها لم تعد ساخنة".

ابتسمت لها: "أعاني حساسية من الشيكولاتة، لم يطاوعني قلبي أن أخبرك".

"أوه، معذرة، سأعد لك بعض الشاي".

"لا تتعبي نفسك".

"ليس هناك تعب، تذكرني أنني النحلة الطنانة"، ونهضت ماري من فوق الأريكة ومرت بجانبني متجهة إلى المطبخ وملأت الغلاية بالماء ووضعتها على الموقد.

فقلت: "شكراً، ربما يكون من الجيد احتساء القليل من الشاي".

فضغطت على ذراعي وقالت: "أمتأكدة أنك بخير؟ تبدين أكثر قلقاً مني".
لم أجبها، فدخلت غرفة نومها.

نظرت مرة أخرى إلى نافذة المطبخ، وكانت المياه قد بدأت في الغليان.
ليس هناك داع لأجعل ماري تشعر بالقلق، وكأنها لا تشعر به بالفعل.

عادت ماري من غرفة النوم وجلست على الأريكة وثبتت إحدى ساقيها
ووضعت الأخرى على الأرض بينما تقلب في أوراق جلسات جراهام.
قالت: "هذه الجلسات تبعث على الخوف، لكني لا أرى بها أي شيء غير
مألوف، فيما عدا وصفي بأنني جميلة".

على مسافة بعيدة، سمعت صوتاً مدوياً. هل كان صوت فرقعة عادم سيارة؟
في العادة، لم أكن سأهتم على الإطلاق.

فتحركت بحذر نحو الباب الأمامي عندما رن جرس ما وتحركت تروس
ميكانيكية. وخرج طائر الوقواق ليخبرني بأنها العاشرة مساءً، بعد أن أصابني
بأزمة قلبية وكاد الفزع يخلع قلبي من بين ضلوعي.

"اللجنة عليك أيتها الساعة الغبية، هل تعتقدين أن أحداً سيهتم إذا ما
نزعت هذا الشيء من الحائط أم لا؟".

ضحكت ماري ضحكة خافتة وقالت: "إنني أحب ساعات الوقواق. كانت
لدينا واحدة عندما كنت صغيرة. بل وأطلق أحدهم عليّ هذا اللقب في فترة
ما".

"أهذا حقيقي؟ لقب؟"، بطريقة عادية قدر الإمكان، حتى لا ألفت نظر
ماري، ونظرت عبر النافذة فوق رأسها نحو المرآب، حيث كان كل شيء يبدو
عادياً، وكانت سيارة الشرطة تقف بينما يعمل محركها ويوجه ضوء مصابيحها
الأمامية نحو الكابينة.

كان كل شيء على ما يرام.

ومع ذلك، عاودت النظر إلى نافذة المطبخ، متمصصة دور الحارس، رغم أن
هناك أربعة حراس مسلحين بالخارج، يراقبون شاشات الكاميرات وبإمكانهم
التصرف أفضل بكثير مني.

فقالت ماري: "كان لقباً سخيفاً، هل تتذكرين تلك الأغنية التي تسمى
"كوكارتشا"؟".

فقلت ملتفتة لها: "ماذا؟".

وفجأة تغيرت الأمور خارج النافذة، إذ اشتعل ضوء السقف في سيارة الشرطة وأضاءها من الداخل. فرأيت السائق ماكلاود ساكنًا، ورأسه ملقاة على عجلة القيادة بينما ينزلق شريكه على النافذة، ولا يتحرك أيضًا. ورجل يركض من المرآب ناحية الكابينة.

فصحت: "اركضي يا ماري، اركضي"، عندما ظهر وجه جيم ديميتريو وقد ألصقه على النافذة الصغيرة في الباب الأمامي، ويحدق بعينه في الكابينة.

الفصل ١١١

فجثمت ماري على الأرض وتدحرجت من على الأريكة بينما كان جيم ديميتريو يدق على الباب الأمامي.

"إنه هوي ماري، إنه هولا"، ومددت يدي وأمأت لها كي تركض معي، لكنها زحفت على الأرض على مرفقيها بموازاة الأريكة، كما لو أنها تحاول تجنب إطلاق نيران، وتحركت نحو الباب الأمامي.

فصحت: "إنه قادم يا ماري! إنه هولا". حاولت كبح رغبتني الغريزية في الهرب؛ لأنني لم أكن أستطيع ترك ماري معه بمفردها، ففتحت أدراج المطبخ باحثة عن سكين، بينما كنت أسمع المفتاح يتحرك في القفل.

كان لديه مفتاح، فهي كايينته.

أعدك أن نلتقي قريباً ذات يوم.

فتح جيم الباب، ونظر إليّ وقال: "إيمي، أين..."

فقفزت ماري إلى جواره وقبل أن يلتفت، طعنته بشيء حاد في رقبتة. فتدفق الدم من حنجرته بينما كان يتعثر إلى الوراء والصدمة على وجهه قبل أن يسقط على الباب الأمامي ويصطدم بالأرض.

فتراجعت ماري سريعاً إلى الوراء مبتعدة عنه، كما لو كان مشعاً.

تركت المطبخ واتجهت نحوه، باحثة عن أية علامة على أنه لا يزال يتنفس. كان جسمي كله يرتجف والأدرينالين يملؤه. تمكنت من إخراج هاتفي من جيبي، لكنني لم أستطع حمله، فأسقطته على الأرض.

فارقت الحياة عيني جيم الذي كانت جثته مستلقية على الأرض، ورأسه ممدد بصورة غريبة، والدم لا يزال ينهمر من حنجرته، بينما كان قلبه يكمل انقباضاته الأخيرة، إذ لم يكن قد تلقى بعد كلمة تشير له بأنه من المفترض أن يتوقف عن الضخ.

نظرت ماري إليّ، وصدرها يرتفع وينخفض كالحيوان.
وسألتني: "هل تعرفين... اسمه؟"

فقلت لها محاولة إخراج صوتي: "جيم، جيم ديميتريو، فهو صاحب الكابينة، وعميل سابق في المباحث الفيدرالية في بيتسبرج".
فعاودت النظر إليه وقالت: "اللعنة، لم تقولي لي أي شيء عنه".
وضعت يدي على ركبتي وحاولت التقاط أنفاسي، فوجدت هاتفني على الأرض يصدر طنيناً، معلناً عن مجيء رسالة من صوفي تقول.

جيم ديميتريو لا غبار عليه. كان خارج البلاد معظم شهر
سبتمبر في مهمة أمنية. واشترى سيارة بورش في بيتسبرج
في يوم تفجير ديترويت. فمن المستحيل أن يكون القاتل.

جيم ديميتريو... ليس القاتل؟ إذن... ماذا حدث للتو؟

فنظرت إلى ماري التي كانت تراقب ديميتريو عن قرب، لتتأكد ربما من أنه
فارق الحياة.

فقلت: "ينبغي أن نذهب لإلقاء نظرة على العملاء، ربما لا يزالون..."
"كلا"، هزت ماري رأسها بالنفي واستدارت وأغلقت الباب الأمامي. وفجأة
باتت أكثر سيطرة على نفسها وأكثر ثقة من أية مرة رأيتها فيها من قبل.
وأضافت: "كلا، كلا يا إيمي. لن نذهب لفعل ذلك".

في البداية، كنت تأثمة ومرتبكة ومشوشة ومذهولة.

ثم تسلل إليّ الرعب.

كانت ماري تراقبني بعناية. لم أكن أعرف كيف أمنع مشاعري من الظهور
على وجهي، لذا لا بد أنها كانت تلاحظ تعابيرها، بينما تندفع المعلومات نحوي
كالشهب بشأن كل الأشياء التي كنت أفتقدها. شهادة الميلاد التي وجدتها
عندما كنا نحاول في البداية تحديد موقع ماري لاني تحمل سنة الميلاد نفسها

التي ولدت فيها ماري، وكذلك مسقط الرأس نفسه، لكن الاسم كان "مارتي"، إلى جانب كدمات وجهها الناجمة عن تلقيها ضربات من مضرب البيسبول الذي كان من الممكن، بل كان ينبغي، أن يتسبب لها في إصابات أكبر بكثير، والآن القصة التي بدأت ترويها عن "لا كوكاريتشا".

فقلت: "أنت الكذبة، أنت الكذبة في تلك التسجيلات".

فنظرت إليّ لكنها لم تقل شيئاً، كانت أنفاسها قد بدأت تهدأ، فلم يكن هناك داع للتظاهر في ذلك الوقت.

"كان ينبغي أن تشربي الشيكولاتة الساخنة، كان ذلك سيكون أسهل".

الفصل 112

اركضي يا إيمي، اركضي. إنها فرصتك الوحيدة.

لكنني لا أرى طريقاً للهروب؛ فهي تسد المخرج إلى الباب الأمامي وأقرب مني إلى باب الشرفة، بالإضافة إلى أنني انتظرت ما يقرب من عام للعثور على قاتل أختي، وها هو أمامي الآن، فلن أذهب إلى أي مكان.

"لم تتمكني بعد من إنهاء قصتك عن ساعة الوقواق، أكنت طفلة صغيرة ترقص على أغنية "لا كوكاريتشا"؟"

هزت كتفيها لكنها لم تتحدث. كان وجهها المضمد وقميصها الأبيض مغطيين بقطرات الدماء. وكانت تحمل سلاحها الذي كان على ما يبدو أنه مشروط؛ لعلها سرقتة من المستشفى.

فأضفت: "دعيني أنهها لك، كان والدك يريد أن يعطيك ذلك اللقب، لكنك لم تكوني تستطيعين نطقه. لذلك قال إنك كوكو-كلوك-آه. هل ما أقوله صحيحاً؟"

كنت أعلم أنني على حق. على الأقل هذه هي الطريقة التي وصفتها بها لي جريتشن سوانسون عندما جلست إلى طاولة مطبخها بعد أن لاحظت صرصورها المصنوع من الخزف الصيني، باستثناء أن الفتاة الصغيرة في تلك النسخة كانت ابنتها التي دفنتها مؤخراً.

فقالت ماري: "جويل سوانسون، فتاة جميلة وجديرة بالثقة".
أخرجت مفتاح الطوارئ من جيبتي وضغطت على الزر الأحمر.

قالت ماري: "لن يسمع أصدقاؤك بالخارج هذا، إنهم يستمتعون الآن بغفوة طويلة ولطيفة".

"ربما تصل هذه الإشارة إلى الأشخاص الذين لم تخدريهم بحبوبك المنومة، لعلها تصل إلى العميل بوكمان أو إلى الشرطة المحلية". وضغطت عليه مرة أخرى على سبيل الاحتياط.

ماري: "قد يحدث ذلك لو كان هذا الشيء به أية بطارية".

فنزطت إلى المفتاح مرة أخرى، وضغطت على الزر الأحمر لكنني لاحظت أن المصباح الأحمر الصغير لا يضيء، لقد مات كالعديد من ضحايا ماري. شرحت ماري الأمر: "عندما كنت تستحمين".

فكرت في خياراتي التي كانت تتضاءل. لقد فكرت ماري في كل شيء بينما كانت تبتكر تلك الجلسات التي سمعتها جلسات جراهام، حتى إذا ما توصلنا إليها بطريقة ما، تتمكن من استخدام "جراهام" ككبش فداء، وذلك السطر الأخير الذي كتبته - أعدك أننا سنلتقي مجددًا في أقرب وقت - بينما كانت تعرف تمامًا أنها ستهرب وتتركنا لنفترض أن النبوءة قد تحققت. كان ذكاءً منها أيضًا أن تصر على أن أذهب معها إلى أوريجون، حتى تتمكن من متابعة التحقيق عن كذب.

"يمكنك قتلي، لكنك لن تهربي بفعلتك بعد الآن، فقد انكشفت لعبتك".

"حقًا؟"، تقدمت خطوة أخرى نحووي، وكأنها حيوان يلاحق فريسته، بينما كانت تنثي ركبتيها قليلًا لتستعد للرد على أية حركة أفعلها. كانت، على الأكثر، على بعد أربع خطوات مني. فقالت بصوت مزيف بريء: "صحيح، سأضطر إلى التوقف عن الذهاب إلى مباريات كرة القدم، وهو عار حقيقي؛ فأنا أحب مشاهدتها في الإستاد مباشرة. لكنني بخلاف ذلك، سأختفي. ألا ترين؟ لقد عثر عليّ القاتل واختطفني، فلا أزال الضحية".

كانت محقة، فقد فهمت الآن. ستأخذ أجهزة الآي باد من العملاء، حتى لا يكون هناك تسجيل لكاميرات المراقبة. ومن المحتمل أن تلتخ الكابينة بالقليل من دمائها ليبدو كما لو أنها كانت تقاوم القاتل، لم لا؟ فكونها استطاعت أن تضرب نفسها بمضرب بيسبول وتخدعنا، سيكون من السهل عليها قطع أطراف أصابعها لتترك القليل من آثار الدماء. وستبقى ماري لاني، الضحية التي اختطفها القاتل المجهول.

فسألتها: "ثم... ماذا؟ هل ستبدئين حياة جديدة؟ مقتبسة كل الشخصيات والقصص الصغيرة والحكايات التي أخبرك بها كل ضحاياك، والتي جعلتهم يروونها لك بينما كنت تعذبينهم؟ هذا كل ما في الأمر، أليس كذلك؟ كيف كان يقلد لك والدك طنين النحل؟ والدب الأبيض الذي فقدته في المتجر؟ وقصة "كوكاريتشا" التي اقتبستها من جويل سوانسون؟ وماذا عن مارتا؟"، قلتها وأنا أصرخ والرداذ يتطاير من فمي، ثم أضفت: "ماذا عن أختي؟ ماذا ستأخذين من حياتها؟".

تقدمت ماري خطوة أخرى نحوي وقالت: "سأخذك أنت يا إيمي".
ثم ابتسمت.

حاولت الهروب، رغم كل الصعاب، فليس هناك ما أخسره، واتجهت إلى يميني، نحو الباب المؤدي إلى الشرفة، وبينما كنت أحاول جذب المقبض ارتطم جسمي به...

فشعرت بوخزة المشرط الساخن وهو ينغرس بين ضلوعي، ذلك الألم الحاد عند دخوله وخروجه بحركة واحدة. وجذبتني ماري من شعري من الخلف، فسقطت إلى الورا حتى وصلت إلى أرضية المطبخ. وضعت يدي على الجرح، فوجدت الدم الساخن ينسال مني، وكان الألم في رأسي يشبه الصدى الذي يصم الآذان.

اقتربت مني ماري ببطء، بينما كنت مستلقية على الأرض، لا حيلة لي. وبدأت تلوح بالمشرط وهو في يدها. ثم صدرت صافرة إلى يسارها، وإلى يميني، من الغلاية التي كانت على موقد المطبخ.

فقلت: "أوه، الماء جاهز".

الفصل 113

كانت ماري تراقبني بينما تمسك بغلاية الماء في يدها، والمشروط في اليد الأخرى، وعلى وجهها عبوس تصحبه ابتسامة متكلفة ليكونا معاً تعبيراً ينم عن الرغبة في التعذيب.

تراجعت قليلاً إلى الوراء منزلقة على أرضية المطبخ، حيث كنت محاصرة وعاجزة عن التغلب عليها، إذ لا يمكنني مجاراتها بدنياً أو تكتيكياً. لم أكن أملك سوى عقلي الذي كان تجول به حينئذ صور أختي والوحشية التي شهدناها وصور التشريح والضحايا الذين تعرضوا للسلخ والحرق والتشريح والتقطيع والتعذيب الذي كان يتجاوز احتمال البشر. ضغطت بيدي، بقوتي المتبقية، على جرح صدري بينما كان الدم يتسرب من بين أصابعي.

وقلت بصوت مرتجف: "مارتي، أنت... مارتي".

"آه، لقد رأيت شهادة الميلاد؟ كنت أتساءل عن ذلك، أجل، كان أبي يريد صبيًا، لكنه أنجبني أنا. لكن ذلك لم يردعه، أليس كذلك؟".

أمالت ماري الغلاية فتساقط منها على فخذي سيل من السائل الحارق. فانقبضت ساقي، وصرخت في ألم بينما كان البخار يتصاعد منه. "لا تتحركي".

لكنني انزلت إلى الخلف، فقفزت ماري وضغطت على قدمي بقوة ولفتها، حتى انكسر كاحلي، مصدرًا طقطقة مروعة. مددت يدي إلى الأمام ناحية الألم، لأجد مزيدًا من المياه الحارقة تنسال على ذراعي وكتفي ورقبتي.

"قلت لك لا تتحركي".

استخدمي عقلك يا إيمي، لا بد أن هناك طريقة.

"إذن... تقتلين الناس... لأن والدك جعلك... صبيًا؟"

فانسالت على صدري قطرات أخرى من الماء المغلي جعلت قميصي يلتصق به. فأطلقت صرخة مدوية لم أستطع تقريبًا سماعها أو تحديدها.

"هذا ما تعتقدينه؟ تعتقدين أن الأمر يتعلق بقتل الأشخاص؟ أنت أيتها العظيمة إيميلي دوكري، ومحللة المباحث الفيدرالية الفطنة... لم تكتشي ما أريده؟"

ثم جثمت فوقي، وثبتت ركبتيها على ذراعي، وباتت متمكنة مني. وبيد واحدة أمسكت بشعري، وثبتت رأسي على الأرض، ووضعت المشرط على وجهي بطريقة تنم عن استهزائها بي وسخريتها مني.

استخدمي عقلك يا إيمي، فكري في شيء.

"تريدين لهؤلاء الناس الطبيعيين... أن يشعروا..."

فقالت: "هؤلاء الأشخاص الآمنون لم يكن لديهم أدنى فكرة عن المعاناة حتى قابلوني".

أحدثت الشق الأول في خط فروة رأسي، وهو شق دقيق في الجلد، وتحركت يسارًا بطول خط شعري حتى قطعت الجلد وكشطت العظام، فصرخت بكل الهواء الذي يمكن لرئتي أن تحشدها؛ كانت ساقاي تتلويان بلا جدوى خلف ماري، وكانت رؤيتي متقطعة، وكأن الأضواء تنير وتطفئ، حتى إنني لم أعد أستطيع التعرف على الصرخات التي كنت أسمعها لبعض الصيحات المرتفعة التي لم تكن لي بل لحيوانات على مسافة بعيدة...

استخدمي عقلك يا إيمي، إنها فرصتك الوحيدة.

توقف الشق عند أذني. فحاولت تحريك رأسي، لكنها كانت تقبض عليّ بقوة. وبدأت قوتي تتلاشى وترتخي ذراعاي من ضغط وزن جسمها، وباتت ساقاي بلا فائدة، والدم لا يزال ينسكب مني.

قالت ماري إعجاباً بعملها: "ليس سيئاً، عادة ما يكون لديّ صاعق كهربائي وقيود وأملاح كريمة الرائحة ومجموعة كاملة من الأدوات الجراحية، لكن أتعرفين ماذا؟ هذا ليس سيئاً. ففي بعض الأحيان ينفذ الفنانون أفضل أعمالهم تحت الضغط، ستكونين تحفتي الفنية يا إيمي".

أوقضي ذلك... أوقضي ذلك... فكري في شيء...

وأضافت: "عليّ أن أعترف بأنني لا أستطيع أن أجعلهم يشعرون بما شعرت به، فلا أستطيع أن أحقنهم بمنشطات في كل يوم من أيام طفولتهم، أو أجبرهم على رفع الأثقال، أو أجعلهم يقلقون مما إذا كانت أصواتهم ستبدو مرتفعة للغاية في كل يوم من أيام المدرسة. ولا أستطيع أن أجعلهم يرتدون ملابسهم في دورة مياه في كل يوم من أيام التدريب على كرة القدم حتى لا يرى زملاؤهم الأجزاء الحساسة من أجسادهم. لكنني أستطيع أن أفعل هذا يا إيمي".

جذبت ماري شعري عند قاعدة الشق، فشعرت بالتمزق الذي كانت آلامه لا تطاق. لا أستطيع... لا أستطيع حتى... لا أستطيع...

أنا آتية يا مارتا، أنا آتية لأراك، أريد أن أراك، من فضلك، من فضلك، أوه من فضلك دعيني آتي...

تريدين أن تموتي الآن، أليس كذلك يا إيمي؟ تريدين مني أن أخلصك من شقائقك، لكنك لن تنالي ذلك، فلا بد أن تعيشي به، لا بد أن تعيشي في ألم كحماة مشوهة، حتى أخبرك أنا بأن الأمر قد انتهى. عليك أن تمتني لذلك، لأنك ستعيشين هذه التجربة لبضع ساعات فحسب وليس لمدة سبعة وثلاثين عامًا".

استخدم عقلك، فكري في شيء، أي شيء...

هناك شيء واحد... ميزة واحدة...

فقالت: "إياك أن تموتي بين يدي، ليس بعد، فأنا لم أنته".

ثبتت ماري رأسي على الأرض مرة أخرى، وكانت هذه المرة تستخدم يدها اليمنى، بينما يتأرجح المشروط في يدها اليسرى، لتستعد لشق فروة رأسي من الجانب الأيمن، حتى تكمل ما تفعله، وتفصل فروة رأسي عن جبهتي وتحولني إلى شخصية مشوهة مثلها.

لن أقاوم هذه المرة، بل سأرخي جسدي، وأحبس أنفاسي.

سأستخدم عقلي هذه المرة.

الفصل ١١٤

مكتبة

t.me/t_pdf

قالت ماري: "كلا، كلا، كلا! استيقظي! استيقظي!"

تركت ماري شعري من قبضتها ومالت إلى الأمام حتى شعرت بنفسها الساخن على وجهي وصاحت فيّ: "لن تموتي! لن تغلتي من..."
ومع كل شيء شعرت به، رفعت رأسي وصدمت بجبهتي الجبيرة التي كانت تغطي أنفها المكسور.

فعوت ماري من ألم الضربة التي تلقتها، وكأنها وحش جريح ومعذب، وغطت يديها أنفها وسقطت إلى الخلف. فأخذت نفساً عميقاً وكاملاً من الهواء ورفعت نفسي، بينما كان الدم يتدفق في عيني ومن قفصي الصدري، ووجدت الغرفة تمايل.

كان المشرط الملطخ بدمائي ملقى على الأرض. فحاولت الوصول إليه، لكنني أخفقت في البداية، لأن الدوار كان يجعلني أرى كأن هناك مشرطين، لكنني في النهاية أمسكت به بينما كانت ماري تتلوى على الأرض من الألم، إذ كانت تلك هي المرة الثانية التي يكسر فيها أنفها خلال أسبوع، ولكن لم تكن هذه المرة بإرادتها.

حاولت الوصول إلى قدمي، لكنني أخفقت، فقد كان كاحلي الأيمن محطماً وجسدي منهكاً للغاية حتى إنني لم أكن أستطيع تحريك نفسي. وكانت الأنوار تضيء مرة وتطفئ مرة أخرى كضوء متوهج، وفي كل مرة يومض فيها الضوء

كانت ماري تقترب مني، وقد أزيلت الجبيرة عن أنفها، بينما كانت تزمجر في وجهي بطريقة مروعة، وتصرخ بطريقة بشعة بوجهها المدمم أرجواني اللون.
أنا قادمة يا مارتا.

كانت الأضواء المبهرة تومض كأنها تضرب عيني، وناقوس يدوي صوته بين أذني، فرأيتني أنا ومارتا في حفلة راقصة مع رفقاتنا. كان رفيقها مدرب كرة قدم، ورفيقي طالباً في السنة الثانية تعرفت عليه في نادي الرياضيات، وكان أقصر مني بسبعة سنتيمترات، ثم مرت أمامي صور اليوم الذي تعرفت فيه على جثة مارتا في المشرحة، والوقت الذي سرقنا فيه سيجارة من سجاائر أمي عندما كنا في العاشرة من عمرينا، والليلة التي جثا فيها بوكس على ركبة واحدة، وقدم لي خاتم جدته الماسي...

أيقظني الألم الحاد بين ضلوعي من خيالاتي، لأرى ماري تزمجر في وجهي بينما تجعد وجهها من الألم.

ثم وللحظة من الزمن، سكن كل شيء، وأقفلت أنا وماري عينينا، فأطلقت صرخة عميقة واندفعت نحوي. لكنني اندفعت نحوها أيضاً، ودفعتها بقدمي السليمة وضربت وجهها بجبهتي. فصرخت وهي تسقط إلى الوراء، قبل أن أجتثم عليها، وأضرب صدرها بيدي اليسرى وأثبتتها في مكانها بثقل جسدي. فبدأت ماري تلوح بذراعيها في الهواء محاولة الوصول إلى وجهي وأخذ المشرط من يدي.

فوجدت نفسي أفقد توازني وقوتي تتلاشى - هذه هي فرصتي الأخيرة. رفعت يدي اليمنى، وغرزت المشرط في جسد ماري وضغطت حتى وصلت به إلى اللحم والعظم، ثم كررت ذلك مرة أخرى، ثم مرة أخرى، وظللت أتوالى عليها بالضربات حتى تناثرت الدماء على وجهي، وتوقفت صرخات ماري. ثم بات كل شيء مظلماً ودافئاً.

الفصل 115

عندما رأيت مارتا للمرة الأولى، كانت تبدو مشرقة وأصغر سنًا وأكثر انتعاشًا وسعادة. فكانت تبدو في أفضل حالاتها.

في البداية، لم يتحدث أي منا. وتحركنا بسلاسة وخفة، متشابكتي الأذرع ثم بكينا قبل أن نضحك؛ لأننا تجمعنا الآن مرة أخرى. وكانت هذه المرة، كما وعدتها، مختلفة.

أخبرتها بكل شيء؛ فقلت لها كم كنت أشعر بالحمق وعدم الأمان، وكم كنت معجبة بها طوال تلك السنوات، وكم كنت أتمنى أن أصبح مثلها، وقد اندهشت وصدمت عندما أخبرتني بالشيء نفسه. فضحكنا، فكيف يمكن للحياة أن تكون عجيبة وغريبة؛ فكل منا كانت معجبة بالأخرى، وتغبطها دون أن تدرك ذلك.

وضحكنا كذلك من تلك العطلات التي كنا نقضيها مع عمنا فيل منتفخ البطن، وعندما علمت أن مارتا قد تخطت مرحلة الطفولة إلى أولى مراحل البلوغ وبكت حينها، وبكيت أنا أيضًا، بدافع الغيرة من أنها سبقتنني في ذلك. وتذكرنا أيضًا عندما كانت في الثامنة من عمرها وداست مسمارًا في الغابة وراء منزلنا، وتشاجر أندي إرفين ودوج ماسون على من سيحملها إلى منزلها، حتى حملتها أنا في النهاية على كتفي.

وبدا الأمر كما لو أن حديثنا لن يتوقف أبدًا، وأنه لا بداية له ولا نهاية؛ بل والزمن كذلك، لأننا كنا حقًا في العالم الآخر.

هل يتعلق هذا الأمر بأن كل شيء يحدث لسبب؟ اعترفنا بأن هذه الفكرة المستهلكة، في هذه الحالة، صحيحة. وقررنا أنه لو لم تكن مارتا قد ماتت، فإننا لم نكن سنكتشف القاتل أبداً، وما كان ليتوقف أبداً عن أفعاله. فموتها أنقذ حياة العديد من الأشخاص، وأعادنا معاً مرة أخرى.

هذا ليس مثاليًا، لكنه يجب أن يكون كذلك.

فنحن الآن، على الأقل، مع بعضنا، متحررتين من قيودنا الأرضية ومخاوفنا واختلافاتنا التافهة. فأنا الآن عدت إلى أختي مرة أخرى.

والى الأبد.

الفصل 116

كانت الأنفاس الثقيلة للعميل الخاص المتقاعد هاريسون بوكمان تملأ الغرفة، ثم أصدر الباب صريره عندما فتحته صوفي التي سبقتها في الدخول رائحة عطرها.

قبل أن تقول: "أعلم أنه ليس الوقت المناسب يا بوكس، لكننا حصلنا على تأكيد من مدرب كرة القدم في مدينة أيلنتاون. كان "مارتي لاني" المهاجم الخلفي في المدرسة، وكانت نموذجًا بارزًا في ذلك، ثم ترك - أقصد تركت - المدرسة بعد العام الثاني، دون سابق إنذار، وأنهت المرحلة الثانوية في ريدجواي".

قال بوكس: "ربما حينما وصل مارتي أو ماري إلى سن البلوغ، لم يكن لكل هرمونات العالم أن تغير ما تريد الطبيعة أن تفرضه".

"هذا صحيح، فهي لم تمارس الرياضة عندما ذهبت إلى ريدجواي. في الواقع، تشير التقارير التي لدينا إلى أن مارتي كانت منعزلة في مدرستها الجديدة؛ فكانت لا تفعل شيئًا إلا الذهاب إلى المدرسة ثم العودة إلى المنزل دون ممارسة أية أنشطة مدرسية أو تكوين أية صداقات، لذا كان من الأسهل إخفاء جنسها الحقيقي. وبعد ذلك التحقت مارتي بجامعة بيتسبرج بينما كانت تقيم في المنزل، وتخصصت في علوم الطب الشرعي، وبعد أن تخرج - أقصد تخرجت - انضمت إلى مجال عمل العائلة، إذ كان الأب يضعها تحت سيطرته طوال حياته".

تهد بوكس في ألم وقال: "أب عجيب، أقصد أن أمي أخبرتني ذات مرة بأنها كانت تريد فتاة، عندما ولدت، لكنها لم تجعلني أقضي حياتي كلها متظاهراً بأنني فتاة. هل تأكدنا من كل شيء عن هذا الأحمق؟".

"أجل، تأكدنا من ذلك. كان الطبيب دونالد لاني نجم كرة قدم في المرحلة الثانوية، وذلك قبل أن تحدث له إصابة في ركبته في عامه الأول من المدرسة في بيتسبرج وتمنعه من اللعب مرة أخرى، وقد أصبح فيما بعد طبيباً شرعياً في مدينة ألينتاون. أما والددة ماري فقد ماتت في أثناء الولادة؛ وهو الشيء الوحيد الصحيح الذي أخبرتنا به. وعندما انتقلت عائلة لاني إلى ريدجواي، فتح الطبيب لاني دار جنازات، وعملت ماري مع والدها، فاحزر ماذا حدث هناك؟". بوكس: "لا أريد أن أعرف".

"لقد أغلقت بعد أن تلقت جهات الإشراف الحكومية سلسلة من الشكاوى حول تشويه الجثث وبترها".

بوكس: "آه، كانت ماري هي من يفعل ذلك، فقد كانت تمارس على الموتى ما مارسته لاحقاً على الأحياء بعد أن مات الأب".
"أجل، أجل. حسناً، فلتلحق بأبيها في الجحيم".
ساد الصمت إلى أن قطعتة صوفي بصوت رقيق: "على أية حال، هل أنت بخير يا بوكس؟".

"بالتأكيد، بالتأكيد، أنا بخير يا صوفي. سأحدث إليك قريباً، لقد أدت عملاً رائعاً في هذه القضية، إذا لم أكن قد قلت لك ذلك بالفعل".
"لقد قلته بالفعل، لكن كلينا يعرف من يستحق الشكر الأكبر في هذه القضية".

كان الصمت يسود الغرفة، باستثناء وقع خطوات صوفي وخشخشة الهواء عندما فُتح الباب وأغلق.

همس بوكس والكلمات تختنق في حلقه: "أجل، سنفعل ذلك بالطبع".
ساد الصمت مرة أخرى.

"أوه يا إيمي، أوه يا إيمي، من فضلك..."

لست مستعدة يا مارتا، ليس بعد. أحبك أيتها الفتاة وأفتقدك بجنون، لكني لم أنتهي بعد من دوري في الحياة.

"إيمي؟"، شعرت بأنفاس بوكس على وجهي، ثم أمسك بيدي وأضاف:
 "يا إلهي... إيمي؟"، قالها مرة أخرى بصوت مرتجف قبل أن يستطرد: "لقد
 استيقظت".

فتحت عيني بصعوبة، فارتعشت في البداية، ثم رأيت في صورة ضبابية.
 "إميلي جين، إنني أحبك كثيرًا، أحبك من كل قلبي، إنك تعرفين ذلك،
 صحيح؟".

فهمست قائلة: "أجل..."، لم أكن أمتلك القوة للضغط على يده.
 فمرر أصابعه بلطف على وجهي وقال: "تلك كانت الطريقة التي انتهت بها
 الأمور بيننا... كنت أخشى ألا أستطيع أبدًا أن أقول لك تلك الكلمات"، ثم قبل
 جبهتي وأضاف: "إنك تعرفين أنني لم أقصد أيًا من تلك الأشياء السيئة التي
 قلتها لك، أليس كذلك؟".

"أجل..."، حاولت الابتسام لكنني لم أتيقن من أن الابتسامة ارتسمت على
 وجهي بالفعل.

"لقد فقدت الكثير من الدماء، لكنك تغلبت على الأمر، وكنت على قدر
 المسؤولية يا إيمي، فقد قبضت عليها. هل تتذكرين ما حدث؟".
 "أجل..."، ارتجف جفناي ثم أغلقت عيني. لست في عجلة من أمري لأتذكر
 تلك الليلة، ولست في عجلة من أمري لأنظر في مرآة. لكن الندوب ستشفى،
 فهذا ما يحدث دائمًا.

"يمكنني أن أبقى معك بينما تتعافين، أقصد كأصدقاء، فأنا لا أضغط
 عليك، وسأساعدك بالطريقة التي تريدونها. والدتك هنا أيضًا، لكنها نزلت
 إلى الطابق السفلي لإحضار الغداء. فهي هنا منذ أن وجدناك في الكابينة".
 عدلت جلستي، فشعرت بألم حاد في جانبي الأيمن، ولمست بلطف الضمادة
 التي كانت على جبهتي، وهي هدية الوداع التي أهدتني إياها ماري لاني.
 ربت بوكس يدي وقال: "إنك تحتاجين إلى الراحة، وأحتاج أنا إلى استدعاء
 الطبيب".

"أجل..."

"إنك ضعيفة يا إيمي، فلتنامي وسأكون هنا عندما تستيقظين".

وابتعد عني، ففتحت عيني بصعوبة وقلت: "بوكس".

"نعم؟ نعم؟".

"اقترب... مني".

فمال عليّ وقال: "حسنًا".

كان فمي شاحبًا وشفتي جافتين ومتشقتين، وكنت أقدر بالكاد على

الحديث.

فقلت: "اقترب أكثر".

بدالي بوكس في البداية مضحكًا، فقال: "حسنًا يا حبيبتي"، ومال علي

وكادت أذنه تلمس شفتي وأضاف: "أنا هنا يا إيمي".

كان النوم قد بدأ يغالبنني، وكانت قوتي تتلاشى بسرعة، فملت إلى الأمام

كي يسمع كلماتي التي كانت أقرب إلى الهمس.

وقلت له: "موافقة".

مكتبة

t.me/t_pdf

شكر وتقدير

أقدم شكري الخاص لكل من ساعد على إنجاز هذه الرواية. فقد كان لخبرة بات ليانج، بصفته مدعيًا فيدراليًا سابقًا في شيكاغو، دور في تقديم المشورة والنصيحة بشأن المحاكمات في قضايا الحرائق المتعمدة. وكان دان كولينز، المدعي العام الفيدرالي السابق والشريك الحالي في شركة درينكر بيدل أند ريث ذات المسؤولية المحدودة في شيكاغو، قد قدم المشورة بشأن كل كبيرة وصغيرة، بما في ذلك تفاصيل الحصول على مذكرات التفتيش وتحديد القتلة والسفاحين. وأشكر كذلك الدءوبة سالي ماكدانيال سميث، على اهتمامها الجاد بتفاصيل علم الطب الشرعي والحرائق المتعمدة - بعبارة أخرى، أشكرها على شرحها كيفية قتل أحد الأشخاص بطريقة تبدو منها كأنها حادث عرضي.

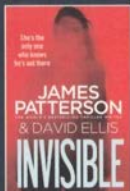
نبذة عن الكاتب

ابتكر جيمس باترسون شخصيات خيالية خالدة أكثر من أي روائي آخر يكتب اليوم. فهو مؤلف روايات أليكس كروس، وهي سلسلة الروايات البوليسية الأكثر شعبية في السنوات الخمس والعشرين الماضية. تضم رواياته الأكثر مبيعاً كلاً من نادي السيدات لجرائم القتل، ومايكل بينيت، و بريفت، وان واي بي دي ريد. ومنذ أن فازت روايته الأولى بجائزة إدجار عام ١٩٧٧، حققت كتب جيمس باترسون مبيعات تفوق ٢٨٠ مليون نسخة.

كتب جيمس باترسون كذلك العديد من أفضل الكتب مبيعاً للقراء الشباب، بما في ذلك سلسلة مكسيم رايد وويتش أند ويزارد وميدل سكول وسلسلة تريجر هانترز. في المجمل، ظلت هذه الكتب أكثر من ٢٣٠ أسبوعاً على قوائم الكتب الأكثر مبيعاً على المستوى المحلي. في عام ٢٠١٠، حصل جيمس باترسون على لقب كاتب العام في حفل جوائز كتب الأطفال.

شغف جيمس الدائم بالكتب والقراءة قاده لإنشاء الموقع الإلكتروني المبتكر ReadKiddoRead.com، ما قدم للكبار أداة قيمة للعثور على الكتب التي تجعل الأطفال يقرأون مدى الحياة. وهو متفرغ للكتابة والتأليف، ويعيش في فلوريدا مع عائلته.

دافيد إليس، محام في شيكاغو ومؤلف لتسع روايات، بما في ذلك لاين أوف فيجين، التي منحتها جائزة إدجار لأفضل رواية أولى لمؤلف أمريكي، وكذلك ذا هيدين مان، التي رشحته لجائزة لوس أنجلوس تايمز للكتاب لعام ٢٠٠٩.



”كتاب سيجعل جسدك يقشعر... سيدفعك (السفاح الخفي) لأن تنظر خلفك لعدة أسابيع بعد أن تنتهي قراءته“.

— BOOKREPORTER.com

يظن الجميع أن إيما دوكري مجنونة. وقد حصلت إيما على إجازة من عملها كباحثة في المباحث الفيدرالية لهوسها بإيجاد رابط بين مئات القضايا المعلقة بلا حل - ومن بينها قضية موت أختها - وحاليًا كل ما تملكه هو قصاصات الصحف التي تغطي جدران حجرة نومها، وكوابيسها المتكررة التي ترى خلالها حريقًا مدمرًا.

حتى حبيبها السابق العميل الميداني هاريسون «بوكس» بوكمان لا يصدق زعمها أن كل جرائم القتل في كل أنحاء البلاد متصلة ببعضها. ويظل الوضع هكذا، حتى تجد إيما دليلاً لا يمكن أن يتجاهله بوكس. تتزايد أعداد الوفيات يوماً بعد يوم - وكلها غير قابلة للتفسير. لا دوافع، لا أسلحة قتل، لا مشتبه بهم. هل يمكن فعلاً أن يكون شخص واحد هو المسئول عن كل تلك الجرائم التي لا تُصدق؟

رواية مثيرة وسريعة الإيقاع وبها من التقلبات ما سيجعلك تحبس أنفاسك حتى الصفحات الأخيرة المدهشة. إن رواية السفاح الخفي هي أكثر رواية مثيرة لجيمس باترسون، فضلاً عن كونها الأكثر تميزاً بين رواياته حتى الآن.

”قد توزع روايات جيمس باترسون بعد ذلك مصحوبة بتذاكر للسينما كميزة إضافية“.

— نيويورك تايمز

لقراءة النبذات المختصرة والمعلومات عن المؤلف، زر الموقع الإلكتروني

JamesPatterson.com



لمزيد من المعلومات عن إصدارات السلسلة بالكامل زوروا موقعنا على شبكة الإنترنت
www.languageshome-eg.com

بيت اللغات الدولية languages home

